من روائع التفاسير



تصنيف

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الثالث

راجعه وعلق عليه

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

مؤسسة الكتب الثقافية
بيروت - لبنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع

دار الكتب العلمية

مؤسسة الكتب الثقافية

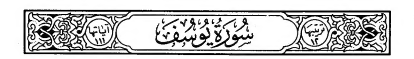
مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الإتحاد الوطني - الطابق السابع شقة ٧٨
هاتف المكتب :
ص. ب ٥١١٥ / ١١٤ - برقياً : الكتبكو -
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص . ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

النكت والعيون
تفسير الماوردي

بسم الله الرحمن الرحيم



مكية كلها. وقال ابن عباس وقتادة إلّا أربع آيات منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

قوله عزوجل: ﴿آلر تلك آيات الكتاب المبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها الآيات المتقدم ذكرها في السورة التي قبلها.

الثاني: الآيات التي في هذه السورة، ويكون معنى قوله تعالى ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين.

الثالث: أن تلك الآيات إشارة إلى ما افتتحت به السورة من الحروف وأنها علامات الكتاب العربي، قاله ابن بحر.

وفي قوله تعالى: ﴿الكتاب المبين﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: المبين حلاله وحرامه، قاله مجاهد.

الثاني: المبين هداه ورشده، قاله قتادة.

الثالث: المبين للحروف التي سقطت من ألسن الأعاجم وهي ستة أحرف، قاله معاذ [1].

---

(١) ولم يصح هذا الأثر عن معاذ رواه الطبري (١٥/٥٠٥).

قوله عز وجل ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً بلسان العرب، وهو قول الجمهور.

الثاني: إنا أنزلنا خبر يوسف قرآناً، أي مجموعاً عربياً أي يعرب عن المعاني بفصيح من القصص وهو شاذ.

﴿**لعلكم تعقلون**﴾.

﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ أي نبين لك أحسن البيان، والقاصّ الذي يأتي بالقصة(٢) على حقيقتها.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

قوله عز وجل: ﴿**إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحَدَ عشر كوكباً والشمس والقمر**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه رأى إخوته وأبويه ساجدين له فكنى عن ذكرهم، وعنى بأحد عشر كوكباً إخوته وبالشمس أباه يعقوب، وبالقمر أمه راحيل رآهم له ساجدين، فعبر عنه بما ذكره، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له فتأول الكواكب إخوته، والشمس أباه، والقمر أمه، وهو قول الأكثرين. وقال ابن جريج: الشمس أمه والقمر أبوه، لتأنيث الشمس وتذكير القمر.

وروى السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر (٣) قال: أتى رسول الله ﷺ

= وفي سنده الوليد بن سلمة الفلسطيني وهو كذاب يضع الحديث على الثقات. راجع الميزان للذهبي (٤٧١/٣) ولسان الميزان (٢٢٢/٦).

والحروف هي الطاء والظاء والضاد والصاد والعين والحاء. راجع روح المعاني (١٧١/١٢).

(٢) قال القرطبي رحمه الله (١١٨/٩) قال العلماء ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة على درجات البلاغة وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرر ولا على معارضة غير المتكرّر.

(٣) رواه الطبري (٥٥٥/١٥) وفي سنده انقطاع بن جابر وعبد الرحمن بن سابط وفي سنده أيضاً الحكم بن ظهير، وهو متروك قال الجوزجاني فيه: ساقط لميله وأعاجيب حديثه وهو صاحب حديث نجوم يوسف. =

رجلٌ من اليهود يقال له بستانة فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤهـا، فسكت رسول الله ﷺ ولم يجب بشيء، فنـزل عليه جبريل بأسمائها قال فبعث رسول الله ﷺ إليه وقال «**أنت تؤمن إن أخبرتك بأسمائها**»؟ فقال نعم، فقال: «**جريان، والطارق والذيال وذو الكتفين وقـابس والوثّـاب والعمودان والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور**» فقال اليهودي: بلى واللّه إنها لأسماؤها.

وفي إعادة قوله ﴿**رأيتهم لي ساجدين**﴾ وجهان:

أحدهما: تأكيداً للأول لبعد ما بينها، قاله الزجاج.

الثاني: أن الأول رؤيته[٤] لهم والثاني رؤيته لسجودهم.

وفي قوله ﴿**ساجدين**﴾ وجهان:

أحدهما: أنه السجود المعهود في الصلاة إعظاماً لا عبادة.

الثاني: أنـه رآهم خاضعين فجعل خضوعهم سجوداً، كقول الشاعر[٥]:

... ... تـرى الأكم فيـه سُجّـداً للحـوافـر

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾

وقيل إنه كان له عند هذه الرؤيا سبع عشرة سنة، قال ابن عباس: رأى هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر، فلما قصها على يعقوب أشفق عليه من حسد

= الميزان (١/ ٢٦٨) وبعد ما عرفت ما في سند الحديث فالعجب من الحاكم رحمه الله كيف صححه وفيه من سبق وقد نقل العلامة الألوسي في روح المعاني (١٢/ ١٧٩) عن أبي زرعة وابن الجوزي أنهما قالا عن الحديث: منكر موضوع.. قلت: وضعف الحديث الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٤٦٨) ونقـل تضعيف ابن الجوزي له.

والحديث زاد السيوطي في الدر (٤/ ٤٩٨، ٤٩٩) نسبته لسعيد بن منصور البزار وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان في الضعفاء وأبي الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوة.

(٤) قال الفرّاء رحمه الله «إنما قال رأيتهم» على جمع ما يعقل لأن السجـود مقل مـا يعقل زاد المسيـر (٤/ ١٨٠) وجامع البيان (١٥/ ٥٥٦).

(٥) هو زيد الخيل وما ذكر هنا عجز بيت صدره بجمع تضل البلق في هجراته.

إخوته فقال: يا بني هذه رؤيا الليل فلا يعول عليها، فلما خلا به ﴿قال يا بني [٦] لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين﴾.

وفي تسميته بيوسف قولان:

أحدهما: أنه اسم أعجمي.

الثاني: أنه عربي مشتق من الأسف، والأسف في اللغة الحزن.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: بحسن الخَلق والخُلق.

الثاني: بترك الإنتقام.

الثالث: بالنبوة، قاله الحسن.

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: عبارة الرؤيا، قاله مجاهد.

الثاني: العلم والحكمة، قاله ابن زيد.

الثالث: عواقب الأمور، ومنه قول الشاعر:

ولـلأحـبـة أيـام تـذكّـرُهـا ... وللنـوى قبـل يـوم البيْـن تـأويـل

﴿ويتم نعمته عليك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: باختيارك للنبوة.

الثاني: بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك، قاله مقاتل.

وفيه وجه ثالث: أن أخرج [٧] إخوته إليه حتى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه.

﴿وعلى آل يعقوب﴾ بأن جعل فيهم النبوة.

---

(٦) وهذا التصغير هنا يطلق عليه عند النحاة تصغير تحبيب. راجع روح المعاني (٢/ ١٨٠).

(٧) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب «أحوج» والتصويب من زاد المسير (١/ ١٨١) فإنه ذكر قول الماوردي هناك.

﴿كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق﴾ قال عكرمة: فنعمته على إبراهيم أن أنجاه من النار، وعلى إسحاق(٨) أن أنجاه من الذبح.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين﴾ في هذه الآيات وجهان:

أحدهما: أنها عِبرٌ للمعتبرين.

الثاني: زواجر للمتقين.

وفيها من يوسف وإخوته أربعة أقاويل:

أحدها: ما أظهره الله تعالى فيه من عواقب البغي عليه.

الثاني: صدق رؤياه وصحة تأويله.

الثالث: ضبط نفسه وقهر شهوته حتى سلم من المعصية وقام بحق الأمانة.

الرابع: الفرج بعد شدة الإياس. قال ابن عطاء: ما سمع سورة يوسف محزون إلا استروح إليها.

قوله عزوجل: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منّا﴾ وأخوه بنيامين وهما أخوان لأب وأم، وكان يعقوب قد كلف بهما لموت أمهما وزاد في المراعاة لهما، فذلك سبب حسدهم لهما، وكان شديد الحب ليوسف، فكان الحسد له أكثر، ثم رأى الرؤيا فصار الحسد له أشد.

---

(٨) وهذا قول عكرمة لكن خالفه غيره والقول الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وأدلة ذلك كثيرة وقد ذكر منها ابن القيم في مقدمة زادالمعاد للإمام السيوطي رحمه الله رسالة بعنوان «القول الفصيح في تعيين الذبيح» ضمن رسائل الحاوي جمع فيها أدلة الفريقين ولعلنا نزيد الأمر وضوحاً في سورة الصافات فإلى هناك والله المستعان.

﴿ونحن عصبة﴾ وفي العصبة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد.

الثالث: من عشرة إلى أربعين، قاله قتادة.

الرابع: الجماعة، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لفي خطأ من رأيه، قاله ابن زيد.

الثاني: لفي جور من فعله، قاله ابن كامل.

الثالث: لفي محبة (٩) ظاهرة، حكاه ابن جرير(١٠).

وإنما جعلوه في ضلال مبين لثلاثة أوجه:

أحدها: لأنه فضّل الصغير على الكبير.

الثاني: القليل على الكثير.

الثالث: من لا يراعي ما له على من يراعيه.

واختلف فيهم هل كانوا حينئذ بالغين؟ فذهب قوم إلى أنهم كانوا بالغين مؤمنين ولم يكونوا أنبياء(١١) بعد لأنهم قالوا **﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾** وهذه

---

(٩) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/١٩٠) «والذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم ير فيهم وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدها تلك الأمارات عنده ولا لوم على الوالد في تفضيله بعض ولده على بعض في المحبة لمثل ذلك وقد صرح غير واحد أن المحبة ليست مما يدخل تحت وسع البشر والمرء معذور فيما لم يدخل تحته أ. هـ.

(١٠) جامع البيان (١٥/٥٦٣).

(١١) وهذا هو الصواب ولهذا قال العلامة الألوسي (١٢/١٨٤) والذي عليه الأكثرون سلفاً وخلفاً أنهم لم يكونوا أنبياء أصلاً أما السلف فلم ينقل عن الصحابة منهم أنه قال بنبوتهم ولا يحفظ عن أحد من التابعين أيضاً وأما أتباع التابعين فنقل عن ابن زيد أنه قال بنبوتهم وتابعه شرذمة قليلة وأما الخلف فالمفسرون فرقة منهم من قال بقول ابن زيد كالبغوي ومنهم من بالغ في رده كالقرطبي وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض للمسألة لكن ذكر ما يشعر بعدم كونهم أنبياء كتفسيره الأسباط عن نبي من بني إسرائيل والمنزل إليهم بالمنزل الى أنبيائهم كابن الليث السمرقندي والواحدي ومنهم من لم يذكر شيئاً من ذلك لكن فسر الأسباط بأولاد يعقوب فحسبه ناس قولاً بنبوتهم وليس نصاً فيه لاحتمال أنه يريد بالأولاد ذريته لا بنيه لِصلبه وذكر الشيخ ابن تيمية في مؤلف له خاص في هذه المسألة ما ملخصه «الذي يدل عليه القرآن واللغة والاعتبار أن إخوة يوسف عليه =

حالة لا تكون إلا من بالغ، وقال آخرون: بل كانوا غير بالغين لأنهم قالوا **﴿أرسله معنا غداً نرتع ونلعب﴾** وإنما استغفروه بعد البلوغ.

قوله عزوجل: **﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: اطرحوه أرضاً لتأكله السباع.

الثاني: ليبعد عن أبيه.

﴿يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أرادوا صلاح الدنيا لاصلاح الدين، قاله الحسن.

الثاني: أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، قاله السدي.

ويحتمل ثالثاً: أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثرة ولا تفضيل. وفي هذا دليل على أن توبة القاتل مقبولة لأن الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم.

قوله عزوجل: **﴿قال قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف﴾** اختلف في قائل هذا منهم على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه روبيل وهو أكبر إخوة يوسف وابن خالته، قاله قتادة.

الثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد.

الثالث: أنه يهوذا[١٢]، قاله السدي.

﴿وألقُوه في غيابة الجُبِّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني قعر الجب وأسفله.

الثاني: ظلمه الجب التي تغيّب عن الأبصار ما فيها، قاله الكلبي.

فكان رأس الجب ضيقاً وأسفله واسعاً.

أحدهما: لأنه يغيب فيه خبره. وفي تسميته

﴿غيابة الجب﴾ وجهان:

الثاني: لأنه يغيب فيه أثره، قال ابن أحمر[١٣]:

= السلام ليسوا بأنبياء وليس في القرآن ولا عن النبي ﷺ بل ولا عن أحد من اصحابه رضي الله تعالى عنهم خبر بأن الله تعالى نبأهم... اهـ. قلت وللسيوطي رحمه الله رسالة في ضمن رسائل الحاوي تتعلق بهذا الموضوع فراجعها.

(١٢) قال الألوسي رحمه الله: ولعله الأصح (١٢/١٩٢).

(١٣) وهو عمرو بن أحمر الباهلي والبيت أورده الشوكاني في فتح القدير (٩/٣) والشطر الثاني فيه «إلى ذا كما قد غيبتني غيابياً».

ألا فالبثا شهرين أو نصف ثالثٍ   إلى ذاك ما قد غيبتني غيابيا

وفي ﴿الجب﴾ قولان:

أحدهما: أنه اسم بئر في بيت المقدس، قاله قتادة.

الثاني: أنه بئر غير معينة، وإنما يختص بنوع من الآبار قال الأعشى(*):

لئن كنت في جب ثمانين قامة   ورقيت أسباب السماء بسلم

وفيما يسمى من الآبار جباً قولان:

أحدهما: أنه ما عظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن.

الثاني: أنه ما لا طيّ له من الآبار، قاله الزجاج، وقال: سميت جبًّا لأنها قطعت من الأرض قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع.

﴿يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ معنى يلتقطه يأخذه، ومنه اللقطة لأنها الضالة المأخوذة.

وفي ﴿السيارة﴾ قولان:

أحدهما: أنهم المسافرون سُموا بذلك لأنهم يسيرون.

الثاني: أنهم مارة الطريق، قاله الضحاك.

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: نلهو ونلعب، قاله الضحاك.

الثاني: نسعى وننشط، قاله قتادة.

الثالث: نتحارس فيحفظ بعضنا بعضاً ونلهو، قاله مجاهد.

الرابع: نرعى ونتصرف، قاله ابن زيد، ومنه قول الفرزدق.

راحت بمسلمة البغالُ مودعاً   فارعي فزارة لا هناك المرتع

(*) ديوانه: ١٨٣.

الخامس: نطعم ونتنعم مأخوذ من الرتعة وهي سعة المطعم والمشرب، قاله ابن شجرة وأنشد قول الشاعر[١٤]:

أكُفـراً بعـد رَدّ المـوت عنّـي   وبعـد عطائـك المائـة الرِّتـاعـا

أي الراتعة لكثرة المرعى.

ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام اللعب لأنهم عنوا به ما كان مباحاً.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

قوله عزوجل: ﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخافُ أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ فيه قولان:

أحدهما: [١٥] أنه قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، وخوفه إنما كان من قتلهم له فكنى عنهم بالذئب مسايرة لهم، قال ابن عباس فسماهم ذئاباً.

والقول الثاني: ما خافهم عليه، ولو خافهم ما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب لأنه أغلب ما يخاف منه من الصحاري.

وقال الكلبي: بل رأى في [١٦] منامه أن الذئب شَدّ على يوسف فلذلك خافه عليه.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وأوحينا إليه﴾ فيه وجهان:

---

(١٤) هو القطامي واسمه عمير بن شييم، والبيت في ديوانه: ٤١.

(١٥) قال الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٢/١٩٥) « وادعى بعضهم أنه عليه السلام ورى بالذئب. واحد منهم فإنه عليه السلام أجل قدراً من أنه لا يعلم أن رؤياه تلك من أي أقسام الرؤيا هي فإن منها ما يحتاج للتعبير ومنها ما لا يحتاج إليه والكامل يعرف ذلك.

(١٦) وقال العلامة الألوسي (١٢/١٩٥) وأنا لم أجد لرواية الرؤيا مطلقاً سنداً يعول عليه ولا حاجة بنا إلى اختبارها لتكلف الكلام فيها.

أحدهما: يعني وألهمناه، كما قال تعالى: ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه**﴾. [القصص: ٧].

الثاني: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب، قاله مجاهد وقتادة.

﴿**لتنبئنهم بأمرهم هذا**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا، فعلى هذا يكون الوحي بعد إلقائه في الجب تبشيراً له بالسلامة.

الثاني: أنه أوحى إليه بالذي يصنعون به، فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في الجب إنذاراً له.

﴿**وهم لا يشعرون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يشعرون بأنه أخوهم يوسف، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: لا يشعرون بوحي الله تعالى له بالنبوة، قاله ابن عباس ومجاهد.

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

قوله عزوجل: ﴿**قالوا يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق**﴾ هو نفتعل من السباق وفيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه ننتصل، من السباق في الرمي، قاله الزجاج.

الثاني: أنهم أرادوا السبق بالسعي على أقدامهم.

الثالث: أنهم عنوا استباقهم في العمل الذي تشاغلوا به من الرعي والاحتطاب.

الرابع: أي نتصيد وأنهم يستبقون على اقتناص الصيد.

﴿**وتركنا يوسف عند متاعنا**﴾ يحتمل أن يعنوا بتركه عند متاعهم إظهار الشفقة عليه، ويحتمل أن يعنوا حفظ رحالهم.

﴿فأكله الذئب﴾ لما سمعوا أباهم يقول: وأخاف أن يأكله الذئب أخذوا ذلك من فيه وتحرّموا به لأنه كان أظهر المخاوف عليه.

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق لنا.

﴿ولو كنا صادقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لم يكن ذلك منهم تشكيكاً لأبيهم في صدقهم وإنما عنوا: ولو كنا أهل صدق ما صدقتنا، قاله ابن جرير[١٧].

الثاني: معناه وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق.

قوله عزوجل: ﴿وجاءُوا على قميصه بدمٍ كذب﴾ قال مجاهد: كان دم سخلة. وقال قتادة: كان دم ظبية.

قال الحسن: لما جاءُوا بقميص يوسف فلم ير يعقوب فيه شقاً قال: يا بني والله ما عهدت الذئب حليماً أيأكل ابني ويبقي على قميصه. ومعنى قوله ﴿بدم كذب﴾ أي مكذوب فيه، ولكن وصفه بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب.

وقرأ الحسن[١٨] ﴿بدم كذب﴾ بالدال غير معجمة، ومعناه بدم متغير قاله الشعبي.

وفي القميص ثلاث آيات[١٩]: حين جاءُوا عليه بدم كذب، وحين قُدَّ قميصه من دُبر، وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً.

﴿قال بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بل أمرتكم أنفسكم، قاله ابن عباس.

الثاني: بل زينت لكم أنفسكم أمراً، قاله قتادة.

وفي ردّ يعقوب عليهم وتكذيبه لهم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كان ذلك بوحي من الله تعالى إليه بعد فعلهم.

---

(١٧) جامع البيان (١٥/٥٧٨).

(١٨) وهي قراءة ابن عباس وابن العالية وفيها قراءة أخرى هكذا «بدم كذباً» وهي قراءة ابن أبي عبلة كما في زاد المسير (٤/١٩٣).

(١٩) وقد تعقب هذا القول القرطبي رحمه الله (٩/١٤٩) وقال: «وهذا مردود لأن القمصان مختلفة أي أنه كان في كل حالة من الحالات قميص مختلف ا هـ

قلت: وقول المؤلف في القميص.. الخ هو قول الشعبي رحمه الله ورواه الطبري (١٥/٥٨٢).

الثاني: أنه كان عنده علم بذلك قديم أطلعه الله عليه.

الثالث: أنه قال ذلك حدساً بصائب رأيه وصدق ظنه.

قال ترضية لنفسه ﴿فصبر جميل﴾ فاحتمل ما أمر به نفسه من الصبر وجهين:

أحدهما: الصبر على مقابلتهم على فعلهم فيكون هذا الصبر عفواً عن مؤاخذتهم.

الثاني: أنه أمر نفسه بالصبر على ما ابتُلي به من فقد يوسف.

وفي قوله ﴿فصبر جميل﴾ وجهان (٢٠):

أحدهما: أنه بمعنى أن من الجميل أن أصبر.

الثاني: أنه أمر نفسه بصبر جميل.

وفي الصبر الجميل وجهان:

أحدهما: أنه الصبر الذي لا جزع فيه قاله مجاهد.

الثاني: أنه الصبر الذي لا شكوى فيه.

روى حباب بن أبي حبلة(١٠٨) قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿فصبر جميل﴾ فقال: صبر لا شكوى فيه، ومن بث لم يصبر.

﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: والله المستعان على الصبر الجميل.

الثاني: والله المستعان على احتمال ما تصفون.

الثالث: يعني على ما تكذبون، قاله قتادة.

قال محمد بن إسحاق: ابتلى الله يعقوب في كبره، ويوسف في صغره لينظر كيف عز مهما.

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

(٢٠) كذا في المطبوعة والصواب حبان بن أبي حبـل والتصويب من الطبري (١٥/٥٨٤) وهو حديث مرسل كما قال الحافظ في تخريج الكشاف.

قوله عزوجل: ﴿وجاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لهم. وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك [٢١] بن ذعر بن حجر بن يكه بن لخم.

﴿فأدلى دلوه﴾ أي أرسلها ليملأها، يقال أدلاها إذا أرسل الدلو ليملأها، ودلّاها إذا أخرجها ملأى.

قال قتادة: فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو حين أرسلت. والبئر ببيت المقدس معروف مكانها.

﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ناداهم بالبشرى يبشرهم بغلام، قاله قتادة.

الثاني: أنه نادى أحدهم، كان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام، قاله السدي.

﴿وأسرُّوه بضاعة﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن إخوة يوسف كانوا بقرب الجب فلما رأوا الوارد قد أخرجه قالوا هذا عبدنا قد أوثقناه فباعوه وأسرّوا بيعه بثمن جعلوه بضاعة لهم، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الواردين إلى الجُب أسرّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم ليكون [٢٢] بضاعة لهم كيلا يشركوهم فيه لرخصه وتواصوا أنه بضاعة استبضعوها من أهل الماء، قاله مجاهد.

الثالث: أن الذين شروه أسرُّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم وذكروا أنه بضاعة لهم.

وحكى [٢٣] جويبر عن الضحاك أنه ألقيَ في الجب وهو ابن ست سنين، وبقي فيه إلى أن أخرجته السيارة منه ثلاثة أيام.

وقال الكلبي: ألقي فيه وهو ابن سبع عشرة سنة [٢٤].

---

(٢١) وفي زاد المسير (١٩٤/٤) هو مالك بن ذعْر بن يؤيب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم قاله أبو صالح عن ابن عباس وقيل مجلث بني رعويل قاله وهب بن منبه.

(٢٢) ورجح هذا القول ابن جرير رحمه الله (١٦/٧).

(٢٣) وهو ضعيف كما سبق.

(٢٤) زدناها ليستقيم الكلام.

قوله عزوجل: ﴿وشروه بثمن بخسٍ﴾ معنى شروه أي باعوه، ومنه قول ابن مفرغ الحميري (٢٥) .

وشــريــت بــرداً لــيــتــنــي   مــن بعــدِ بُــرْدٍ كنت هــامــه

واسم البيع والشراء يطلق على كل واحد من البائع والمشتري لأن كل واحد منهما بائع لما في يده مشتر لما في يد صاحبه.

وفي بائعه قولان:

أحدهما: أنهم إخوته باعوه على السيارة حين أخرجوه من الجب فادّعوه عبداً، قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد.

الثاني: أن السيارة باعوه عن ملك مصر، قاله الحسن وقتادة.

﴿بثمن بخس﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن البخس ها هنا الحرام، قاله الضحاك، قال ابن عطاء: لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها فكان ثمنه وإن جَلّ بخساً. وما هو وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيع نفسك بشهوةٍ ساعةٍ من معاصيك.

الثاني: أنه الظلم، قاله قتادة.

الثالث: أنه القليل، قاله مجاهد والشعبي.

﴿دراهم معدودة﴾ اختلف في قدرها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه بيع بعشرين درهماً اقتسموها وكانوا عشرة فأخذ كل واحد منهم درهمين، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعطية والسدي.

الثاني: باثنين وعشرين درهماً، كانوا أحد عشر فأخذ كل واحد درهمين، قاله مجاهد.

الثالث: بأربعين درهما، قاله عكرمة وابن إسحاق. وكان السدي يقول: اشتروا بها خفافاً ونعالاً.

وفي قوله تعالى ﴿دراهم معدودة﴾ وجهان:

أحدهما: معدودة غير موزونة لزهدهم فيه.

الثاني: لأنها كانت أقل من أربعين درهماً، وكانوا لا يَزِنُـون أقل من أربعين

(٢٥) واسمه يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري والبيت في طبقات فحول الشعراء ٥٥٥ والطبري (٨/١٦).

درهماً، لأن أقل الوزن عندهم كان الأوقية، والأوقية أربعون درهماً.

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ وفي المعنيّ بهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوة يوسف كانوا فيه من الزاهدين حين صنعوا به ما صنعوا.

الثاني: أن السيارة كانوا فيه من الزاهدين حين باعوه بما باعوه به.

وفي زهدهم فيه وجهان:

أحدهما: لعلمهم بأنه حرٌّ لا يبتاع.

الثاني: أنه كان عندهم عبداً فخافوا أن يظهر عليه مالكوه فيأخذوه.

وفيه وجه ثالث: أنهم كانوا في ثمنه من الزاهدين لاختبارهم له وعلمهم بفضله، وقال عكرمة أعتق يوسف حين بيع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال الذي اشتراه[٢٦] من مصر﴾ وهو العزيز ملكها واسمه إظفير بن رويجب.

﴿لامرأته﴾ واسمها راعيل بنت رعاييل، على ما ذكر ابن اسحاق.

وقال ابن عباس: اسمه قطفير وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الوليد بن الرّيان من العماليق.

قال مقاتل: وكان البائع له للملك مالك بن ذعر بعشرين ديناراً وزاده حُلة ونعلين.

﴿أكرمي مثواه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجملي منزلته.

---

(٢٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٢٠٦/١٢) هذا الشراء غير الشراء السابق الذي كان بثمن بخس وزعم أتمادها ضعيف جداً وإلا لا يبقى لقوله «من مصر» كثير جدوى.

الثاني: أجلي منزلته، قال كثير:

أريد ثواءً عندها وأظُنُّها إذا ما أطَلْنا عندها المكث ملَّت

وإكرام مثواه بطيب طعامه ولين لباسه وتوطئة مبيته.

﴿عسى أن ينفعنا﴾ قيل: في ثمنه إن بعناه. ويحتمل: ينفعنا في الخدمة والنيابة.

﴿أو نتخذه ولداً﴾ إن أعتقناه وتبنيناه.

قال عبد الله بن مسعود (٢٧) : أحسن الناس في فراسة ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا﴾ وابنة شعيب (٢٨) في موسى حين قالت لأبيها ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر (٢٩).

﴿وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بإخراجه من الجب.

الثاني: باستخلاف الملك له.

﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ قد ذكرنا في تأويله وجهين.

﴿والله غالبٌ على أمره﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غالب على أمر يوسف حتى يبلغ فيه ما أراده له، قاله مقاتل.

الثاني: غالب على أمر نفسه فيما يريده، أن يقول له كن فيكون.

قوله عزوجل: ﴿ولما بلغ أشدَّه﴾ يعني منتهى شدته وقوة شبابه. وأما الأشدُّ ففيه ستة أقاويل:

---

(٢٧) وفي نسخه أخرى للمخطوطة قال عبد الرحمن بن مسعود والصواب ما هنا كما في الطبري حيث أورد قول عبدالله بن مسعود في (١٦/ ١٩).

أقول: ومع هذا فإن نسخة المخطوطة الأخرى ربما سقط منها أبو قبل عبد الرحمن فإن كنية ابن مسعود أبو عبد الرحمن فلعل الناسخ قال ابو عبد الرحمن بن مسعود فسقط منها أبو والله أعلم.

(٢٨) وفي كونها ابنه نبي الله شعيب خلاف وقد بسط بعض علماء التفسير أقوالاً في هذا الموضوع فمنهم من قال أن والد البنتين هو سيدنا شعيب النبي وهو الأصح ولكن البعض خالف وقال إنه غيره والله أعلم بغيبه وأحكم ورد الأمور إليه أسلم.

(٢٩) وتعقب العلامة أبو بكر بن العربي هذا القول الأخير وقال: «إنما ولى الصديق عمر بالتجربة في الأعمال والمواظبة على الصحبة وطولها».

أحدها: ببلوغ الحلم، قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم.

الثاني: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: عشرون سنة، قاله ابن عباس والضحاك.

الرابع: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة.

الخامس: ثلاثون سنة، قاله السدي.

السادس: ثلاث وثلاثون سنة. قاله الحسن ومجاهد وقتادة.

هذا أول الأشد، وفي آخر الأشد قولان:

أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله الحسن.

الثاني: أنه ستون سنة، حكاه ابن جرير الطبري [٣٠]، وقال سُحَيْم بن وثيل الرياحي [٣١]:

أخو خمسين مجتمع أشُدّي وتجذّني مداورة الشئون

وفي المراد ببلوغ الأشد في يوسف قولان:

أحدهما: عشرون سنة، قاله الضحاك.

الثاني: ثلاثون سنة، وهو قول مجاهد.

﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ في هذا الحكم الذي آتاه خمسة أوجه:

أحدها: العقل، قاله مجاهد.

الثاني: الحكم على الناس.

الثالث: الحكمة في أفعاله.

الرابع: القرآن، قاله سفيان.

الخامس: النبوة، قاله السدي.

وفي هذا العلم الذي آتاه وجهان:

أحدهما: الفقه، قاله مجاهد.

الثاني: النبوة، قاله ابن أبي نجيح.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنه العلم بتأويل الرؤيا [٣٢].

---

(٣٠) جامع البيان (٢١/١٦).

(٣١) اللسان «تجذ».

(٣٢) قال العلامة الألوسي قوله «وعلماً» يعني علم تأويل الرؤيا وخص بالذكر لأنه غير داخل فيما قبله أو =

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: المطيعين.

الثاني: المهتدين، قاله ابن عباس.

والفرق بين الحكيم والعالم أن الحكيم هو العامل بعلمه، والعالم هو المقتصر على العلم دون العمل.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ وهي راعيل امرأة العزيز إظفير. قال الضحاك: وكان اسمها زليخا[٣٣].

قال محمد بن إسحاق: وكان إظفير فيما يحكى لنا رجلاً لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء، وكان يوسف عليه السلام قد أُعطي من الحسن ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده كما لم يكن في النساء مثل حواء حسناً. قال ابن عباس: اقتسم يوسف وحواء الحسن نصفين.

فراودته امرأة العزيز عن نفسه استدعاء له إلى نفسها.

﴿وغلقت الأبواب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بتكثير الأغلاق.

الثاني: بكثرة الإيثاق.

﴿وقالت هيت لك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه تهيأت لك، قاله عكرمة وأبو عبد الرحمن السلمي، وهذا تأويل من قرأ[٣٤] بكسر الهاء وترك الهمز، وقال الشاعر[٣٥]:

قد رابني أن الكرى أسكتا ... لو كان معنياً بها لهيتا

= أفرد بالذكر لأنه مما له شأن ليوسف عليه السلام به اختصاص تام كذا قيل أ. هـ.

(٣٣) وقيل هو لقبها راجع روح المعاني (١٢/٢٠٧).

(٣٤) وهي قراءة نافع وابن عامر زاد المسير (٤/٢٠١) والمبسوط (ص ٢٤٥).

(٣٥) والبيت في اللسان «هيت» وغريب القرآن (٢١٥) والصحاح «هيت» والقرطبي (٩/١٦٥).

الثاني: هلم لك، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، وأنشد أبو عمرو بن العلاء:(٣٦):

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا
أن العراق وأهله عنق إليك، فهيت هيتا

وهذا تأويل من قرأ هيت لك بفتح الهاء وهي أصح وأفصح، قال طرفة بن العبد(٣٧):

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرة: هيتا

ثم اختلف قائلو هذا التأويل في الكلمة فحكى عطية عن ابن عباس أن **﴿هيت لك﴾** كلمة بالقبطية معناها هلم لك، وقال مجاهد بل هي كلمة عربية هذا معناها وقال الحسن: هي كلمة سريانية.

﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ أي أعوذ بالله.

وفي **﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾** وجهان:

أحدهما: إن الله ربي أحسن مثواي فلا أعصيه، قاله الزجاج.

الثاني: أنه أراد العزيز إظفير إنه ربي أي سيدي أحسن مثواي فلا أخونه. قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي.

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: **﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى بُرهان ربه﴾** أما همها به ففيه قولان:

أحدهما: أنه كان هَمَّ شهوة.

الثاني: أنها آستلقت له وتهيأت لمواقعته.

وأما همّه بها ففيه ستة أقاويل:

(٣٦) مجاز القرآن (١ / ٣٠٠) والطبري (١٦ / ٢٠) واللسان (هيت) و (عنق) وفي اللسان سلم إليك.

(٣٧) أورده الطبري (١٦ / ٣٠) والشطر الثاني منه:

قال داع من العشيرة هيتُ.

أحدها: أنه همّ بها أن يضربها حين راودته [٣٨] عن نفسه ولم يهم بمواقعتها قاله بعض المتأخرين.

الثاني: أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها [٣٩]، قاله قطرب.

الثالث: أن همها كان شهوة، وهمه كان عفة.

الرابع: أن همه بها لم يكن عزماً وإرادة [٤٠] وإنما كان تمثيلاً [٤١] بين الفعل والترك، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترن به عزم ولا فعل، وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً، ومنه قول جميل [٤٢]:

همـمت بهـمٍّ من بثـينــة لــو بــدا ... شفيت غليــلات الهــوى من فـؤاديـا

الخامس: أن همه كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهراً لـه وهو معنى قول الحسن.

السادس: أنه هم بمواقعتها وعزم عليه. قال ابن عباس: وحل الهميان [٤٣]

---

(٣٨) وهو قول ذكره ابن الأنباري ويؤيده قوله تعالى ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ [غافر: ٥] وإلى هذا القول ذهب ابن حزم في الفصل (١٠/٤).

(٣٩) وهذا بناء على التقديم والتأخير قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (١٧/٣): ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها شطح أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع تكلف فمن ذلك ما قاله أبو حاتم قال: كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن فلما أتيت على ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: هذا على التقديم والتأخير كأنه قال «ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها».

(٤٠) وهذا القول بين أن هناك فرقاً بين الهمين فإن قيل إن القرآن سوى بين الهمين فلم فرقتم أجاب عن هذا العلامة ابن الجوزي قائلاً إن الاستواء وقع في بداية الهمة ثم ترقت همتها إلى العزيمة بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه ولم تتعد همته مقامها بل نزلت عن رتبتها وانحل معقودها بدليل هربه منها وقوله معاذ الله وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم أ. هـ. زاد المسير (٢٠٥/٤).

(٤١) كذا في المطبوعة وهو خطأ والصواب تمييلا والتصويب من الطبري (٣٩/١٦).

(٤٢) ذكره في فتح القدير (١٧/٣) والشطر الأول فيه هممت بهم من بثينة لؤلؤ ولعل فيه تحريف والله أعلم.

(٤٣) قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٢٠٥/٤): «ولا يصح ما يروى عن المفسرين من أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل فإنه لو كان هذا دل على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزنا» أ. هـ.

يعني السراويل وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة، وهو قول جمهور المفسرين (٤٤).

فإن قيل: فكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا الفعل وهو نبي الله عز وجل؟

قيل: هي منه معصية، وفي معاصي الأنبياء ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كل نبي ابتلاه الله بخطيئة إنما ابتلاه ليكون من الله تعالى على وجل إذا ذكرها فيجدّ في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سعة عفوه ورحمته.

الثاني: أن الله تعالى ابتلاهم بذلك ليعرفهم موقع نعمته عليهم بصفحه عنهم وترك عقوبتهم في الآخرة على معصيتهم.

الثالث: أنه ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس في عفوه عنهم إذا تابوا.

وفي قوله تعالى ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ ستة أقاويل:

أحدها: أن برهان ربه الذي رآه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، قال ابن عباس: نودي يا ابن يعقوب تزني فيكون مثلك مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع.

الثاني: أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول: يا يوسف أتهمُّ بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله (٤٥)، قاله قتادة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

= قلت: ومن العزم على غيره من المعاصي والموبقات.

(٤٤) كالقشيري وابن الأنباري وغيرهم كما حكاه القرطبي في تفسيره (١٦٦/٩) قال الشوكاني في فتح القدير (١٨/٣) وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى ما قدمنا من حمل اللفظ على معناه اللغوي ويدل على هذا ما سيأتي من قوله ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ وقوله ﴿وما أبرىء نفسي﴾ ومجرد الهم لا ينافي العصمة فإنها قد وقعت العصمة عن الوقوع في المعصية وذلك المطلوب أ. هـ. وقد توسع العلامة الألوسي في تفسير الهم والقول الصحيح فيه في (١٢/١٢٣ ـ ٢١٦) ومن جملة ما قال «وبالجملة لا ينبغي التعويل على ما شاع من الأخبار والعدول عما ذهب إليه المحققون الأخيار وإياك والهم بنسبة تلك الشنيعة إلى ذلك الجناب بعد أن كشف الله سبحانه عن بعد بصيرتك فرأيت برهان ربك بلا حجاب أ. هـ.

(٤٥) وهذه الروايات والأقوال التي هنا في تفسير البرهان أغلبها من الإسرائيليات التي لم يعرف لها سند =

قال مجاهد: فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده.

الثالث: أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى، قال محمد بن كعب القرظي: رأى كتاباً على الحائط: **﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾** (الإسراء: ٣٢].

الرابع: أن البرهان الذي رآه. الملك إظفير سيده، قاله ابن إسحاق.

الخامس: أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة، قاله ابن بحر.

السادس: أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها: ما وراء هذه الستر؟ فقالت: صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه. فقال: إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه، قاله الضحاك(*).

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن السوء الشهوة، والفحشاء المباشرة.

الثاني: أن السوء عقوبة الملك العزيز. والفحشاء مواقعة الزنى.

﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى.

وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين (٤٦) لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مستخلصاً لرسالة الله.

= ثابت وصحيح ولم يعرف بين الروايات التي ذكرت رواية مرفوعة يمكن الركون اليها والصواب أن يقال في البرهان أنه عليه السلام رأي حجج الله الباهرة الدالة على كمال قبيح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته للبرهان كمال إيقانه عليه السلام ومشاهدته له بحيث يصير الى مرتبة عين اليقين وعلى هذا فإن البرهان علم ما أحل الله مما حرم الله كما هو قول محمد بن كعب القرظي قال ابن الجوزي رحمه الله «وهذا هو القول الصحيح وما تقدم فليس بشيء إنما هي أحاديث من أعمال القصاص» أ هـ زاد المسير (٤/٢٠٩) وروح المعاني (١٢/٢١٣).

(*) وفي نسخه للمخطوطة قول بأن البرهان هو الملك قاله ابن إسحاق.

(٤٦) قال العلامة الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٢/٢١٧): ولا يخفى ما في التعبير بالجملة =

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**واستبقا الباب**﴾ أي أسرعا إليه، أما يوسف فأسرع إليه هرباً، وأما امرأة العزيز فأسرعت إليه طلباً.

﴿**وقدت قميصه من دبر**﴾ لأنها أدركته وقد فتح بعض الأغلاق فجذبته من ورائه فشقت قميصه إلى ساقه، قال ابن عباس: وسقط عنه وتبعته.

﴿**وألفيا سيدها لَدى الباب**﴾ أي وجدا زوجها عند الباب. قال أبو صالح: والسيد هو الزوج بلسان القبط.

﴿**قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلّا أن يسجن أو عذابٌ أليمٌ**﴾ هذا قولها لزوجها لتدفع الريبة عن نفسها بإلقائها على يوسف، ولو صدق حبها لم تفعل ذلك به ولآثرته على نفسها، ولكنها شهوة نزعت ومحبة لم تصف. وذلك أنه لما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر بالتكذيب عليه، ولو خلص من الشهوة لطلبت دفع الضرر عنه بالصدق.

﴿**قال هي راودتني عن نفسي**﴾ لأنها لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرىء نفسه بالصدق عليها، ولو كفت عن الكذب عليه لكف عن الصدق عليها.

﴿ **وشهد شاهد من أهلها**﴾ لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك الى

= الاسمية من الدلالة على انتظامه عليه السلام في أولئك العباد الذين هم من أولي الأمر لا أنه حدث له ذلك بعد أن لم يكن وفي هذا عندذوي الألباب ما ينقطع معه عذر أولئك المتشبثين بأذيال هاتيك الأخبار التي ما أنزل الله تعالى بها من كتاب أ. هـ.

شاهد يعلم به صدق الصادق منهما من الكاذب، فشهد شاهد [٤٧] من أهلها، أي حكم حاكم من أهلها لأنه حكم منه وليس شهادة.

وفيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.

الثاني: أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن [٤٨]، قاله مجاهد.

الثالث: أنه رجل حكيم من أهلها، قاله قتادة. قال السدي وكان ابن عمها.

الرابع: أنه عنى شهادة القميص المقدود، قاله مجاهد أيضاً [٤٩].

﴿إن كان قميصُه قد مِن قُبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾

﴿وإن كان قميصه قد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ لأن الرجل إذا طلب المرأة كان مقبلاً عليها فيكون شق قميصه من قبله دليلاً على طلبه. وإذا هرب من المرأة كان مدبراً عنها فيكون شق قميصه من دبره دليلاً على هربه.

وهذه إحدى الآيات الثلاث في قميصه: إن كان قُدَّ من دبر فكان فيه دليل على صدقه، وحين جاءوا على قميصه بدم كذب، وحين ألقي على وجه أبيه فارتدّ بصيراً [٥٠].

﴿فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ علم بذلك صدق يوسف فصدّقه وقال إنه من كيدكن [٥١].

وفي الكيد هنا وجهان:

أحَدهما: يعني به كذبها عليه.

---

(٤٧) قال العلامة الألوسي رحمه الله (١٢/٢٢١).. وجعل الله تعالى الشاهد من أهلها قيل ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وألزم لها أ.هـ.

(٤٨) وقد عقب الشوكاني على هذا القول في فتح القدير (٣/٢٠) بقوله: «لعله لم يستحضر قوله تعالى﴿من أهلها﴾.

(٤٩) وعقب على قول مجاهد هذا العلامة الألوسي في روح المعاني (١٢/٢٢١) بقوله «ليس بشيء كما لا يخفى».

(٥٠) راجع التعليق رقم ٢٩.

(٥١) يعني كأنه قال أنت التي راودتيه فلم يفعل وفر فاجتذبتيه فشققت قميصه فهو الصادق في إسناد المراودة إليك وأنت الكاذبة في نسبة السوء إليه روح المعاني (١٢/٢٢٤).

الثاني: أنه أراد السوء الذي دعته إليه.

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: أنه الزوج، قاله محمد بن إسحاق.

الثاني: أنه الشاهد، حكاه علي بن عيسى.

قوله عزوجل: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أعرض عن هذا الأمر، قال قتادة: على وجه التسلية له في ارتفاع الإثم.

الثاني: أعرض عن هذا القول، قاله ابن زيد على وجه التصديق له في البراءة من الذنب.

﴿واستغفري لذنبك﴾ هذا قول الملك لزوجه وهو القائل ليوسف أعرض عن هذا. وفيه قولان:

أحدهما: أنه لم يكن غيوراً فلذلك كان ساكتاً.

الثاني: أن الله تعالى سلبه الغيرة وكان فيه لطف بيوسف حتى كفى بادرته وحلم عنها فأمرها بالاستغفار من ذنبها توبة منه وإقلاعاً عنه.

﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني من المذنبين، يقال لمن قصد الذنب خَطِيءَ، ولمن لم يقصده أخطأ، وكذلك في الصوب والصواب، قال الشاعر [٥٢]:

لعمرك إنما خطئي وصوبي ... عليّ وإنما أهلكت مالي

وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث.

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ

(٥٢) هو أوس بن غلفاء والبيت في اللسان (صوب)، ونوادر ابن زيد، وطبقات فحول الشعراء ١٤٠ ومجاز القرآن (١/٢٤١) ورواية اللسان دعيني انما خطئي وصوبي وفي رواية اخرى ذريني إنما خطئي وصوبي.

مَا ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: **﴿وقال نسوة في المدينة﴾** قال جويبر: كن أربعاً: امرأة الحاجب وامرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة القهرمان. قال مقاتل: وامرأة صاحب السجن وفي هذه المدينة قولان:

أحدهما: مصر.

الثاني: عين شمس.

﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ قلن ذلك ذماً لها وطعناً فيها وتحقيقاً لبراءة يوسف وإنكاراً لذنبه.

والعزيز اسم الملك مأخوذ من عزته، ومنه قول أبي دؤاد (٥٣):

درة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم طل

﴿قد شغفها حبّاً﴾ أي قد دخل حبه من شغاف قلبها. وفي شغاف القلب خمسة أقاويل:

أحدها: أنه حجاب القلب، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه غلاف القلب وهو جلدة رقيقة بيضاء تكون على القلب وربما سميت لباس القلب، قاله السدي وسفيان.

الثالث: أنه باطن القلب، قاله الحسن، وقيل هو حبة القلب.

الرابع: أنه ما يكون في الجوف، قاله الأصمعي.

الخامس: هو الذعر والفزع الحادث عن شدة الحب، قاله إبراهيم.

وقد قرىء في الشواذ عن ابن محيصن: قد شعفها حباً (بالعين غير معجمة) واختلف في الفرق بينهما على قولين:

---

(٥٣) البيت أورده الطبري (١٦/٦٢).

أحدهما: أن الشغف بالغين معجمة هو الجنون(*) وبالعين غير معجمة هو الحب، قاله الشعبي.

والثاني: أن الشغف بالإعجام الحب القاتل، والشعف بغير إعجام دونه، قاله ابن عباس وقال أبو ذؤيب:

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدته أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف

﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق.

الثاني: معناه في محبة شديدة. ولما اقترن شدة حبها بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها.

قوله عزوجل: ﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه ذمهن لها وإنكارهن عليها.

الثاني: أنها أسرت إليهن بحبها له فأشعْن ذلك عنها.

﴿أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ﴾ وفي ﴿أعتدت﴾ وجهان:

أحدهما: أنه من الإعداد.

الثاني: أنه من العدوان.

وفي (المُتْكَأ) ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه المجلس، قاله ابن عباس والحسن.

والثاني: أنه النمارق والوسائد يتكأ عليها، قاله أبو عبيدة والسدي.

الثالث: أنه الطعام مأخوذ من قول العرب اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده، وأصله أن من دعي إلىٰ طعام أُعد له متكأ فسمي الطعام بذلك متكأ على الاستعارة.

فعلى هذا أي الطعام هو؟

فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه الزُّماورد (٥٤)، قاله الضحاك وابن زيد.

(*) وفي نسخة للمخطوطة الحيوان وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

(٥٤) هو الرقاق الملفوف باللحم وغيره أو هو شيء يشبه الأترج وفي الطبري (١٦ / ٧٠) البزماورد بدلاً من الزماورد.

الثاني: أنه الأترج، قاله ابن عباس ومجاهد وهو وتأويل من قرأها مخففة غير مهموزة، والمتْك في كلامهم الأترج، قال الشاعر[٥٥]:

نشرب الإثم بالصُّواع جهارا   وترى المتك بيننا مستعارا

والإثم :الخمر، والمتك: الأترج.

الثالث: أنه كل ما يجز بالسكين وهو قول عكرمة لأنه في الغالب يؤكل على متكأ.

الرابع: أنه كل الطعام والشراب على عمومه، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة.

﴿وآتت كلَّ واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن﴾ وإنما دفعت ذلك إليهن في الظاهر معونة على الأكل، وفي الباطن ليظهر من دهشتهن ما يكون شاهداً عليهن. قال الزجاج: كان كالعبد لها فلم تمكنه أن يخرج إلا بأمرها.

﴿فلمّا رأينه أكبرنه﴾ وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أعظمنه، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً، قال ابن بحر.

الثالث: معناه حضن عند رؤيته[٥٦]، وهو قول رواه عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس.

وقيل: إن المرأة اذا جزعت او خافت حاضت، وقد يسمى الحيض إكباراً، قال الشاعر[٥٧]:

نأتي النساء على أطهارهن ولا   نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

---

(٥٥) اللسان «أثم» والتاج «متك» والقرطبي (١٢/ ١٧٨).

(٥٦) رواه الطبري (١٦/ ٧٦) وسنده ضعيف من أجل عبد الصمد هذا وقد ترجم له الذهبي في الميزان (٢/ ٦٢٠) وذكر حديثا من منكراته وقال: فيه عبد الصمد وليس بحجة . وزاد السيوطي نسبته في الدر (٤/ ٥٣١) لابن المنذر وابن أبي حاتم وفيه زيادة بيت الشعر الآتي مباشرة.

(٥٧) اللسان «كبر» والقرطبي (١٢/ ١٨٠) والطبري (١٦/ ٧٧) وقال العلامة ابن جرير (١٦/ ٧٧) «وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في أكبرن بمعنى حضن بيناً لا أحسب أن له أصلاً لأنه ليس بالمعروف عند الرواة . . . ثم ساق البيت السابق.

قلت: وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٢٢) إنكار أبي عبيدة وغيره الإكبار بمعنى الحيض راجع ايضاً روح المعاني (١٢/ ٢٣٠).

﴿وقطعن أيديهن﴾ دهشاً ليكون شاهداً عليهن على ما أضمرته امرأة العـزيز فيهن.

وفي قطع أيديهن وجهان:

أحدهما: أنهن قطعن أيديهن حتى بانت.

الثاني: أنهن جرحن أيديهن حتى دميت، من قولهم قطع فلان يده إذا جرحها.

﴿وقلن حاش لله﴾ بالألف في قراءة أبي عمرو ونافع في رواية الأصمعي وقرأ الباقون حاش لله بإسقاط الألف، ومعناهما واحد.

وفي تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: معاذ الله، قاله مجاهد.

الثاني: معناه سبحان الله، قاله ابن شجرة.

وفي أصله وجهان:

أحدهما: أنه مأخوذ من قولهم كنت في حشا فلان اي في ناحيته.

والثاني: أنه مأخوذ من قولهم حاش فلاناً أي اعزله في حشا يعني في ناحية.

﴿ما هذا بشراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما هذا أهلاً للمباشرة.

الثاني: ما هذا من جملة البشر (٥٨). وفيه وجهان:

أحدهما: لما علمن من عفته وأنه لو كان من البشر لأطاعها.

الثاني: لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع.

﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾وقرىء ما هذا بشراً (٥٩) (بكسر الباء والشين) أي ما هذا عبداً مشترى إن هذا إلا ملك كريم، مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة(٦٠) تعظيماً لشأنه.

قوله عز وجل **﴿قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه﴾** وهذا يدل على أنها دعته إلى نفسها ثانية بعد ظهـور حالهما، فقال: **﴿رب السجن أحب إليَّ﴾** يعني

---

(٥٨) والقول الثاني هو الصواب كما لا يخفى.

(٥٩) وهي قراءة ابن الحويرث الحنفي كما في الطبري (٨٤/١٦) وفيها قراءة أخرى وهي قراءة لابن مسعود هكذا بشراءٍ كما في زاد المسير (٢١٩/٤).

(٦٠) وليس في الآية ما يدل على تفضيل الملك على البشر كما ذهب إلى ذلك المعتزلة وأيدهم بعض المفسرين كالفخر الرازي راجع روح المعاني (٢٣١/١٢).

الحبس في السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أراد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع إما تعظيماً لشأنها في الخطاب وإما ليعدل عن التصريح إلى التعريض.

الثاني: أنه أراد بذلك جماعة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدنه لاستحسانهن له واستمالتهن لقلبه.

﴿وإلاّ تصرف عني كيدهن﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما دعي إليه من الفاحشة إذا أضيف ذلك إلى امرأة العزيز.

الثاني: استمالة قلبه اذا أضيف ذلك إلى النسوة.

﴿أَصْبُ إليهن﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أتابعهن، قاله قتادة.

الثاني: أمل إليهن، ومنه قول الشاعر[٦١]:

الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ في الآيات التي رأوها وجهان:

أحدهما: قدُّ القميص وحز الأيدي.

الثاني: ما ظهر لهم من عفته وجماله حتى قلن ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾.

﴿ليسجننه حتى حين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الحين ها هنا ستة أشهر، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه سبع سنين، قاله عكرمة.

(٦١) هو يزيد بن ضبة الثقفي والبيت في الأغاني (١٠٢/٧) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١١/١) والطبري (٨٩/١٦).

الثالث: أنه زمان غير محدود، قاله كثير من المفسرين(٦٢) .

وسبب حبسه بعد ظهور صِدْقه ما حكى السدي أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني وقال إني راودته عن نفسه، فإما أن تطلقني حتى أعتذر وإما أن تحبسه مثل ما حبستني، فحبسه(٦٣) .

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ودخَلَ معه السجن فتيان﴾ قال ابن عباس:

كان أحدهما خازن الملك على طعامه، وكان الآخر ساقي الملك على شرابه، وكان الملك وهو الملك الأكبر الوليد بن الرّيان قد اتهمهما بسمّه فحبسهما، فحكى مجاهد أنهما قالا ليوسف لما حُبسا معه: والله لقد أحببناك حين رأيناك، فقال يوسف: أنشدكما بالله أن أحببتماني فما أحبّني أحد إلا دخل عليّ من حبه بلاء(٦٤) ، لقد أحبتني عمتي فدخل عليّ من حبها بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه

---

(٦٢) وهو قول قتادة قال العلامة الشوكاني في فتح القدير (٢٧/٣) «إن كان المراد بالآيات الدالة على براءته فلا يصح عد قطع أيدي النسوة منها لأنه وقع منهن ذلك لما حصل من الدهشة عند ظهوره لهن على ما ألبسه الله سبحانه من الجمال الذي تنقطع عند مشاهدته عرى الصبر وتضعف عند رؤيته قوى التجلد وإن كان المراد الآيات الدالة على أنه قد أعطي من الحسن ما يسلب عقول المبصرين ويذهب بإدراك الناظرين فنعم يصح عد قطع الأيدي من جملة الآيات ولكن ليس هذه الآيات هي المرادة هنا».

(٦٣) وهو الصواب قال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٢/٤): وهذا هو الصحيح لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة وانما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

(٦٤) قال العلامة الألوسي (٢٣٧/١٢) قال ابن عباس أنه أمر به عليه السلام فحمل على حمار وضرب معه الطبل ونودي عليه في أسواق مصر أن يوسف العبراني راود سيدته فهذا جزاؤه وكان ابن عباس رضي الله عنهما كما قال أبو صالح كلما ذكر هذا بكى وأرادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال بنفسها وأعوانها أ هـ قلت: وهكذا يفعل كثير من الظلمة يلصقون التهم بالبريء وهم أهلها وما أكثرهم في زماننا والأمثلة على هذا لا تعد ولا تحصى وإن شئنا سميت لك منهم لا كَثَّرَهُمُ الله.

بلاء [٦٥] ، ثم أحبتني زوجة صاحبي العزيز فدخل عليّ من حبها بلاء، لا أريد أن يحبني إلا ربي.

وقال ﴿فتيان﴾ لأنهما كان عبدين، والعبد يسمى فتى صغيراً كان أم كبيراً.

﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحملُ فوق رأسي خُبزاً تأكل الطير منه﴾ وسبب قولهما ذلك ما حكاه ابن جرير الطبري [٦٦] أنهما سألاه عن علمه [٦٧] فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها قال مجاهد وابن إسحاق: وكذلك صدق تأويلها. روى محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال **«أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»** [٦٨] .

الثاني: أنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجربة [٦٩] ، فلما أجابهما قالا: إنما كنا نلعب فقال **﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾** وهذا معنى قول ابن مسعود والسدي.

الثالث: أن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.

وقوله **﴿إني أراني أعصر خمراً﴾** أي عنباً. وفي تسميته خمراً وجهان:

أحدهما: لأن عصيره يصير خمراً فعبر عنه بما يؤول إليه.

الثاني: أن أهل عُمان يسمون العنب خمراً، قاله الضحاك. وقرأ ابن مسعود: إني أراني أعصر عنباً.

﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: أنهم وصفوه بذلك لأنه كان يعود مريضهم ويعزي حزينهم ويوسع على من ضاق مكانه منهم، قاله الضحاك.

الثاني: معناه لأنه كان يأمرهم بالصبر ويعدهم بالثواب والأجر.

---

(٦٥) ويقول أشرف الخلق ﷺ إن البلايا أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه» رواه ابن حبان (٤/٢٥٥) من حديث عبدالله بن مغفل. وحسنه الألباني صحيح الجامع الصغير رقم ١٥٩٢.

(٦٦) جامع البيان (١٦/٩٥).

(٦٧) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب «عن عمله» والتصويب من الطبري (١٦/٩٥).

(٦٨) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٢٦٣ وأوله «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب. . . .

(٦٩) أي اختباراً له.

الثالث: إنا نراك ممن أحسن العلم. حكاه ابن جرير الطبري (٧٠).

الرابع: أنه كان لا يرد عذر معتذر.

الخامس: أنه كان يقضي حق غيره ولا يقضي حق نفسه.

السادس: إنا نراك من المحسنين إن أنبأتنا بتأويل رؤيانا هذه، قاله ابن إسحاق.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله عز وجل **﴿قَال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾** فيه ثلاثة أوجه (٧١):

أحدها: لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة قاله السدي.

الثاني: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يصلكما لأنه كان يخبر بما غاب مثل عيسى، قاله الحسن.

الثالث: أن الملك كان من عادته إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً وأرسل به إليه، فكره يوسف تعبير رؤيا السوء قبل الإياس من صاحبها لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه، فلما ألحّ عليه عبرها، لئلا يخوفه بها فوعده بتأويلها عند وصول الطعام إليه، فلما ألحَّ عليه عبرها، قاله ابن جريج. وكذلك روى ابن سيرين عن أبي هريرة (٧٢) قال: قال رسول الله ﷺ **«من رأى رؤيا فلا يقصها إلا على حبيب أو لبيب»**.

---

(٧٠) واختاره ابن جرير (١٦/ ١٠٠).

(٧١) جامع البيان (١٦/ ١٠٠).

(٧٢) حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٢٢٧١) وأبو داود (٥٠١٩) ولفظه «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو =

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ يعني تأويل الرؤيا.

﴿إني تركت ملة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ وإنما عدل عن تأويل ما سألاه عنه لما كان فيها من الكرامة، وأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون تنبيهاً لهم على ثبوته وحثاً لهم على طاعة الله.

قوله عزوجل: ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس﴾ قال ابن عباس: من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء، وعلى الناس أن بعثنا إليهم رسلاً.

ويحتمل وجهاً آخر [٧٣] ذلك من فضل الله علينا في أن برأنا من الزنى، وعلى الناس من أن خلصهم من مأثم القذف.

﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ذلك الدين القيم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ذلك الدين المستقيم، قاله السدي.

الثاني: الحساب البيّن، قاله مقاتل بن حيان.

الثالث: يعني القضاء الحق، قاله ابن عباس.

﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

= ناصح» وحسَّنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٢/٥٢٣) وأما هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف فروى نحوه أبو داود (٥٠٢٠).

والحاكم (٤/٣٩٠) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في الفتح (١/٣٧٧) من حديث لقيط بن عامر بن صبرة ولفظه.. رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة... الحديث وفيه وأحسبه قال.. ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً.

(٧٣) زدناها ليستقيم سياق الكلام.

قوله عزوجل: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾ وهو الذي قال: إني أراني أعصر خمراً، بشره بالنجاة وعوده إلى سقي سيده خمراً لأنه كان ساقيه.

﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ وهو الذي قال ﴿اني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه﴾ فأنذره بالهلكة وكان خباز الملك، قال ابن جرير: (٧٤) وكان اسمه مجلثاً، واسم الساقي نبواً. فلما سمع الهالك منهما تأويل رؤياه قال: إنما كنا نلعب.

قال ﴿قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ فيه وجهان:

أحدهما: قضي السؤال والجواب.

الثاني: سيقضى تأويله ويقع.

فإن قيل: فكيف قطع بتأويل الرؤيا وهو عنده ظن من طريق الاجتهاد الذي لا يقطع فيه؟ ففيه وجهان:

أحدهما: يجوز أن يكون قاله عن وحي من الله تعالى.

الثاني: لأنه نبي يقطع بتحقيق ما أنطقه الله تعالى وأجراه على لسانه، بخلاف من ليس بنبي.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني للذي علم أنه ناج، فعبر عن العلم بالظن، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه ظن ذلك من غير يقين.

وفي ظنه وجهان:

أحدهما: لأن عبارة الرؤيا بالظن فلذلك لم يقطع به، قاله قتادة.

الثاني: أنه لم يتيقن صدقهما في الرؤيا فكان الظن في الجواب لشكه في صدقهما.

(٧٤) حكاه في جامع البيان (١٦/ ٩٥) عن ابن إسحاق.

﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند سيدك يعني الملك الأكبر الوليد بن الريان تأميلاً للخلاص إن ذكره عنده

﴿فأنساه الشيطان ذكر ربِّه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الذي نجا منهما أنساه الشيطان ذكر يوسف عند سيده حتى رأى الملك الرؤيا قاله محمد بـن إسحـاق.

الثاني: أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه.

روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (٧٥) «**رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال: اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث**».

﴿فلبث في السِّجن بضع سنين﴾ قال ابن عباس: عوقب يوسف بطول السجن بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه.

وفي «البضع» أربعة أقاويل:

أحدها: من ثلاث إلى سبع، وهذا قول أبي بكر الصديق وقطرب.

الثاني: من ثلاث إلى تسع، قاله مجاهد والأصمعي.

الثالث: من ثلاث إلى عشر، قاله ابن عباس.

الرابع: ما بين الثلاث إلى الخمس، حكاه الزجاج (٧٦).

قال الفراء: والبِضع لا يذكر إلا مع العشرة والعشرين إلى التسعين، ولا يذكر بعد المائة.

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً ثلاثة أقاويل:

أحدها: سبع سنين، قاله ابن جريج وقتادة.

الثاني: أنه لبث اثنتي عشرة سنة، قاله ابن عباس.

الثالث: لبث أربع عشرة سنة، قاله الضحاك، وإنما البضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله.

---

(٧٥) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة كما في الدر (٤/٥٤١).

(٧٦) والصواب أن البضع ما بين السبع إلى التسع كما ورد مرفوعاً.

رواه أحمد (٤/١٦٨) والطبري (١٧/٢١) والترمذي (٢/١٥٠) وحسنه من حديث ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع وسيأتي في تفسير سورة الروم.

وقال وهب: حبس يوسف سبع سنين، ومكث أيوب في البلاء سبع سنين [(٧٧)].

قال الكلبي: حبس سبع سنين بعد الخمس السنين التي قال فيها ﴿اذكرني عند ربك﴾.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقراتٍ سمان..﴾ الآية. وهذه الرؤيا رآها الملك الأكبر الوليد بن الريان وفيها لطف من وجهين:

أحدهما: أنها كانت سبباً لخلاص يوسف من سجنه.

الثاني: أنها كانت نذيراً بجدب أخذوا أهبته وأعدوا له عدته.

﴿يا أيها الملأ افتوني في رؤياي﴾ وذلك أن الملك لما لم يعلم تأويل رؤياه نادى بها في قومه ليسمع بها من يكون عنده عِلْمٌ بتأويلها فيعبرها له.

قوله عزوجل: ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني أخلاط أحلام، قاله معمر وقتادة.

(٧٧) والصواب أنه مكث في البلاء ثمان عشرة سنة كما رواه أبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم من حديث انس مرفوعاً وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ١٧.

الثاني: ألوان أحلام، قاله الحسن.

الثالث: أهاويل أحلام قاله مجاهد.

الرابع: أكاذيب أحلام، [٧٨] قاله الضحاك.

وفيه خامس: شبهة أحلام[٧٩]، قاله ابن عباس.

قال أبو عبيدة: الأضغاث ما لا تأويل له من الرؤيا، ومنه قول الشاعر:

كضغث حلم غُرَّ منه حالمُه.

وروى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «**إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب**»[٨٠].

وفي تقارب الزمان وجهان:

أحدهما: أنه استواء الليل والنهار لأنه وقت اعتدال تنفتق فيه الأنوار وتطلع فيه الثمار فكان أصدق الزمان في تعبير الرؤيا.

الثاني: أنه آخر الزمان وعند انتهاء أمده.

والأضغاث جمع واحده ضغث والضغث الحزمة من الحشيش المجموع بعضه إلى بعض وقيل هو ملء الكف، ومنه قوله تعالى: ﴿**خذ بيدك ضغثاً**﴾ وقال ابن مقبل[٨١]:

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ ... أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ

والأحلام جمع حُلم، والحُلم الرؤيا في النوم، وأصله الأناة، ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما يرى في النوم حلم لأنها حال أناة وسكون.

﴿**وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**﴾ فدل ذلك على أنه ليس التأويل الأول مما تؤول به الرؤيا هو الحق المحكوم به لأن يوسف عرفهم تأويلها بالحق، وإنما قال يوسف للغلامين ﴿**قضي الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾ لأنه منه نذير نبوة. ويجوز أن يكون

---

(٧٨) قال الحافظ في الفتح (٨/٣٦٠) ولأبي يعلى من حديث ابن عباس في قوله ﴿**أضغاث أحلام**﴾ قال: هي الأحلام الكاذبة أ هـ قلت: ورواه الطبري (١٦/١١٨) عنه بسند مسلسل بالضعفاء.

(٧٩) رواه الطبري (١٦/١١٨) ولفظه عن ابن عباس قوله ﴿**أضغاث أحلام**﴾ يقول مشتبهة. قلت وفي سنده انقطاع بن علي بن أبي طلحة وابن عباس.

(٨٠) تقدم تخريجه في تعليق رقم ٦٨.

(٨١) أورده الطبري في التفسير (١٦/١١٨) والألوسي في روح المعاني (١٢/٢٥١).

الله تعالى صرف هؤلاء عن تفسير هذه الرؤيا لطفاً بيوسف ليتذكر الذي نجا منهما حاله فتدعوهم الحاجة إليه فتكون سبباً لخلاصه.

قوله عزوجل: ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بَعْدَ أمة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني بعد حين، قاله ابن عباس.

الثاني: بعد نسيان، قاله عكرمة.

الثالث: بعد أمة من الناس، قاله الحسن.

قال الحسن: أُلقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة وجمع له شمله (٨٢) فعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة.

وقرىء ﴿وادّكر بعد أمَهٍ﴾ بفتح الألف وتخفيف الميم، والأمه: بالتخفيف النسيان.

﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ أي أخبركم بمن عنده علم بتأويله ثم لم يذكره لهم.

قال ابن عباس: لم يكن السجن بالمدينة فانطلق إلى يوسف حين أذن له وذلك بعد أربع سنين بعد فراقه.

قوله عزوجل: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا﴾ احتمل تسميته بالصديق وجهين:

أحدهما: لصدقه في تأويل رؤياهما.

الثاني: لعلمه بنبوته.

والفرق بين الصادق والصديق أن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كل صدّيق صادقاً وليس كل صادق صدّيقاً.

﴿أفتنا في سبع بقرات سمان﴾ قال قتادة: هي السنون المخصبات.

﴿يأكلهن سبع عجافٌ﴾ قال قتادة: هي السنون المجدبات.

﴿وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات﴾ والخضر الخصب لأن الأرض بنباتها

---

(٨٢) هو أبو زبيد الطائي والبيت في أمالي اليزيدي ٨ وجمهرة أشعار العرب ١٣٨ ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣١٣/١) واللسان نجد، عصر.

خضراء، واليابسات هي الجدب لأنّ الأرض فيه يابسة، كما أن ماشية الخصب سمان، وماشية الجدب عجاف.

﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي لكي أرجع الى الناس وهو الملك وقومه، ويحتمل أن يريد الملك وحده فعبر عنه بالناس تعظيماً له.

﴿ولعلهم يعلمون﴾ لأنه طمع أن يعلموا وأشفق أن لا يعلموا، فلذلك قال **﴿لعلهم يعلمون﴾** يعني تأويلها. ولم يكن ذلك منه شكاً في علم يوسف. لأنه قد وقر في نفسه علمه وصدقه، ولكن تخوف أحد أمرين إما أن تكون الرؤيا كاذبةً، وإما ألّا يصدقوا تأويلها لكراهتهم له فيتأخر الأمر إلى وقت العيان.

قوله عزوجل: **﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: يعني تباعاً متوالية.

الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة.

﴿فما حصدتم فذروه في سُنْبُلِهِ إلا قليلاً مما تأكلون﴾ يعني فيخرج من سنبله لأن ما في السنبل مدخر لا يؤكل، وهذا القول منه أمر، والأول خبر، ويجوز لكونه نبياً أن يأمر بالمصالح، ويجوز أن يكون القول الأول أيضاً أمراً وإن كان الأظهر منه أنه خبر.

قوله عزوجل: **﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد﴾** يعني المجدبات لشدتها على أهلها.

وحكى زيد بن أسلم عن أبيه أن يوسف كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه ويدع نصفه، حتى إذا كان يوماً قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم السبع الشداد.

﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ يعني تأكلون فيهن ما ادخرتموه لهن.

﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مما تدخرون، قاله قتادة.

الثاني: مما تخزنون في الحصون.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: إلا قليلاً مما تبذرون لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات.

قوله عزوجل: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يغاثون بنزول الغيث، قاله ابن عباس.

الثاني: يغاثون بالخصب، حكاه ابن عيسى.

﴿وفيه يعصرون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعصرون العنب والزيتون من خصب الثمار، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: أي فيه يحلبون المواشي من خصب المراعي، قاله ابن عباس.

الثالث: يعصرون السحاب بنزول الغيث وكثرة المطر، من قوله تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجَّاجاً﴾ [النبأ: ١٤]. قاله عيسى بن عمر الثقفي.

الرابع: تنجون، مأخوذ من العُصْرة وهي المنجاة، قاله أبو عبيدة والزجاج، ومنه قول الشاعر[٨٣]:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عُصْرَة المنجود

الخامس: تحسنون وتفضلون، ومنه قول الشاعر[٨٤]:

لو كان في أملاكنا ملك يعصر فينا مثل ما تعصر

أي يحسن. وهذا القول من يوسف غير متعلق بتأويل الرؤيا وإنما هو استئناف خبر أطلقه الله تعالى عليه من آيات نبوته.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ يعني يوسف عليه السلام.

---

(٨٣) والطبري (١٦/١٣١).

(٨٤) هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (عصر) وروايته.

نو كان في أملاكنا واحد يعصر فينا كالذي تعصر

﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾ يعني الملك.

﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ وإنما توقف عن الخروج مع طول حبسه ليظهر للملك عذره قبل حضوره فلا يراه مذنباً ولا خائناً[٨٥].

فروى أبو الزناد عن أبي هريرة قال[٨٦]: قال رسول الله ﷺ **«يرحم الله يوسف إنه كان ذا أناةٍ لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل لخرجت سريعاً»**.

وفي سؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز ثلاثة أوجه:

أحدها: ان في سؤاله عنها ظِنَّةً ربما صار بها متهماً.

والثاني: صيانة لها لأنها زوج الملك فلم يتبـذلها بالذكر.

الثالث: أنه أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها.

﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه إن الله بكيدهن عليم.

الثاني: أن سيدي الذي هو العزيز بكيدهن عليم.

قوله عزوجل: **﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾** فهذا سؤال الملك قد تضمن تنزيه يوسف لما تخيله من صدقه لطفاً من الله تعالى بـه حتى لا تسرع واحدة منهن إلى التكذب عليه.

وفي قوله: **﴿راودتن﴾** وإن كانت المراودة من إحداهن وجهان:

أحدهما: أن المراودة كانت من امرأة العزيز وحدها فجمعهن في الخطاب وإن توجه إليها دونهن احتشاماً لها.

الثاني: أن المراودة كانت من كل واحدة منهن.

﴿قلن حاش للـه ما علمنا عليه من سوءٍ﴾ فشهدن له بالبراءة من السوءعلى علمهن لأنها شهادة على نفي، ولو كانت شهادتهن على إثبات لشهدن قطعاً، وهكذا

---

(٨٥) إنها لعظمة من نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام إذا دلت فإنما تدل على عزة المؤمن الواثق بربه تبارك وتعالى وتدل على اعتزازه بإيمانه وقوة جأشه.

(٨٦) رواه الطبري (١٦/ ١٣٤) واللفظ له وفي سنده رجل مجهول ويغني عن هذا الضعيف ما رواه البخاري (٨/ ٣٦٦) والطبري (١٦/ ١٣٥) ومسلم (٢/ ١٨٣) ١٥/ ٣٢٢، ١٨٣، ولفظه عند الطبري «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

* وفي نسخة للمخطوطة: عن الأعرج عن أبي هريرة.

حكم الله تعالى في الشهادات أن تكون على العلم في النفي، وعلى القطع في الإثبات.

﴿قالت امرأة العزيز الآنَ حصحص الحق﴾ معناه الآن تبين الحق ووضح، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وأصله مأخوذ من قولهم حَصّ شعره اذا استأصل قطعه فظهرت مواضعه ومنه الحصة من الأرض إذا قطعت منها. فمعنى حصحص الحق أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه. وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل قوله: **(كبوا ، وكبكبوا)** قاله الزجاج. وقال الشاعر[٨٧] :

ألا مبلغ عني خداشاً فإنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم

﴿أنا راودته عن نفسه، وإنه لمن الصادقين﴾ وهذا القول منها وإن لم تسأل عنه إظهار لتوبتها وتحقيق لصدق يوسف ونزاهته لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه، فجمع الله تعالى ليوسف في إظهار صدقه الشهادة والإقرار حتى لا يخامر نفساً ظن ولا يخالجها شك.

قوله عزوجل: **﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه [٨٨] قول امرأة العزيز عطفاً على ما تقدم، ذلك ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، يعني الآن في غيبه بالكذب عليه وإضافة السوء إليه لأن الله لا يهدي كيد الخائنين، حكاه ابن عيسى.

الثاني: أنه قول يوسف بعد أن علم بظهور صدقه، وذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب عنه في زوجته، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي.

﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ معناه وأن الله لا يهدي الخائنين بكيدهم.

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ

(٨٧) وقد أورده الشوكاني في فتح القدير (٣/٣٤) والشطر الأول فيه فإنه . .

فمن مبلغ عني خداشاً فإنه . . . .

(٨٨) لاحظ أن المؤلف قد ذكر قولين بينما نص على ثلاثة أقوال والقول الثالث هو أن هذا القول من قول العزيز وهذا الوجه قال الشوكاني في فتح القدير عنه (٣/٣٥) «وهو بعيد جداً».

رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾

قوله عزوجل: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه قول العزيز أي[٨٩] وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف.

﴿إنَّ النفس لأمارة بالسوء﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: الأمارة بسوء الظن.

الثاني: بالاتهام عند الارتياب.

﴿إلا ما رحم ربي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلَّا ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن.

الثاني: أن يثنيه حتى لا يعمل. فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز.

الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها.

﴿إلا ما رحم ربي﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه.

الثاني: إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز.

الوجه الثاني: أنه من قول يوسف، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل:

أحدها: أن يوسف لما قال ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل[٩٠]؟ فقال: وما أبريء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء، قاله السدي.

---

(٨٩) قال الشوكاني (٣/٣٤) عن قوله تعالى ﴿وما أبريء نفسي﴾ قال: «إن كان من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس وعدم التزكية بها مع أنه علم هو وغيره والناس أنه بريء وظهر ذلك ظهور الشمس وأقرت به المرأة التي ادعت عليه الباطل ونزهته النسوة اللاتي قطعن أيديهن وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقع على الحقيقة لأنها قد أقرت بالذنب واعترفت بالمراودة وبالافتراء على يوسف أ. هـ.

(٩٠) وقد تقدم قول ابن الجوزي في التعليق على هذا راجع تعليق (٤٣).

الثاني: أن يوسف لما قال ذلك غمزه جبريل عليه السلام فقال: ولا حين هممت؟ فقال **﴿وما أُبرِيء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾** قاله ابن عباس.

الثالث: أن الملك الذي مع يوسف قال له: اذكر ما هممت به، فقال: **﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾** قاله قتادة.

الرابع: أن يوسف لما قال **﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾** كره نبي الله أن يكون قد زكى نفسه فقال[٩١] **﴿وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾** قاله الحسن.

ويحتمل قوله **﴿لأمارة بالسوء﴾** وجهين:

أحدهما: يعني أنها مائلة إلى الهوى بالأمر بالسوء.

الثاني: أنها تستثقل من عزائم الأمور ما إن لم يصادف حزماً أفضت إلى السوء.

قوله عز وجل **﴿وقال الملك ائتوني به اسْتخلصه لنفسي﴾** وهذا قول الملك الأكبر لما علم أمانة يوسف اختاره ليستخلصه لنفسه في خاص خدمته.

﴿فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ لأنه استدل بكلامه على عقله، وبعصمته على أمانته فقال: **﴿إنـك اليوم لدينـا مكين أمين﴾** وهـذه منزلـة العاقـل العفيف.

وفي قوله **﴿مكين﴾** وجهان:

أحدهما: وجيـه، قاله مقاتل.

الثاني: متمكن في المنزلة الرفيعة.

وفي قوله **﴿أمين﴾** ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه بمعنى آمن لا تخاف العواقب، قاله ابن شجرة.

الثاني: أنه بمعنى مأمون ثقة، قاله ابن عيسى.

الثالث: حافظ، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: **﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾** أي على خزائن أرضك، وفيها قولان:

---

(٩١) وقد تقدم قول الشوكاني في تعليق (٨) وكأنه رحمه الله اعتمَد كلام الحسن هنا.

أحدهما: هو قول بعض المتعمقة[٩٢] أن الخزائن ها هنا الرجال، لأن الأفعال والأقوال مخزونة فيهم فصاروا خزائن لها.

الثاني: وهو قول أصحاب الظاهر أنها خزائن الأموال، وفيها قولان:

أحدهما: أنه سأله جميع الخزائن، قاله ابن زيد.

الثاني: أنه سأله خزائن الطعام، قاله شيبة بن نعامة[٩٣] الضبي.

وفي هذا دليل على جواز[٩٤] أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم.

فيما حكى ابن سيرين عن أبي هريرة قال: نزعني عمر بن الخطاب عن عمل البحرين ثم دعاني إليها فأبيت، فقال: لم؟ وقد سأل يوسف العمل.

فإن كان المولي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين:

أحدهما: جوازها إن عمل بالحق فيما تقلده[٩٥]، لأن يوسف عليه السلام ولي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.

الثاني: لا يجوز ذلك له لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة[٩٦] لهم وتزكيتهم بتنفيذ أعمالهم.

---

(٩٢) وأين الدليل على قول المتعمقة هنا.

(٩٣) هو أبو نعامة شيبة بن نعامة الضبي وهو أحد الضعفاء في الحديث ولا يحتج به له ترجمه في التاريخ الكبير (١٤٣/٢/٢) والجرح والتعديل (٣٣٥/١/٢) وميزان الاعتدال (٤٥٣/٣) ولسان الميزان (١٥٩/٣).

(٩٤) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣٥/٣) «وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق ويهدم ما أمكنه من الباطل طلب ذلك لنفسه ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيباً فيما يرومه وتنشيطاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه وجعلها منوطة به ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن نبينا ﷺ والنهي عن طلب الولاية والمنع من توليه من طلبها أو حرص عليها. . . . . إلى أن قال: وقد استدل بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق.

(٩٥) ولهذا قال الشوكاني رحمه الله (٥٣١/٢) «فكل من أمروه ابتداءً به يدخل في شيء من الأعمال التي أمرها إليهم مما لم يكن فيه معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها إذا وثق من نفسه بالقيام بما وكل إليه فذلك واجب عليه فضلاً عن أن يقال جائز له» أهـ قلت: وكلام الشوكاني هذا في تقلد الحكم عند الظلمة لا الكافرين فتنبه.

(٩٦) وقال الشوكاني رحمه الله (٥٣١/٢) «وأما مخالطتهم والدخول عليهم لجلب مصلحه عامة أو خاصة أو =

وأجاب من ذهب إلى هذا القول عن ولايته من قبل فرعون بجوابين:

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحاً، وإنما الطاغي فرعون موسى.

الثاني: أنه نظر له في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه.

والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه كالصدقات والزكوات فيجوز توليته من جهة الظالمين لأن النص على مستحقيه قد أغنى عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التنفيذ.

والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفردوا به ويلزم الإجتهاد في مصرفه كأموال الفيء فلا يجوز توليته من جهة الظالم لأنه يتصرف بغير حقٍ ويجتهد فيما لا يستحق.

والقسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد فيه محلول، فإن كان النظر تنفيذاً لحكم بين متراضيين أو توسطاً بين مجبورين جاز، وإن كان إلزام إجبار لم يجز.

﴿إني حفيظ عليم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني، قاله ابن زيد.

الثاني: حفيظ بالكتاب، عليم بالحساب، حكاه ابن سراقة، وأنه أول من كتب في القراطيس[٩٧].

الثالث: حفيظ بالحساب، عليم بالألسن، قاله الأشجع عن سفيان.

الرابع: حفيظ لما وليتني، قاله قتادة، عليم بسني المجاعة، قاله شيبة الضبي.

= دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم وعدم ميل النفس إليهم ومحبتها لهم وكراهة المواصلة لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المفسدة فعلى فرض صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصص بالأدلة الدالة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد والأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ولا تخفي على الله خافية وبالجملة فمن ابتلي بمخالطة من فيه ظلم فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع فإن زاغ عن ذلك فعلى نفسها براقش تجني ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والأليق به أ هـ.

(٩٧) وهذا يحتاج إلى نقل صحيح.

وفي هذا دليل على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكن مخصوص فيما اقترن بوصلة أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو تنزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله، فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله ولما يرجوه من الظفر بأهله.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾** قال ابن جرير الطبري[٩٨]: استخلصه الملك الأكبر الوليد بن الريان على عمل إظفير وعزله. قال مجاهد: وأسلم على يده. قال ابن عباس: ملك بعد سنة ونصف. فروى مقاتل أن النبي ﷺ قال[٩٩]: **«لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك في وقته ذلك»**.

ثم مات إظفير فزوّجه الملك بامرأة إظفير راعيل، فدخل بها يوسف فوجدها عذراء[١٠٠] وولدت له ولدين أفرائيم ومنشا[١٠١] ابني يوسف.

ومن زعم أنها زليخا[١٠٢] قال لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمها إليه فكانت في عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها.

﴿يتبوَّأ منها حيث يشاء﴾ فيه وجهان:

---

(٩٨) جامع البيان (١٦/١٤٧).

(٩٩) وهذا حديث مرسل ولم أظفر بمن خرجه.

(١٠٠) قال العلامة الألوسي(١٣/٥) وشاع عند القصاص أنها عادت بكراً إكراماً له عليه السلام بعد ما كانت ثيباً غير شابة وهذا مما لا أصل له».

(١٠١) كذا هنا وفي المطبوعة والذي في الطبري (١٦/١٥١) «ميشا».

(١٠٢) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٣/٥) «وخبر تزويجها أيضاً مما لا يعول عليه عند المحدثين».

أحدهما: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: يصنع في الدنيا ما يشاء لتفويض الأمر إليه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

﴿**نصيب برحمتنا من نشاء**﴾ يعني في الدنيا بالرحمة والنعمة.

﴿**ولا نضيع أجر المحسنين**﴾ يعني في الآخرة بالجزاء. ومنهم من حملها على الدنيا، ومنهم من حملها على الآخرة، والأصح ما قدمناه.

واختلف فيما أوتيه يوسف من هذا الحال على قولين:

أحدهما: ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه.

الثاني: أنه أنعم بذلك عليه تفضلاً منه، وثوابه باقٍ على حاله في الآخرة.

قوله عز وجل ﴿**ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا من أجر الدنيا، لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا منقطع.

الثاني: ولأجر الآخرة خير ليوسف من التشاغل بملك الدنيا ونعيمها لما فيه من التبعة.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عزوجل: ﴿**وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه**﴾ الآية. قال ابن إسحاق والسدي: وإنماجاءُوا ليمتاروا(١٠٣) من مصر في سني القحط التي ذكرها يوسف في تفسير الرؤيا، ودخلوا على يوسف لأنه كان هو الذي يتولى بيع الطعام لعزته.

﴿**فعرفهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه عرفهم حين دخلوا عليه من غير تعريف، قاله ابن عباس.

(١٠٣) يعني يأخذوا ميرتهم وهو ما يحتاجون إليه من طعام.

الثاني: ما عرفهم حتى تعرفوا إليه فعرفهم، قاله الحسن.

وقيل بل عرفهم بلسانهم العبراني حين تكلموا به.

قال ابن عباس: إنما سميت عبرانية لأن إبراهيم عليه السلام عبر بهم فلسطين فنزل من وراء نهر الأردن فسمّوا العبرانية.

﴿وهم له منكرون﴾ لأنه فارقوه صغيراً فكبر، وفقيراً فاستغنى، وباعوه عبداً فصار ملكاً، فلذلك أنكروه، ولم يتعرف إليهم ليعرفوه.

قوله عزوجل: ﴿ولمّا جهزهم بجهازهم﴾ وذلك أنه كال لهم الطعام، قال ابن إسحاق: وحمل لكل رجل منهم بعيراً بعدَّتهم.

﴿قال ائتوني بأخٍ لكم[١٠٤] من أبيكم﴾ قال قتادة: يعني بنيامين وكان أخا يوسف لأبيه وأمه.

قال السدي: أدخلهم الدار وقال: قد استريت بكم ـ تنكر عليهم ـ فأخبروني من أنتم فإني أخاف أن تكونوا عيوناً، فذكروا حال أبيهم وحالهم وحال يوسف وحال أخيه وتخلفه مع أبيه، فقال: إن كنتم صادقين فائتوني بهذا الأخ الذي لكم من أبيكم، وأظهر لهم أنه يريد أن يستبريء به أحوالهم. وقيل: بل وصفوا له أنه أَحَبُّ إلى أبيهم منهم، فأظهر لهم محبة رؤيته.

﴿ألا تروْن أني أوفي الكيلَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه أرخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل.

الثاني: أنه كال لهم بمكيال واف.

﴿وأنا خير المنزلين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني خير المضيفين، قاله مجاهد.

الثاني: وهو محتمل، خير من نزلتم عليه من المأمونين.

فهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام، وعلى التأويل الثاني مأخوذ من المنزل وهو الدار.

---

(١٠٤) فائدة: قال العلامة الألوسي (١٣/٨) «ولم يقل بأخيكم» مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه لا يدري من هو ولو أضافه اقتضى معرفته لإشعار الإضافة به أ. هـ.

قوله عزوجل: ﴿**فإن لم تأتوني به فلا كيْل لكم عندي**﴾ يعني فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال.

﴿**ولا تقربون**﴾ أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب. ولم يُرد أن يبعدوا منه ولا يعودوا إليه لأنه على العود حثهم.

قال السدي: وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا، فارتهن شمعون عنده. قال الكلبي: إنما اختار شمعون[١٠٥] منهم لأنه يوم الجُبّ كان أجملهم قولاً وأحسنهم رأياً.

قوله عزوجل: ﴿**قالوا سَنُرَاوِدُ عنه أباه**﴾ والمراودة الاجتهاد في الطلب، مأخوذ من الإرادة.

﴿**وإنَّا لفاعلون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وإنا لفاعلون مراودة أبيه وطلبه منه.

الثاني: وإنا لفاعلون للعود إليه بأخيهم، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه؟

قيل عن هذا أربعة أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليُعظم له الثواب فاتّبع أمره فيه[١٠٦].

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف.

الثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه.

والرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه.

قوله عزوجل: ﴿**وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم**﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص[١٠٧] ﴿**لفتيانه**﴾ وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم غلمانه، قاله قتادة.

الثاني: أنهم الذين كالوا لهم الطعام، قاله السدي.

---

(١٠٥) وقيل يهوذا و هو المشهور، راجع روح المعاني (٨/١٣).

(١٠٦) قال ابن الجوزي في زاد المسير عن هذا القول (٤/٢٤٨) «وهذا الأظهر» وبعد أن سرد الأقوال قال «كل هذه الأجوبة مدخولة إلا الأول فإنه الصحيح».

(١٠٧) وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمر وأبو بكر عن عاصم «لفتيته» زاد المسير (٤/٢٤٩) والمبسوط ص ٢٤٧.

وفي بضاعتهم قولان:

أحدهما: أنها وَرِقهم[١٠٨] التي ابتاعوا الطعام بها.

الثاني: أنها كانت ثمانية جُرُب فيها سويق المقل، قاله الضحاك.

وقال بعض العلماء: نبه الله تعالى برد بضاعتهم إليهم على أن أعمال العباد تعود إليهم فيما يثابون إليه من الطاعات ويعاقبون عليه من المعاصي.

﴿لعلهم يعرفونها﴾ أي ليعرفوها.

﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ يعني رجعوا إلى أهلهم، ومنه قوله تعالى **﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾** [آل عمران: ١٧٤].

﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا.

فإن قيل: فلم فعل ذلك يوسف؟

قيل: يحتمل أوجهاً خمسة:

أحدها: ترغيباً لهم ليرجعوا، على ما صرّح به.

الثاني: أنه علم منهم أنهم لا يستحلّون إمساكها، وأنهم يرجعون لتعريفها.

الثالث: ليعلموا أنه لم يكن طلبه لعودهم طمعاً في أموالهم.

الرابع: أنه خشي أن لا يكون عند أبيه غيرها للقحط الذي نزل به.

الخامس: أنه تحرج أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن قوتهم مع شدة حاجتهم.

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

قوله عزوجل: **﴿فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِعَ مِنّا الكيل﴾** واختلفوا في نزلهم الذي رجعوا إليه إلى أبيهم على قولين:

أحدهما: بالعربات[١٠٩] من أرض فلسطين.

---

(١٠٨) الورق بكسر الراء مفتوح ما قبلها هو الفضة والمراد به هنا الدراهم التي كانوا يدفعونها لشراء الحاجيات.

(١٠٩) هو وادي في جنوب البحر الميت في فلسطين. معجم البلدان لياقوت الحموي.

الثاني: بالأولاج[١١٠] من ناحية الشعب أسفل من حمس. وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل.

﴿قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي سيمنع منا الكيل إن عدنا بغير أخينا لأن ملك مصر ألزمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه.

﴿فأرسل معنا أخانا نكتَل﴾ أي إن أرسلته معنا أمكننا أن نعود إليه ونكتال منه.

﴿وإنا له لحافظون﴾ ترغيباً له في إرساله معهم.

فلم يثق بذلك منهم لما كان منهم في يوسف.

﴿قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ لأنهم ضمنوا له حفظ يوسف فأضاعوه، فلم يثق بهم فيما ضمنوه.

﴿فالله خير حافظاً﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص[١١١] ﴿حافظاً﴾ يعني منكم لأخيكم.

﴿وهو أرحم الراحمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أرحم الراحمين في حفظ ما استودع.

والثاني: أرحم الراحمين فيما يرى من حزني.

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

قوله عز وجل: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم﴾ أي وجدوا التي كانت بضاعتهم وهو ما دفعوه في ثمن الطعام الذي امتاروه.

﴿قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ فيه وجهان:

---

(١١٠) الأولاج وحمس: اسم لجبلين في الأراضي السعودية راجع معجم البلدان لياقوت.

(١١١) وفيها قراءة أخرى وهي «حفظاً» وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وعلى هذه القراءة يكون المعنى فالله خير حفظاً من حفظكم» راجع زاد المسير (٤/ ٢٥١).

أحدهما: أنه على وجه الاستفهام بمعنى ما نبغي بعد هذا الذي قد عاملنا به، قاله قتادة.

الثاني: معناه ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن الملك، حكاه ابن عيسى.

﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ احتمل أن يكون قولهم ذلك له تعريفاً واحتمل أن يكون ترغيباً، وهو أظهر الاحتمالين.

﴿ونمير أهلنا﴾ أي نأتيهم بالميرة، وهي الطعام المقتات، ومنه قول الشاعر[١١٢]:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً متى يأتي غياثك من تغيث.

﴿ونمير أهلنا﴾ هذا ترغيب محض ليعقوب.

﴿ونحفظ أخانا﴾ وهذا استنزال.

﴿ونزداد كيل بعير﴾ وهو ترغيب وفيه وجهان:

أحدهما: كيل البعير نحمل عليه أخانا.

والثاني: كيل بعير هو نصيب أخينا لأن يوسف قسّط الطعام بين الناس فلا يعطى الواحد أكثر من حمل بعير.

﴿ذلك كَيْلٌ يسير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الذي جئناك به كيل يسير لا ينفعنا.

والثاني: أن ما نريده يسير على من يكيل لنا، قاله الحسن. فيكون على الوجه الأول استعطافاً، وعلى الثاني تسهيلاً.

وفي هذا القول منهم وفاءٌ، ليوسف فيما بذلوه من مراودة في اجتذاب أخيهم لأنهم قد راودوه من سائر جهات المراودة ترغيباً واستنزالاً واستعطافاً وتسهيلاً.

قوله تعالى: ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ في هذا الموثق ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه إشهادهم الله على أنفسهم.

الثاني: أنه حلفهم بالله[١١٣]، قاله السدي.

(١١٢) أورده الطبري (١٦/١٦٢) ولم ينسبه لأحد.

(١١٣) وهو قول اكثر المفسرين.

الثالث: أنه كفيل يتكفل بهم (١١٤).

﴿لتأتنني به إلاَّ أن يحاط بكم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني إلا أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد.

الثاني: إلا أن تُغلَبوا على أمركم، قاله قتادة.

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

قوله عز وجل: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد...﴾ يعني لا تدخلوا مصر من باب واحد، وفيه وجهان:

أحدها: يعني من باب واحد من أبوابها.

﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾، قاله الجمهور.

الثاني: من طريق واحد من طرقها ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ أي طرق، قاله السدي.

وفيما خاف عليهم أن يدخلوا من باب واحد قولان:

أحدهما: أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوي صور وجمال، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنه خاف عليهم الملك أن يرى عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسداً أو حذراً، قاله بعض المتأخرين.

﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ أي من أي شيء أحذره عليكم فأشار عليهم في الأول، وفوض إلى الله في الآخر.

---

(١١٤) وفيه قول ثالث وهو أنه أحب أن يَلقَوا يوسف في خلوه وهو قول إبراهيم النخعي راجع زاد المسير (٢٥٤/٤).

قوله عز وجل: ﴿**ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيءٍ**﴾ أي لا يرد حذر المخلوق قضاءَ الخالق.

﴿**إلاَّ حاجةً في نفس يعقوب قضاها**﴾ وهو حذر المشفق وسكون نفسه بالوصية أن يتفرقوا خشية العين.

﴿**وإنه لذو علم لما علمناه**﴾ فيه ثلاثة أوجه[115]:

أحدها: إنه لعامل[116] بما علم، قاله قتادة.

الثاني: لمتيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك.

الثالث: إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنى قول الكلبي:

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه**﴾ قال قتادة: ضمَّهُ إليه وأنزله معه.

﴿**قال إني أنا أخوك**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أخبره أنه يوسف أخوه، قاله ابن إسحاق.

الثاني: أنه قال له: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب.

﴿**فلا تبتئس بما كانوا يعملون**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فلا تأسف، قاله ابن بحر.

الثاني: فلا تحزن بما كانوا يعملون.

وفيه وجهان:

أحدهما: بما فعلوه في الماضي بك وبأخيك.

الثاني: باستبدادهم دونك بمال أبيك.

---

(١١٥) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير أربعة أقوال راجعها هناك (٤/٢٥٥).

(١١٦) قال ابن الأنباري سمي العمل علماً لأن العلم أول أسباب العمل نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٢٥٤).

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

قوله عز وجل: ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ وهو كيل الطعام لهم بعد إكرامهم وإعطائه بعيراً لأخيهم مثل ما أعطاهم.

﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ والسقاية والصواع واحد. قال ابن عباس. وكل شيء يشرب فيه فهو صواع، قال الشاعر[١١٧]:

نشرب الخمر بالصواع جهاراً وترى المتك بيننا مستعارا

قال قتادة: وكان إناء المتك[١١٨] الذي يشرب فيه.

واختلف في جنسه، فقال عكرمة كان من فضة، وقال عبد الرحمن بن زيد: كان من ذهب[١١٩]، وبه كال طعامهم مبالغة في إكرامهم.

وقال السدي: هو المكوك العادي الذي يلتقي طرفاه.

﴿ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾ أي نادى مناد فسمى النداء أذاناً لأنه إعلام كالأذان.

وفي ﴿العير﴾ وجهان:

أحدهما: أنها الرفقة.

الثاني: أنها الإبل المرحولة المركوبة، قاله أبو عبيدة.

فإن قيل: كيف استجاز يوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليسرقهم وهم برآء، وهذه معصية؟

قيل عن هذه أربعة أجوبة:

أحدها: أنها معصية فعلها الكيال ولم يأمر بها يوسف.

---

(١١٧) تقدم تخريجه.

(١١٨) كذا في المطبوعة والصواب الملك والتصويب من الطبري (١٧٢/١٦).

(١١٩) ولا طائل تحت هذا الخلاف فضلاً عن ذكره.

الثاني: أن المنادي الذي كال حين فقد السقاية ظن أنهم سرقوها ولم يعلم بما فعله يوسف، فلم يكن عاصياً.

الثالث: أن النداء كان بأمر يوسف، وعنى بذلك سرقتهم ليوسف من أبيه، وذلك صدق.

الرابع: أنها كانت خطيئة من قبل يوسف فعاقبه الله عليها بأن قال القوم ﴿**إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل**﴾ يعنون يوسف[١٢٠]. وذهب بعض من يقول بغوامض المعاني إلى أن معنى قوله ﴿**إنكم لسارقون**﴾ أي لعاقون لأبيكم في أمر أخيكم حيث أخذتموه منه وختنموه فيه.

قوله عز وجل: ﴿**قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون**﴾ لأنهم استنكروا ما قذفوا به مع ثقتهم بأنفسهم فاستفهموا استفهام المبهوت.

﴿**قالوا نفقد صواع الملك**﴾ والصواع واحد وحكى غالب الليثي عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ صوغ الملك بالغين معجمة، مأخوذ من الصياغة لأنه مصوغ من فضة أو ذهب وقيل من نحاس.

﴿**ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم**﴾ وهذه جعالة بذلت للواجد.

وفي حمل البعير وجهان:

أحدهما: حمل جمل، وهو قول الجمهور.

الثاني: حمل حمار[١٢١]، وهو لغة، قاله مجاهد.

واختلف في هذا البذل على قولين:

أحدهما: أن المنادي بذله عن نفسه لأنه قال ﴿**وأنا به زعيم**﴾ أي كفيل ضامن.

فإن قيل: فكيف ضمن حمل بعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: أن حمل البعير قد كان عندهم معلوماً كالسوق فصح ضمانه.

---

(١٢٠) وقد يقال إن هذا الفعل من وحي الله تعالى وتدبيره ويدل عليه قوله تعالى ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك.....﴾ الآية.

(١٢١) ونقل الألوسي رحمه الله في روح المعاني (١٣/١٢) أن هذا القول في اللغة عده بعضهم شاذاً.

الثاني: أنها جعالة وقد أجاز بعض الفقهاء فيها في الجهالة، ما لم يُجزْه في غيرها كما أجاز فيها ضمان ما لم يلزم، وإن منع منه في غيرها.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾** أي لنسرق، لأن السرقة من الفساد في الأرض. وإنما قالوا ذلك لهم لأنهم قد كانوا عرفوهم بالصلاح والعفاف. وقيل لأنهم ردّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ومن يؤد الأمانة في غائب لا يقدم على سرقة مال حاضر.

﴿وما كنا سارقين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما كنا سارقين من غيركم فنسرق منكم.

والثاني: ما كنا سارقين لأمانتكم فنسرق غير أمانتكم. وهذا أشبه لأنهم أضافوا بذلك إلى عملهم.

قوله عز وجل: **﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾** أي ما عقوبة من سرق منكم إن كنتم كاذبين في أنكم لم تسرقوا منا.

﴿قالوا جزاؤه مَن وُجِدَ في رحله فهو جزاؤه﴾ أي جزاء من سرق إن يُسْترق.

﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي كذلك نفعل بالظالمين إذا سرقوا وكان هذا من دين يعقوب.

﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ لتزول الريبة من قلوبهم لو بدىء بوعاء أخيه.

﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ قيل عنى السقاية فلذلك أنّث، وقيل عنى الصاع، وهو يذكر ويؤنث في قول الزجاج.

﴿كذلك كدنا ليوسُف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صنعنا ليوسف قاله الضحاك.

والثاني: دبّرنا ليوسف[١٢٢]، قاله ابن عيسى.

﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: في سلطان الملك، قاله ابن عباس.

والثاني: في قضاء الملك، قاله قتادة.

والثالث: في عادة الملك، قال ابن عيسى: ولم يكن في دين الملك استرقاق من سرق. قال الضحاك: وإنما كان يضاعف عليه الغرم.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا أن يشاء الله أن يُسْتَرق من سرق.

والثاني: إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل.

۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا إن يسرق فقد سَرَق أخ له من قبلُ﴾ يعنون يوسف. وفي هذا القول منهم وجهان:

أحدهما: أنه عقوبة ليوسف أجراها الله تعالى على ألسنتهم، قاله عكرمة.

والثاني: ليتبرأوا بذلك من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه إن سرق فقد جذبه عِـرق أخيه السارق لأن في الاشتراك في الأنساب تشاكلاً في الأخلاق.

وفي السرقة التي نسبوا يوسف إليها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه سرق صنماً كان لجده إلى أمه من فضة وذهب، وكسره وألقاه في الطريق فعيّروه بذلك، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

---

(١٢٢) كثير من العلماء والأئمة كتبوا في موضوع الحيل وحكمها الشرعي ومن أهم من ألف في هذا الموضوع الإمام محمد بن الحسن الشيباني.

الثاني: كان مع إخوته على طعام فنظر إلى عرق فخبأه، فعيّروه بذلك، قاله عطية العوفي.

الثالث: أنه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين، حكاه ابن عيسى.

الرابع: أن عمته وكانت أكبر ولد إسحاق وإليها صارت منطقة إسحاق لأنها كانت في الكبير من ولده، وكانت تكفل يوسف، فلما أراد يعقوب أخذه منها جعلت المنطقة، واتهمته فأخذتها منه، فصارت في حكمهم أحق به، فكان ذلك منها لشدة ميلها وحبها له، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن.

﴿**فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه أسر في نفسه قولهم ﴿**إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**﴾ قاله ابن شجرة وعلي بن عيسى.

الثاني: أسر في نفسه ﴿**أَنتُمْ شَرٌّ مكاناً..**﴾ الآية، قاله ابن عباس وابن إسحاق.

وفي قوله: ﴿**قال أنتم شر مكاناً**﴾ وجهان:

أحدهما: أنتم شر منزلة عند الله ممن نسبتموه إلى هذه السرقة.

الثاني: أنتم شر صنعاً لما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم.

وفي قوله تعالى: ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ تأويلان:

أحدهما: بما تقولون، قاله مجاهد.

الثاني: بما تكذبون، قاله قتادة.

وحكى بعض المفسرين أنهم لما دخلوا عليه دعا بالصواع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال: إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً وأنكم انطلقتم بأخٍ لكم فبِعْتموه، فلما سمعها بنيامين قام وسجد ليوسف وقال أيها الملك سلْ صواعك هذا عن أخي أحيٌّ هو أم هالك؟ فنقره، ثم قال: هو حي وسوف تراه. قال: فاصنع بي ما شئت، فإنه إن علم بي سينقذني. قال: فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج، فقال بنيامين: افقر[١٢٣] صواعك ليخبرك بالذي سرقه فجعله في رحلي، فنقره، فقال:

(١٢٣) كذا في المطبوعة والصواب انقر لدلالة سياق الكلام عليه.

صواعي هذا غضبان وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت[١٢٤].

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾ لكن قالوا ذلك ترقيقاً واستعطافاًوفي قولهم ﴿كبيراً﴾ وجهان:

أحدهما: كبير السن.

الثاني: كبير القدر لأن كبر السن معروف من حال الشيخ.

﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ أي عبْداً بدله.

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نراك من المحسنين في هذا إن فعلت، قاله ابن إسحاق.

الثاني: نراك من المحسنين فيما كنت تفعله بنا من إكرامنا وتوفية كيلنا وبضاعتنا.

ويحتمل ثالثاً: إنا نراك من العادلين، لأن العادل محسِن.

فأجابهم يوسف عن هذا ﴿قال معاذَ الله أن نأخذ إلا من وَجدْنا متاعنا عنده إنَّا إذاً لظالمون﴾ إن أخذنا بريئاً بسقيم، وفيه وجه ثان: إناإذاً لظالمون عندكم إذا حكمنا عليكم بغير حكم أبيكم أن من سرق استُرِقّ.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ

(١٢٤) هذا الكلام من قول السدي رحمه الله ورواه مطولاً الطبري عنه (٢٠٠/١٦) وهذا السياق من الإسرائيليات كما لا يخفى.

أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

قوله عزوجل: **﴿فلما استيأسوا منه﴾** أي يئسوا من رد أخيهم عليهم.

الثاني: استيقنوا أنه لا يرد عليهم، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الشاعر[١٢٥]:

أقول لها بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

﴿خلصوا نجيّاً﴾ أي خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون لا يختلط بهم غيرهم.

﴿قال كبيرهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه عنى كبيرهم في العقل والعلم وهو شمعون الذي كان قد ارتهن يوسف عنده حين رجع إخوته إلى أبيهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عنى كبيرهم في السن وهو روبيل ابن خالة يوسف، قاله قتادة.

الثالث: أنه عنى كبيرهم في الرأي والتمييز وهو يهوذا، قاله مجاهد.

﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ يعني عند إيفاد ابنه هذا معكم.

﴿ومن قبل ما فرَّطتم في يوسف﴾ أي ضيعتموه.

﴿فلن أبرح الأرض﴾ يعني أرض مصر.

﴿حتى يأذن لي أبي﴾ يعني بالرجوع.

﴿أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني أو يقضي الله لي بالخروج منها، وهو قول الجمهور.

الثاني: أو يحكم الله لي بالسيف والمحاربة لأنهم هموا بذلك، قاله أبو صالح.

قوله عزوجل: **﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾** وقرأ ابن عباس

(١٢٥) هو سحيم بن وثيل والبيت في اللسان «يأس» والشطر الثاني فيه.
ألم تيئسوا أني ابن فارس لازم.

﴿سُرِق﴾ بضم السين وكسر الراء[١٢٦] وتشديدها.

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ فيها وجهان:

أحدهما: وما شهدنا عندك بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من وجود السرقة في رحله، قاله ابن إسحاق.

الثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يُسترقّ إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد.

﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، قاله قتادة.

الثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسترقّ، وهو قول مجاهد.

قوله عزوجل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ وهي مصر، والمعنى واسأل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً، لأن الحال تشهد به.

﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ وفي ﴿العير﴾ وجهان:

أحدهما: أنها القافلة، وقافلة الإبل تسمى عيراً على التشبيه.

الثاني: الحمير[١٢٧]، قاله مجاهد، والمعنى أهل العير.

وقيل فيه وجه ثالث: أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه نبي، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضح برهاناً[١٢٨].

﴿وإنا لصادقون﴾ أي يستشهدون بصدْقنا أن ابنك سرق.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟

(١٢٦) وكذا الضحاك وابن أبي سريح عن الكسائي راجع زاد المسير (٤/٢٦٧).

(١٢٧) سبق التعليق على مثل هذا.

(١٢٨) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٣/٣٨) «ولا يخفى أن مثل هذا لا يقي من ارتكاب مجاز نعم هو معنى لطيف بيد أن الجمهور على خلافه وما أكثرهم على اعتبار مجاز الحذف.

تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قوله عزوجل: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بل سهلت.

الثاني: بل زينت لكم أنفسكم أمراً في قولكم إن ابني سرق وهو لا يسرق، وإنما ذاك لأمر يريده الله تعالى.

﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يعني بيوسف وأخيه المأخوذ في السرقة وأخيه المتخلف معه فهم ثلاثة.

﴿إنه هو العليم الحكيم﴾ يعني العليم بأمركم، الحكيم في قضائه بما ذكرتم.

قوله عزوجل: ﴿وتولّى عنهم وقال ياأسفَى على يوسف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه واجزعاه قاله مجاهد، ومنه قول كثير(١٢٩):

فيـا أسفـا للقلب كـيف انصـرافُـه ... ولـلنفس لـمـا سليـت فتـسلّتِ

الثاني: معناه يا جزعاه، قاله ابن عباس. قال حسان بن ثابت يرثي رسول الله ﷺ:

فيا أسفا ما وارت الأرض واستوت ... عليه وما تحت السلام المنضد

وفي هذا القول وجهان:

أحدهما: أنه أراد به الشكوى إلى الله تعالى ولم يرد به الشكوى منه رغباً إلى الله تعالى في كشف بلائه.

الثاني: أنه أراد به الدعاء، وفيه قولان:

أحدهما: مضمر وتقديره يا رب ارحم أسفي على يوسف(١٣٠).

﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه.

---

(١٢٩) أورده هنا في فتح القدير (٤٨/٣).

(١٣٠) لم يذكر هنا الوجه الثاني فتنبه.

الثاني: أنه ذهب بصره[١٣١]، قاله مجاهد.

﴿فهو كظيم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الكمد، قاله الضحاك.

الثاني: أنه الذي لا يتكلم، قاله ابن زيد.

الثالث: أنه المقهور، قاله ابن عباس، قال الشاعر[١٣٢]:

فإن أك كاظماً لمصاب شاسٍ   فإني اليوم منطلق لساني

والرابع: أنه المخفي لحزنه، قاله مجاهد وقتادة، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه، قال الشاعر:

فحضضت قومي واحتسبت قتالهم   والقوم من خوفِ المنايا كظم

قوله عز وجل: ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه لا تزال تذكر يوسف، قال أوس بن حجر[١٣٣]:

فما فتئت خيل تثوبُ وتدّعي   ويلحقُ منها لاحق وتقطّعُ

أي فما زالت. وقال مجاهد: تفتأ بمعنى تفتر.

﴿حتى تكون حرضاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني هرماً، قاله الحسن.

والثاني: دنفاً من المرض، وهو ما دون الموت، قاله ابن عباس ومجاهد.

والثالث: أنه الفاسد العقل، قاله محمد بن إسحاق. وأصل الحرض فساد الجسم والعقل من مرض أو عشق، قال العرجي[١٣٤].

إني امرؤلجّ بي حُبٌّ فأحرضني   حتى بَليتُ وحتى شفّني السقم

﴿أو تكون من الهالكين﴾ يعني ميتاً من الميتين، قاله الجميع.

---

(١٣١) تقدم الكلام عن حكم العمى بالنسبة للأنبياء.

(١٣٢) أورده في فتح القدير (٣/٤٨) ولم ينسبه.

(١٣٣) ديوانه: ١٧، المعاني الكبير (١٠٠٢)، الطبري (١٦/٢٢١)، مجاز القرآن (١/٣١٦)، جمهرة أشعار العرب (٣/٢٨٧).

(١٣٤) ديوانه: ٥، مجاز القرآن ٣١٧، اللسان (حرض) الطبري (١٦/٢٢٢)، الاشتقاق ٤٨، السمط ٤٢٢، القرطبي (٩/٢٥٠) والعرجي هو عبدالله بن عمر بن عبدالله العرجي.

فإن قيل: فكيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً متمكناً بمصر، وأبوه بحرّان من أرض الجزيرة؟ وهلاّ عجّل استدعاءه ولم يتعلل بشيء بعد شيء؟

قيل يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون فعل ذلك عن أمر الله تعالى، ابتلاء له لمصلحة علمها فيه لأنه نبيّ مأمور(١٣٥).

الثاني: أنه بلي بالسجن، فأحب بعد فراقه أن يبلو نفسه بالصبر.

الثالث: أن في مفاجأة السرور خطراً وأحب أن يروض نفسه بالتدريج(١٣٦).

الرابع: لئلا يتصور الملك الأكبر فاقة أهله بتعجيل استدعائهم حين ملك.

قوله عزوجل: ﴿قال إنما أشكو بثِّي وحزني إلى الله﴾ في بثي وجهان:

أحدهما: همّي، قاله ابن عباس.

الثاني: حاجتي، حكاه ابن جرير(١٣٧). والبث تفريق الهم بإظهار ما في النفس. وإنما شكا ما في نفسه فجعله بثاً وهو مبثوث.

﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني ساجد له، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أحست نفسه حين أخبروه فدعا الملك وقال: لعله يوسف، وقال لا يكون في الأرض صدّيق إلا نبي، قاله السدّي.

وسبب قول يعقوب ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ ما حكي أن رجلاً دخل عليه فقال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني؟ فقال: خطيئة أخطأتها فاغفرها لي. وكان بعد ذلك يقول ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾.

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا

(١٣٥) قال ابن الجوزي عن هذا القول في زاد المسير (٤/٢٧٥) «وهو الأظهر».

(١٣٦) جامع البيان (١٦/٢٢٦) حكاه ابن جرير عن الحسن.

(١٣٧) هذه الحكاية ذكرها حبيب ابن أبي ثابت كما في الطبري (١٦/٢٢٨) وبمثلها عن ثور بن يزيد (١٦/٢٢٨).

يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . اذهبوا فتحسَّسُوا مِن يوسُفَ وأخيه﴾ أي استعلموا وتعرّفوا، ومنه قول عديّ بن زيد:

فـإنْ حَييتَ فـلا أحسسـك في بلدي وإن مـرضت فـلا تحسِسْـك عُـوّادِي

وأصله طلب الشيء بالحس.

﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: من فرج الله، قاله محمد بن إسحاق.

والثاني: من رحمة الله، قاله قتادة. وهو مأخوذ من الريح التي بالنفع. وإنما قال يعقوب ذلك لأنه تنبّه على يوسف برد البضاعة واحتباس أخيه وإظهار الكرامة ولما حكي أن يعقوب سأل ملك الموت هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا.

قوله عزوجل: ﴿فلمّا دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مَسّنا وأهلنا الضر﴾وهذا مِن ألطف ترفيق وأبلغ استعطاف. وفي قصدهم بذلك قولان:

أحدهما: بأن يرد أخاهم عليهم، قاله ابن جرير[١٣٨].

والثاني: توفية كيلهم والمحاباة لهم، قاله علي بن عيسى.

﴿وجئنا ببضاعةٍ مزجاةٍ﴾ وأصل الإزجاء السَّوْق بـالدفـع، وفيه قـول الشاعـر عدي بن الرقاع[١٣٩].

تـزجـي أغَـنّ كـأن إبـرَة روقِـهِ قـلـمٌ أصـاب مـن الدواة مـدادهـا

وفي بضاعتهم هـذه خمسة أقاويل:

أحدهـا: أنها كانت دراهم، قاله ابن عباس.

---

(١٣٨) جامع البيان (١٦/٢٣٤).

(١٣٩) اللسان «زجا» والشطر الأول منه:

تزجي أغن كأنه ابره ورقه.

الثاني: متاع الأعراب، صوف وسمن، قاله عبدالله بن الحارث.

الثالث: الحبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح.

الرابع: سويق المقل[١٤٠]. قاله الضحاك.

الخامس: خلق الحبْل[١٤١] والغرارة، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي المزجاة ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنها الرديئة، قاله ابن عباس.

والثاني: الكاسدة، قاله الضحاك.

الثالث: القليلة، قاله مجاهد. قال ابن إسحاق: وهي التي لا تبلغ قدر الحاجة ومنه قول الراعي[١٤٢]:

ومرسل برسول غير متّهم وحاجة غير مزجاة من الحاج

وقال الكلبي: هي كلمة من لغة العجم، وقال الهيثمي: من لغة القبط.

﴿فأوف لنا الكيل﴾ فيه قولان:

أحدهما: الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم، وهو قول ابن جريج.

الثاني: مثل كيلهم الأول لأن بضاعتهم الثانية أقل، قاله السدي.

﴿وتصدق علينا﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدهما: معناه تفضل علينا بما بين الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير والسدي والحسن، وذلك لأن الصدقة تحرم على جميع الأنبياء[١٤٣].

الثاني: تصدق علينا بالزيادة على حقنا، قاله سفيان بن عيينة. قال مجاهد: ولم تحرم الصدقة إلا على محمد ﷺ وحده[١٤٤].

الثالث: تصدق علينا برد أخينا إلينا، قاله ابن جريج، وكره للرجل أن يقول في دعائه: اللهم تصدّق عَليّ، لأن الصدقة لمن يبتغي الثواب.

---

(١٤٠) السويق هو طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو.

(١٤١) الخلق: البالي والغرارة بكسر الغين: الجوالق.

(١٤٢) اللسان «زجا».

(١٤٣) هذا بناء على القول القائل بأن أخوة يوسف كانوا أنبياء.

(١٤٤) وحكاه عن ابن عيينة أيضاً أبو سليمان الدمشقي وأبو يعلى بن الفراء. كما في زاد المسير (٤/ ٢٧٩).

الرابع: معناه تجوّز عنا، قاله ابن شجرة وابن زيد واستشهد بقول الشاعر:

تصدّق علينا يا ابن عفان واحتسب ... وأمر علينا الأشعري لياليا

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

قوله عزوجل: **﴿قال هَلْ علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾** معنى قوله **﴿هل علمتم ما فعلتم﴾** أي قد علمتم، كقوله تعالى **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾** أي قد أتى.

قال ابن إسحاق: ذكر لنا أنهم لما قالوا **﴿مسّنا وأهلنا الضر﴾** رحمهم ورقّ لهم، فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ وعَدَّدَ عليهم ما صنعوا بهما.

﴿إذ أنتم جاهلون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني جهل الصغر.

الثاني: جهل المعاصي.

الثالث: الجهل بعواقب أفعالهم. فحينئذ عرفوه.

﴿قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي﴾ وحكى الضحاك في قراءة عبدالله: وهذا أخي وبيني وبينه قربى.

﴿قد مَنّ الله علينا﴾ يعني بالسلامة ثم بالكرامة، ويحتمل بالإجتماع بعد طول الفرقة.

﴿إنه مَنْ يتّق ويصبرْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: يتقي الزنى ويصبر على العزوبة، قاله إبراهيم.

الثاني: يتقي الله تعالى ويصبر على بلواه. وهو محتمل[١٤٥].

﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ فيه قولان:

أحدهما: في الدنيا.

الثاني: في الآخرة.

قوله عزوجل: **﴿قالوا تالله لقد آثرك اللهُ علينا﴾** مأخوذ من الإيثار، وهو إرادة تفضيل أحد النفسين على الآخر، قال الشاعر[١٤٦]:

والله أسماك سُمًّا مباركاً آثرك الله به إيثارَكاً

﴿وإن كنا لخاطئين﴾ أي فيما صنعوا بيوسف، وفيه قولان:

أحدهما: آثمين.

الثاني: مخطئين. والفرق بين الخاطىء والمخطىء أن الخاطىء آثم.

فإن قيل: فقد كانوا عند فعلهم ذلك به صغاراً ترفع عنهم الخطايا.

قيل لما كبروا واستداموا إخفاء ما صنعوا صاروا حينئذ خاطئين.

قوله عز وجل: **﴿قال لا تثريب عليكم﴾** فيه قولان أربعة تأويلات:

أحدها: لا تغيير عليكم، وهو قول سفيان بن عيينة.

الثاني: لا تأنيب فيما صنعتم، قاله ابن إسحاق.

الثالث: لا إباء عليكم في قولكم، قاله مجاهد.

الرابع: لا عقاب عليكم وقال الشاعر[١٤٧]:

فعفوت عنهم عفو غير مثربٍ وتركتهم لعقاب يومٍ سرمد

﴿اليوم يغفر الله لكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتوبتهم بالاعتراف والندم.

الثاني: لإحلاله لهم بالعفو عنهم.

﴿وهو أرحم الراحمين﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: في صنعه بي حين جعلني ملكاً.

---

(١٤٥) وهذا القول أعم وأشمل والله أعلم.

(١٤٦) اللسان «سما» ولم ينسبه في اللسان.

(١٤٧) هو بشر وقيل تبع والبيت في اللسان «ثرب».

الثاني : في عفوه عنكم عما تقدم من ذنبكم .

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

قوله عزوجل : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾[148] وفيه وجهان :

أحدهما : مستبصراً بأمري لأنه إذا شم ريح القميص عرفني .

الثاني : بصيراً من العمى فذاك من أحد الآيات الثلاث في قميص يوسف بعد الدم الكذب وقدّه من دُبُره . وفيه وجه آخر لأنه قميص إبراهيم[149] أنزل عليه من الجنة لما أُلقي في النار، فصار لإسحاق ثم ليعقوب، ثم ليوسف فخلص به من الجب وحازه حتى ألقاه أخوه على وجه أبيه فارتد بصيراً، ولم يعلم بما سبق من سلامة إبراهيم من النار ويوسف من الجب أن يعقوب يرجع به بصيراً .

قال الحسن : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره . . وكان الذي حمل قميصه يهوذا بن يعقوب، قال ليوسف : أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته فأنا الآن أحمل قميصك لأسرّه وليعود إليه بصره فحمله، حكاه السدي .

﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ لتتخذوا مِصرَ داراً . قال مسروق فكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامرأة .

قوله عزوجل : ﴿ولمّا فصلت العير﴾ أي خرجت من مصر منطلقة إلى الشام .

﴿قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف﴾ فيها قولان :

أحدهما : أنها أمارات شاهدة وعلامات قوي ظنه بها، فكانت هي الريح التي

---

(١٤٨) وقد استشكل بعضهم ما قطع به يوسف من كونه قال يأت بصيراً .

والجواب أن ذلك كان بالوحي إليه كما قال مجاهد ونقله في زاد المسير (٢٨٣/٤) .

(١٤٩) وهذا القول يحتاج إلى نقل بسند صحيح مرفوع أو في حكمه .

وجدها ليوسف، مأخوذ من قولهم تنسمت رائحة كذا وكذا إذا قرب منك ما ظننت أنه سيكون.

والقول الثاني: وهو قول الجمهور أنه شم ريح يوسف التي عرفها. قال جعفر بن محمد رضي الله عنه: وهي ريح الصبا. ثم اعتذر فقال(١٥٠):

﴿لولا أن تفنّدون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: لولا أن تسفهون، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه قول النابغة الذبياني:

إلاّ سليمان إذ قال المليكُ له ... قم في البرية فاجددها عن الفنَد

أي عن السفة.

الثاني: معناه لولا أن تكذبون، قاله سعيد بن جبير والضحاك، ومنه قول الشاعر:

هل في افتخار الكريم من أود ... أم هل لقول الصديق من فند

أي من كذب.

الثالث: لولا أن تضعّفون، قاله ابن إسحاق. والتفنيد: تضعيف الرأي، ومنه قول الشاعر(١٥١):

يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي ... فليس ما فات من أمري بمردود

وكان قول هذا لأولاد بنيه، لغيبة بنيه عنه، فدل هذا على أن الجدَّ أبٌ.

الرابع: لولا أن تلوموني، قاله ابن بحر.

ومنه قول جرير(١٥٢):

يا عاذليَّ دعا الملامة واقصِرا ... طال الهوى وأطلْتُما التفنيدا

واختلفوا في المسافة التي وجد ريح قميصه منها على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه وجدها من مسافة عشرة أيام. قاله أبو الهذيل.

---

(١٥٠) والبيت من معلقة النابغة ديوان ص ٢٠.

(١٥١) هو هاني بن شكيم العدوي والبيت في مجاز القرآن (٣١٨/١)، الطبري (٥٩/١٣) والقرطبي (٢٦٠/٩).

(١٥٢) ديوانه: ١٦٩. الطبري (٢٥٦/١٦).

الثاني: من مسيرة ثمانية أيام، قاله ابن عباس.

الثالث: من مسيرة ستة أيام، قاله مجاهد. وكان يعقوب بأرض كنعان ويوسف بمصر وبينهما ثمانون فرسخاً، قاله قتادة.

قوله عزوجل: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أي في خطئك القديم، قاله ابن عباس وابن زيد.

الثاني: في جنونك القديم، قاله سعيد بن جبير. قال الحسن: وهذا عقوق.

الثالث: في محبتك القديمة، قاله قتادة وسفيان.

الرابع: في شقائك القديم، قاله مقاتل، ومنه قول لبيد:

تمنى أن تلاقي آل سلمى ... بحطمة والمنى طرف الضّلال

وفي قائل ذلك قولان:

أحدهما: بنوه، ولم يقصدوا بذلك ذماً فيأثموا.

والثاني: بنو نبيه وكانوا صغاراً.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قوله عزوجل: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ وفي قولان:

أحدهما: شمعون، قاله الضحاك.

الثاني: يهوذا. سمي بذلك لأنه أتاه ببشارة.

﴿ألقاه على وجهه﴾ يعني ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب.

﴿فارتدَّ بصيراً﴾ أي رجع بصيراً، وفيه وجهان:

أحدهما: بصيراً بخبر يوسف.

الثاني: بصيراً من العمى.

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ما لا تعلمون.

الثاني: إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف ما لا تعلمون.

الثالث: إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول العراج ونيل الثواب ما لا تعلمون.

قوله عزوجل: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ وإنما سألوه ذلك لأمرين:

أحدهما: أنهم أدخلوا عليه من آلام الحزن ما لا يسقط المأثم عنه إلا بإجلاله.

الثاني: أنه نبيٌّ تجاب دعوته ويعطى مسألته، فروى ابن وهب عن الليث بن سعد أن يعقوب وإخوة يوسف قاموا عشرين سنة يطلبون التوبة فيما فعل إخوة يوسف بيوسف لا يقبل ذلك منهم حتى لقي جبريل يعقوب فعلمه هذا الدعاء: يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي، ويا غوث المؤمنين أغثني، ويا عَوْن المؤمنين أعني، ويا مجيب التّوابين[١٥٣] تُبْ عليَّ فاستجيب لهم.

فإن قيل قد تقدمت المغفرة لهم بقول يوسف من قبل ﴿لا تثريب عليكم﴾ الآية، فلمَ سألوا أباهم أن يستغفر لهم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة[١٥٤]:

أحدها: لأن لفظ يوسف عن مستقبل صار وغداً، ولم يكن عن ماض فيكون خبراً.

الثاني: أن ما تقدم من يوسف كان مغفرة في حقه، ثم سألوا أباهم أن يستغفر لهم في حق نفسه.

الثالث: أنهم علموا نبوة أبيهم فوثقوا بإجابته، ولم يعلموا نبوة أخيهم فلم يثقوا بإجابته.

قوله عز وجل: ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ وفي تأخيره الاستغفار لهم وجهان:

أحدهما: أنه أخره دفعاً عن التعجيل ووعداً من بعد، فلذلك قال عطاء: طلب

---

(١٥٣) رواه ابن ابي حاتم عنه كما في الدر (٥٨٧/٤) وقوله في الحديث هنا «يا مجيب التوابين» ورد في نسخة أخرى للمحفوظة يا حبيب.. وهو الصواب كما في الدر.

(١٥٤) قال الامام الشوكاني في فتح القدير (٥٤٠/٣) معقباً على قول عطاء «أقول في هذا الكلام نظر فإنهم =

الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: **﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾** وإلى قول يعقوب: **﴿سوف استغفر لكم ربي﴾**.

الثاني: أنه أخّره انتظاراً لوقت الإجابة وتوقعاً لزمان الطلب.

وفيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند صلاة الليل، قاله عمرو بن قيس.

الثاني: إلى السحَر، قاله ابن مسعود وابن عمر. روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب**»(١٥٥).

الثالث: إلى ليلة الجمعة قاله ابن عباس ورواه عن النبي ﷺ(١٥٦) مرفوعاً.

وإنما سألوه الاستغفار لهم وإن كان المستحق في ذنوبهم التوبة منها دون الاستغفار لهم ثلاثة أمور:

أحدها: للتبرك بدعائه واستغفاره.

الثاني: طلباً لاستعطافه ورضاه.

الثالث: لحذرهم من البلوى والامتحان في الدنيا.

= طلبوا من يوسف أن يعفوا عنهم بقولهم لقد آثرك الله علينا فقال لا تثريب عليكم اليوم لأن مقصودهم صدور العفو منه عنهم وطلبوا من أبيهم يعقوب أن يستغفر الله لهم وهو لا يكون إلا بطلب ذلك منه إلى الله عز وجل وبين المقامين فرق فلم يكن وعد يعقوب لهم بخلاً عليهم بسؤال الله لهم ولا سيما إذا ما تقدم من أنه أخر ذلك إلى وقت الاجابة فإنه لو طلبه لهم في الحال لم يحصل له علم بالقبول» ا هـ.

(١٥٥) لكن رواه ابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سئل لم أخر يعقوب بنيه من الاستغفار قال أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب الدر المنثور (٤/٥٨٤) أما حديث أنس فلم أظفر عمن خرجه والله اعلم.

(١٥٦) رواه ابن جرير (١٦/٢٦٢) من الحاكم وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه والترمذي (٣٥٧٠) مطولاً من حديث علي مرفوعاً وقال هذا (١/٣١٦) حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ا هـ قلت وفي سنده سليمان بن عبد الرحمن التميمي وهو ثقة لكنه حدث بالمناكير ولهذا قال الحافظ الذهبي متعقباً لتصحيح الحاكم، هذا حديث منكر شاذ أضاف أن يكون موضوعاً وقد حيرني والله جودة إسناده.

قلت وقول الذهبي منكر شاذ يقصد المسند ولا يلزم من جودة الاسناد صحة المتن كما هو معلوم عند أهل الفقه وقال الحافظ ابن كثير (٢/٤٩٠) هذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والله اعلم راجع ما كتب في حاشية الطبري.

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

قوله عزوجل: ﴿**فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه**﴾ اختلف في إجتماع يوسف مع أبويه وأهله، فحكى الكلبي والسدي أن يوسف خرج عن مصر وركب معه أهلها، وقيل خرج الملك الأكبر معه واستقبل يعقوب، قال الكلبي على يوم من مصر، وكان القصر على ضحوة من مصر، فلما دنا يعقوب متوكئاً على ابنه يهوذا يمشي، فلما نظر إلى الخيل والناس قال: يا يهوذا أهذا فرعون؟ قال: لا، هذا ابنك يوسف، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان عني، فأجابه يوسف:

﴿**وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: آمنين من فرعون، قاله أبو العالية.

الثاني: آمنين من القحط والجدب، قاله السدي.

وقال ابن جريج: كان اجتماعهم بمصر بعد دخولهم عليه فيها على ظاهر اللفظ، فعلى هذا يكون معنى قوله ﴿**ادخلوا مصر**﴾ استوطنوا مصر.

وفي قوله: ﴿**إن شاء الله**﴾ وجهان:

أحدهما: أن يعود إلى استيطان مصر، وتقديره استوطنوا مصر إن شاء الله.

الثاني: أنه راجع إلى قول يعقوب(١٥٧): سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم، ويكون اللفظ مؤخراً، وهو قول ابن جريج.

---

(١٥٧) قال الشوكاني(٥٩/٣) «وقيل إن التقيد بالمشيئة راجع إلى ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ وهو بعيد» «وقال الألوسي (٥٦/١٣)» وأنت تعلم أن هذا مما لا ينبغي أن يلتفت إليه فإن ذلك من كلام يوسف عليه السلام بلا مرية فلا أدري ما الداعي إلى ارتكابه ولعله محض جهل ا هـ قلت وهو بهذا يتعقب قول ابن جريج.

فحكى ابن مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنساناً من رجل وامرأة، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

قوله عزوجل: ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ قال مجاهد وقتادة:

وفي أبويه قولان:

أحدهما: أنهما أبوه وخالته راحيل، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمه فسميت أُماً، وكانت أمه قد ماتت في نفاس أخيه بنيامين، قاله وهب والسدي.

الثاني: أنهما أبوه وأمه وكانت باقية إلى دخول مصر، قاله الحسن وابن إسحاق.

﴿وخرّوا له سجداً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له، قال قتادة: وكان السجود تحية من قبلكم وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة.

وقال الحسن: بل أمرهم الله تعالى بالسجود له لتأويل الرؤيا.

وقال محمد بن إسحاق: سجد له أبواه وإخوته الأحد عشر.

والقول الثاني: أنهم سجدوا لله عز وجل(١٥٨)، قاله ابن عباس، وكان يوسف في جهة القبلة فاستقبلوه بسجود، وكان سجودهم شكراً، ويكون معنى قوله ﴿وخروا﴾ أي سقطوا، كما قال تعالى ﴿فخرّ عليهم السقف مِنْ فوقهم﴾ أي سقط.

والقول الثالث: أن السجود ها هنا الخضوع والتذلل، ويكون معنى قوله تعالى ﴿خروا﴾ أي بدروا.

﴿وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ واختلف العلماء فيما بين رؤياه وتأويلها على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه كان بينهما ثمانون سنة، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: كان بينهما أربعون سنة، قاله سليمان.

الثالث: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير.

---

(١٥٨) وهذا التأويل بناء على أنه الضمير في له «راجع إلى الله» يعني وخروا لله سجداً ولكن الامام الشوكاني قال (٥٩/٣) «وهو بعيد جداً» أن ثم قال «وقيل إن الضمير ليوسف واللام للتعليل أي وخروا لأجله وفيه أيضاً بعد» قلت والصواب من القول أن هذا السجود سجود تحية ولا مانع من كونه بالجبهة على الأرض.

الرابع: اثنتان وعشرون سنة[١٥٩].

والخامس: أنه كان بينهما ثماني عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

فإن قيل: فإن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا صادقة فهلّا وثق بها يعقوب وتسلى؟ ولم ﴿قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾ وما يضر الكيد مع سابق القضاء؟

قيل عن هذا جوابان:

أحدهما: أنه رآها وهو صبي فجاز أن تخالف رؤيا الأنبياء المرسلين.

الثاني: أنه حزن لطول المدة في معاناة البلوى وخاف كيد الإخوة في تعجيل الأذى.

﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ فإن قيل فلم اقتصر من ذكر ما بُلي به على شكر إخراجه من السجن دون الجب وكانت حاله في الجب أخطر؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كان في السجن مع الخوف من المعرة ما لم يكن في الجب فكان ما في نفسه من بلواه أعظم فلذلك خصه بالذكر والشكر.

الثاني: أنه قال ذلك شكراً لله عز وجل على نقله من البلوى إلى النعماء، وهو إنما انتقل إلى الملك من السجن لا من الجب، فصار أخص بالذكر والشكر إذ صار بخروجه من السجن ملكاً، وبخروجه من الجب عبداً.

الثالث: أنه لما عفا عن إخوته بقوله ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ أعرض عن ذكر الجب لما فيه من التعريض بالتوبيخ.

وتأول بعض أصحاب الخواطر قوله ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ أي من سجن السخط إلى فضاء الرضا.

وفي قوله: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ ثلاثة أقاويل:

---

(١٥٩) وهو قول ابن عباس كما في زاد المسير (٤/ ٢٩٠).

أحدهـا: أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام، وهذا قـول قتادة.

الثاني :أنه كان قد نزل[١٦٠] «بدا» وبنى تحت جبلها مسجداً ومنها قصد، حكاه الضحاك عن ابن عباس. قال جميل[١٦١]:

وأنتِ التي حَبَبْتِ شغباً إلى بَـدَا إلـيّ وأوطـانـي بـلادٌ سِـواهـمـا

يقال بدا يبدو إذا نزل «بدا» فلذلك قال: وجاء بكم من البدو وإن كانوا سكان المدن.

الثالث: لأنهم جاءُوا في البادية وكانوا سكان مدن، ويكون بمعنى في.

واختلف من قال بهذا في البلد الذي كانوا يسكنونه على ثلاثة أقاويل.

أحدهـا: أنهم كانوا من أهل فلسطين، قاله علي بن أبي طلحة.

الثاني: من ناحية حران من أرض الجزيرة، ولعله قول الحسن.

الثالث: من الأولاج من ناحية الشعب، حكاه ابن إسحاق.

﴿من بَعْدِ أن نَزَغَ الشيطانُ بيني وبين إخوتي﴾ وفي نزغه وجهان:

أحدهما: أنه إيقاع الحسد، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه حرّش وأفسد، قاله ابن قتيبة.

﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ قال قتادة: لطيف بيوسف بإخراجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع عن يوسف نزغ الشيطان.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿رب قد آتيتني من الملك﴾** فيه أربعة أقاويل:

(١٦٠) قال الشوكاني «وفيه نظر» (٣/٥٩).

(١٦١) وقد اورده في فتح القدير (٣/٥٩) وكذا في روح المعاني(١٣/٦٠) ونسب في هامش روح المعاني الكثير عنده.

أحدهـا: أن الملك هو احتياج حساده إليه، قاله ابن عطاء.

الثاني: أراد تصديق الرؤيا التي رآها.

الثالث: أنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء.

الرابع: أنه أراد مُلْك الأرض وهو الأشهر. وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون.

﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عبارة الرؤيا. قاله مجاهد.

الثاني: الإخبار عن حوادث الزمان، حكاه ابن عيسى.

﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما.

﴿أنت وليّي في الدنيا والآخرة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: مولاي.

الثاني: ناصري.

﴿توفني مسلماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني مخلصاً للطاعة، قاله الضحاك.

الثاني: على ملة الإسلام.

حكى الحسن أن البشير لما أتى يعقوب قال له يعقوب عليه السلام: على أي دين خلفت يوسف؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمت النعمة.

﴿وألحقني بالصالحين﴾ فيه قولان:

أحدهما: بأهل الجنة، قاله عكرمة.

الثاني: بآبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك.

قال قتادة والسدي: فكان يوسف أول نبي تمنى الموت(١٦٢).

وقال محمد بن إسحاق: مكث يعقوب بأرض مصر سبع عشرة سنة. وقال ابن

(١٦٢) قال الشوكاني(٣/٥٧) وذهب الجمهور إلى أنه لم يتمن الموت بهذا الدعاء وإنما دعا ربه أن يتوفاه على الإسلام ويلحق بالصالحين من عباده عند حضور أجله». ا.هـ.

ونقل ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٢٩٢) عن ابي الوفاء ابن عقيل قوله «لم يتمن يوسف الموت وإن سأل أن يموت على صفة والمعنى إذا توفيتني مسلماً قال [أي ابن الجوزي] وهذا الصحيح.

عباس مات يعقوب بأرض مصر وحمل إلى أرض كنعان فدفن هناك. ودفن يوسف بأرض مصر ولم يزل بها حتى استخرج موسى عظامه(١٦٣) وحملها فدفنها إلى جنب يعقوب عليهم السلام.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (١٠٤)﴾

---

(١٦٣) وهذا الموضع يحتاج إلى بسط وتفصيل فدونك إياه فأقول وبالله التوفيق ورد في الحديث الصحيح أن جسد يوسف نقل ونقله نبي الله موسى كما قال ابن اسحاق ويؤيده ما صح عن رسول الله ﷺ فروى الحاكم (٢/٤:٤ ـ ٤٠٥ و ٥٧١ ـ ٥٧٢) وابو يعلى (١/٣٤٤) وصححه الحاكم على شرط، الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٣١٣ وقال إنما هو على شرط مسلم وحده من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال «اتى النبي ﷺ أعرابياً فأكرمه فقال له ائتنا فأتاه فقال رسول الله ﷺ «وفي رواية» نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ تعهدنا ائتنا فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ سل حاجتك فقال ناقة برحلها وعنزاً يحلبها أهلي فقال رسول الله ﷺ «اعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني اسرائيل [فقال أصحابه يا رسول الله وما عجوز بني اسرائيل] قال ان موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال ما هذا؟ فقال علماؤهم [نحن نحدثك] إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا [وما ندري اين قبر يوسف] إلا عجوز من بني اسرائيل فبعث إليها فأتته فقال دلوني على قبر يوسف قالت [لا والله لا أفعل] حتى تعطين حكمي قال وما حكمك قالت اكون معك في الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء فقال انضبوا هذا الماء فانضبوه قالت احضروا واستخرجوا عظام يوسف فلما اقلوها إلى الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار» اقول فيستفاد من الحديث أن موسى عليه السلام حمل جثة نبي الله يوسف حين خروجه من مصر مع من آمن من قومه.

وقد يستشكل البعض من قوله في الحديث «عظام يوسف» ويظن أن هذا يتعارض مع الحديث الصحيح. إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والصواب أن لا اشكال ولا تعارض.

فقد وقع في بعض الأحاديث الصحيحة اطلاق العظام على الجسد كله فيعتبر هذا الاطلاق من باب اطلاق الجزء وارادة البعض كقوله تعالى في الآية ﴿وقرآن الفجر﴾ المراد «صلاة الفجر» وكقول تميم الداري رضي الله عنه فيما رواه ابو داود (١٠٨١) بسند جيد على شرط مسلم «أن النبي ﷺ لما بدّن قال له تميم الداري ألا اتخذ لك منبراً يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك. قال بلى فاتخذ له منبراً له مرقاتين.. فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يطلقون العظام ويريدون البدن كله» افاده العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣١٣.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب.

﴿نوحيه إليك﴾ أي نعلمك بوحي منا إليك.

﴿وما كنت لديهم﴾ أي إخوة يوسف.

﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ في إلقاء يوسف في الجب.

﴿وهم يمكرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بيوسف في إلقائه في غيابة الجب.

الثاني: يعقوب حين جاؤوا على قميصه بدم كذب.

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنه قول المشركين الله ربنا وآلهتنا ترزقنا، قاله مجاهد.

الثاني: أنه في المنافقين يؤمنون في الظاهر رياء وهم في الباطن كافرون بالله تعالى، قاله الحسن.

الثالث: هو أن يشبه الله تعالى بخلقه، قاله السدي.

الرابع: أنه يشرك في طاعته كقول الرجل لولا الله وفلان لهلك فلان، وهذا قول أبي جعفر.

الخامس: أنهم كانوا يؤمنون بالله تعالى ويكفرون بمحمد ﷺ، فلا يصح إيمانهم حكاه ابن الأنباري.

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قل هذه سبيلي﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: هذه دعوتي، قاله ابن عباس.

الثاني: هذه سنتي، قاله عبد الرحمن بن زيد. والمراد بها تأويلان:

أحدهما: الإخلاص لله تعالى بالتوحيد.

الثاني: التسليم لأمره فيما قضاه.

﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: على هدى، قاله قتادة.

الثاني: على حق، وهو قول عبد الرحمن بن زيد. وذكر بعض أصحاب الخواطر تأويلاً (ثالثاً) أي أبلغ الرسالة ولا أملك الهداية.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال قتادة: من أهل الأمصار دون البوادي لأنهم أعلم وأحلم. وقال الحسن(١٦٤): لم يبعث الله تعالى نبياً من أهل البادية قط، ولا من النساء، ولا من الجن.

﴿ولدار الآخرة خير﴾ يعني بالدار الجنة، وبالآخرة القيامة، فسمى الجنة داراً وإن كانت النار داراً لأن الجنة وطن اختيار، والنار مسكن اضطرار.

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

---

(١٦٤) قال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/ ٦٠). وتدل الآية على أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من النساء ولا من الجن وهذا يرد على من قال إن في النساء أربع نبيات حواء وآسية وأم موسى ومريم اهـ.

قلت وقد ذهب ابن حزم إلى أن من النساء نبيات وخولف ذلك بينما حكى القاضي عياض الاجماع على خلاف قول ابن حزم والمسألة طويلة الذيول. راجعها في كتب العقيدة المطولة.

قوله عزوجل: **﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾** فيه وجهان:

أحدهما: من قولهم أن يصدقوهم[١٦٥]، قاله ابن عباس.

الثاني: أن يعذب قومهم، قاله مجاهد.

ويحتمل ثالثاً: استيأسوا من النصر.

﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ في **﴿كذبوا﴾** قراءتان:

أحدهما: بضم الكاف وكسر الذال وتشديدها،قرأ بها الحرميّان وأبو عمرو[١٦٦] وابن عامر، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: يعني أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذّبوهم، حكاه ابن عيسى.

والقراءة الثانية **﴿كُذِبوا﴾** بضم الكاف وتخفيف الذال، قرأ بها الكوفيون، وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: فظن اتباع الرسل أنهم قد كذبوا فيما ذكروه لهم.

الثاني: فظن الرسل أن اتباعهم قد كذبوا فيما أظهروه من الإيمان بهم.

﴿جاءهم نصرنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جاء الرسل نصر الله تعالى، قاله مجاهد.

الثاني: جاء قومهم عذاب الله تعالى، وهو قول ابن عباس.

﴿فنجي من نشاءُ﴾ قيل الأنبياء ومَن آمن معهم.

﴿ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القومِ المجرمين﴾ يعني عذابنا إذا نزل بهم.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

قوله عزوجل: **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾** يعني في قصص

---

(١٦٥) وقد توسع العلامة ابن جرير (١٦/ ـ ٢٩٩ ـ ٣١٢) في بيان الآية وكذا العلامة الألوسي (١٣/ ٦٩ ـ ٧٢) فراجع ما قيل حولها حتى تقف على حقيقة الحال.

(١٦٦) راجع المبسوط ص ٢٤٨.

يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن وعن الذل والرق إلى أن جعله مَلِكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر، وإنما الإمهال إنذار وإعذار.

﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أن يختلف ويتخرّص، وفيه وجهان:

أحدهما: يعني القرآن، قاله قتادة.

الثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق.

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدِّق لما قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى، وهذا تأويل من زعم أنه القرآن.

الثاني: يعني ولكن يصدّقه ما قبله من كتب الله تعالى، وهذا قول من زعم أنه القصص.

﴿وهُدًى ورحمة لقومٍ يؤمنون﴾ والله أعلم.

تمت سورة يوسف

بحمدالله وعونه وحسن توفيقه



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية في قول الكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس مدنية إلا آيتين منها وهما قوله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً سُيِّرَتْ به الجبال﴾ إلى آخرهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

قوله عزوجل: ﴿الٓمٓر تلك آيات الكتاب﴾ وفي الكتاب ثلاثة أقاويل:

أحدها: الزبور، وهو قول مطر.

الثاني: التوراة والإنجيل، قاله مجاهد.

الثالث: القرآن، قال قتادة. فعلى هذا التأويل يكون معنى قوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب.

﴿والذي أنزل اليك من ربك الحق﴾ يعني القرآن.

﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يعني بالقرآن أنه منزل بالحق. وفي المراد بـ ﴿أكثر الناس﴾ قولان:

أحدهما: أكثر اليهود والنصارى، لأن أكثرهم لم يسلم.

الثاني: أكثر الناس في زمان رسول الله ﷺ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني بِعُمد لا ترونها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها مرفوعة بغير عمد، قاله قتادة وإياس بن معاوية(١٦٧).

وفي رفع السماء وجهان:

أحدهما: رفع قدرها وإجلال خطرها، لأن السماء أشرف من الأرض.

الثاني: سمكها حتى علت على الأرض(١٦٨).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وهو الذي مَدّ الأرض﴾ أي بسطها للاستقرار عليها، رداً على من زعم أنها مستديرة كالكرة(١٦٩).

﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً، واحدها راسية، لأن الأرض ترسو بها، أي تثبت. قال جميل(١٧٠):

(١٦٧) هذا القول هو الأصح كما ذكر الطبري(١٣/١٩٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٠١) وهو يدل على كمال قدرة الرب تبارك وتعالى.

(١٦٨) ويدل عليه قوله ﴿رفع سمكها فسواها﴾ وقوله ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾.

(١٦٩) وقال غير واحدة من المفسرين بكروية الأرض والمد والبسط فيها لا ينافي كرويتها راجع ،فتح القدير (٣/٦٤) وروح المعاني (١٣/ ـ ٩٠ ـ ٩٢).

(١٧٠) أورده في فتح القدير (٣/٦٤) والشعر الأول فيه: أحبها والذي أرسى قواعده.

أُحبُّـهُ والـذي أرسى قـواعـده حُبًّـا إذا ظهـرت آيـاتُـه بـطنـا

قال عطاء: أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس.

﴿وأنهاراً﴾ وفيها من منافع الخلق شرب الحيوان ونبات الأرض ومغيض الأمطار ومسالك الفلك.

﴿ومِنْ كُلِّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها، كذلك كل النبات وإن خفي. والزوج الآخر حلو وحامض، أو عذب ومالح، أو أبيض وأسود، أو أحمر وأصفر، فإن كل جنس من الثمار ذو نوعين، فصار كل ثمر ذي نوعين زوجين، وهي أربعة أنواع.

﴿يغشي الليل النهار﴾ معناه يغشي ظلمةَ الليـل ضوءَ النهـار، ويغشي ضوء النهار ظلمة الليل.

قوله عزوجل: ﴿وفي الأرض قطعٌ متجاورات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المتجاورات المدن وما كان عامراً، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر.

الثاني: أي متجاورات في المدى، مختلفات في التفاضل. وفيه وجهان:

أحدهما: أن يتصل ما يكون نباته مراً.

الثاني: أن تتصل المعـذبة[١٧١] التي تنبت بالسبخة التي لا تنبت، قـاله ابن عباس.

﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن الصنوان المجتمع، وغير الصنوان المفترق، قاله ابن جرير[١٧٢]. قال الشاعر:

العلم والحلم خُلّتـا كـرَمٍ للمـرءِ زين إذا هما اجتمعـا
صنـوانٍ لا يستتـم حسنهـمـا إلا بـجـمـع ذا وذاك مـعـا

---

(١٧١) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب المعذية بفتح العين وسكون الذال وفتح الياء وهي الأرض الكريمة المنبت والتصويب من الطبري (١٩/٣٣١).

(١٧٢) جامع البيان (١٦/٣٣٥).

الثاني: أن الصنوان النخلات يكون أصلها واحداً، وغير صنوان أن تكون أصولها شتى، قاله ابن عباس والبراء بن عازب.

الثالث: أن الصنوان الأشكال، وغير الصنوان المختلف، قاله بعض المتأخرين.

الرابع: أن الصنوان الفسيل يقطع من أمهاته، وهو معروف، وغير الصنوان ما ينبت من النوى، وهو غير معروف حتى يعرف، وأصل النخل الغريب من هذا، قاله علي بن عيسى.

﴿يسقى بماءٍ واحدٍ ونُفَضِّلُ بعْضَها على بعضٍ في الأكل﴾ فبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أصفر، وبعضه أحمر، وبعضه قليل، وبعضه كثير.

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن في اختلاف ذلك اعتبار يدل ذوي العقول على عظيم القدرة، وهو معنى قول الضحاك.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لبني آدم، أصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والإيمان والكفر كاختلاف الثمار التي تسقى بماء واحد، قاله الحسن.

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: **﴿وإن تعجب فعجَبٌ قولهم﴾** الآية. معناه وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك فأعجبُ منه تكذيبهم بالبعث. والله تعالى لا يتعجب[١٧٣] ولا يجوز

(١٧٣) اعلم علمني الله وإياك أن الله تعالى له صفة العجب التي تليق بذاته وجلاله وكماله وقد دل على ذلك الكتاب في قوله تعالى **﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾** على القراءة الأخرى وكذلك السنة في قوله ﷺ: «عجب ربك من قوم يقادون بالسلاسل إلى الجنة... الحديث وفي هذه الآية التي نحن بصددها يقول قتادة في تفسيرها عجب الرحمن من تكذيبهم بالبعث» رواه الطبري (١٣/ ١٠٤) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر (٤/ ٦٦) ولا يلزم مما ذكره المصنف هنا نفي صفة العجب لله تعالى لأننا نقول أن الله تعالى لا شبيه له في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته ومدار ذلك كله قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** فالصواب إثبات هذه الصفة لله على الوجه اللائق به سبحانه ومذاهب أهل السنة في هذا كالشمس في رابعة النهار والمعصوم من عصمه الله.

عليه التعجب، لأنه تغير النفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾

قوله عزوجل: ﴿ويستعجلونكَ بالسيئة قَبْل الحسنة﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني بالعقوبة قبل العافية، قاله قتادة.

الثاني: بالشر قبل الخير، وهو قول رواه سعيد بن بشير.

الثالث: بالكفر قبل الإجابة. رواه القاسم بن يحيى.

ويحتمل رابعاً: بالقتال قبل الاسترشاد.

﴿وقد خلت من قبلهم المثلاتُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: الأمثال التي ضربها الله تعالى لهم، قاله مجاهد.

الثاني: أنها العقوبات التي مثل الله تعالى بها الأمم الماضية[١٧٤]، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها العقوبات المستأصلة التي لا تبقى معها باقية كعقوبات عاد وثمود حكاه ابن الأنباري والمثلات: جمع مثُلة[١٧٥].

﴿وإن ربك لذو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يغفر لهم ظلمهم السالف بتوبتهم في الآنف، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: يغفر لهم بعفوه عن تعجيل العذاب مع ظلمهم بتعجيل المعصية.

الثالث: يغفر لهم بالإنظار توقعاً للتوبة.

﴿وإنّ ربّك لشديد العقاب﴾ فروى سعيد بن المسيب[١٧٦] أن النبي ﷺ قال عند نزول هذه الآية: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد.

---

(١٧٤) وفي نسخة أخرى للمخطوطة السالفة.

(١٧٥) بفتح الميم وضم المثلثة مثل سمرة راجع فتح الباري (٨/ ٣٧١).

(١٧٦) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في روح المعاني (١٣/ ١٠٧) من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب وسنده. ضعيف لإرساله ولضعف علي بن زيد وقد أورده السيوطي في الدر (٤/ ٦٠٧) موقوفاً عن ابن عباس ونسبه لابن جرير ولم أجده عند تفسير الآية.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . إنما أنت منذر﴾ يعني النبي ﷺ نذير لأمته.

﴿ولكل قومٍ هادٍ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أنه الله تعالى، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

الثاني: ولكل قوم هادٍ أي نبي يهديهم، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: ولكل قوم هاد معناه ولكل قوم قادة وهداة، قاله أبو صالح.

الرابع: ولكل قوم هاد، أي دعاة، قاله الحسن.

الخامس: معناه ولكل قوم عمل، قاله أبو العالية.

السادس: معناه ولكل قوم سابق بعلم يسبقهم إلى الهدى، حكاه ابن عيسى.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

قوله عزوجل: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ قال ابن أبي نجيح يعلم أذكر هو أم أنثى.

ويحتمل وجهاً آخر: يعلم أصالح هو أم طالح.

﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ بالسقط الناقص ﴿وما تزداد﴾ بالولد التام، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: ﴿ما تغيض الأرحام﴾ بالوضع لأقل من تسعة أشهر، ﴿وما تزداد﴾ بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبير والضحاك. وقال الضحاك: وضعتني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد خرجت سني.

الثالث: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ بانقطاع الحيض في الحمل ﴿وما تزداد﴾ بدم النفاس بعد الوضع. قال مكحول: جعل الله تعالى دم الحيض غذاء للحمل.

الرابع: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ بظهور الحيض من أيام على الحمل، وفي ذلك

نقص في الولد ﴿وما تزداد﴾ في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل، لأنها كلما حاضت على حملها يوماً ازدادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً، قاله عكرمة وقتادة.

الخامس: ﴿وما تغيض الأرحام﴾ من ولدته قبل ﴿وما تزداد﴾ من تلده من بعد، حكاه السدي وقتادة.

﴿وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في الرزق والأجل، قاله قتادة.

الثاني: فيما تغيض الأرحام وما تزداد، قاله الضحاك.

ويحتمل ثالثاً: أن كل شيء عنده من ثواب وعقاب بمقدار الطاعة والمعصية.

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿سواءٌ منكم مَن أسَرَّ القول ومَن جَهَرَ به﴾ إسرار القول: ما حدّث به نفسه، والجهر ما حَدّث به غيره. والمراد بذلك أنه تعالى يعلم ما أسره الإنسان من خير وشر.

﴿ومَن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعلم من استخفى بعمله في ظلمة الليل، ومن أظهره في ضوء النهار.

الثاني: يرى ما أخفته ظلمة الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار، بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل أحوال أهلهم. قال الشاعر:

وليلٍ يقول النـاسُ في ظلُماتِـه ... سَواءٌ صحيحات العُيون وعورها

والسارب: هو المنصرف الذاهب، مأخوذ من السُّروب في المرعى، وهو

بالعشي. والسروح بالغداة، قال قيس بن الخطيم[١٧٧]:

أَنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غير سروب وتقرب الأحلام غير قريب

قوله عزوجل: ﴿له معقبات مِن بين يديه ومن خَلْفِه﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم حراس الأمراء يتعاقبون الحرس، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثاني: أنه ما يتعاقب من أوامر الله وقضائه في عباده، قاله عبد الرحمن بن زيد.

الثالث: أنهم الملائكة،إذا صعدت[١٧٨] ملائكة النهار أعقبتها ملائكة الليل، وإذا صعدت ملائكة الليل أعقبتها ملائكة النهار، قاله مجاهد وقتادة. قال الحسن: وهم أربعة أملاك: اثنان بالنهار، واثنان بالليل، يجتمعون عند صلاة الفجر.

وفي قوله تعالى: ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: من أمامه ووراءه، وهذا قول من زعم أن المعقبات حراس الأمراء.

الثاني: الماضي والمستقبل، وهذا قول من زعم أن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله تعالى وقضائه.

الثالث: من هُداه وضلالِه، وهذا قول من زعم أن المعقبات الملائكة.

﴿يحفظونَه من أمر الله﴾ تأويله يختلف بحسب اختلاف المعقبات، فإن قيل بالقول الأول أنهم حراس الأمراء ففي قوله ﴿يحفظونه﴾ أي عند نفسه من أمر الله ولا راد لأمره ولا دافع لقضائه، قاله ابن عباس وعكرمة.

الثاني: أن في الكلام حرف نفي محذوفاً وتقديره: لا يحفظونه من أمر الله.

وإن قيل بالقول الثاني، إن المعقبات ما يتعاقب من أمر الله وقضائه، ففي تأويل قوله تعالى ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ وجهان:

أحدهما: يحفظونه من الموت ما لم يأت أجله، قاله الضحاك.

---

(١٧٧) ديوانه: ٥ والطبري (١٦/ ٣٦٧)، واللسان (سرب).

(١٧٨) وردفي البخاري(٢/ ٢٨) ومسلم (١/ ٤٣٩)عن أبي هريرة مرفوعاً يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» وراجع ما كتبه العلامة ابن كثير حول هذه الآية (٢/ ٥٠٣).

الثاني: يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر، قاله أبو مالك وكعب الأحبار.

وإن قيل بالقول الثالث: وهو الأشبه: أن المعقبات الملائكة ففيما أريد بحفظهم له وجهان:

أحدهما: يحفظون حسناته وسيئاته بأمر الله.

الثاني: يحفظون نفسه.

فعلى هذا في تأويل قوله تعالى ﴿**يحفظونه من أمر الله**﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: يحفظونه بأمر الله، قاله مجاهد.

الثاني: يحفظونه من أمر الله حتى يأتي أمر الله، وهو محكي عن ابن عباس.

الثالث: أنه على التقديم والتأخير وتقديره: له معقبات من أمر الله تعالى يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، قاله ابراهيم.

وفي هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنها خاصة نزلت في رسول الله ﷺ حين أزمع عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد على قتل رسول الله ﷺ فمنعه الله عز وجل منهما وأنزل هذه الآية فيه، قاله ابن زيد(١٧٩).

﴿**إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسِهم**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من معصية.

الثاني: لا يغير ما بهم من نعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة.

﴿**وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مرد له**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إذا أراد الله بهم عذاباً فلا مرد لعذابه.

الثاني: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه.

﴿**وما لهم مِن دونه من وال**﴾ فيه وجهان:

---

(١٧٩) وقد أورد قول ابن زيد هذا في الطبري(١٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢)وعقب الحافظ ابن جرير على قول ابن زيد هذا فقال «وهذا القول الذي قاله ابن زيد في تأويل هذه الآية قول بعيد عن تأويل الآية مع خلافه أقوال من ذكرنا من أهل التأويل.

أحدهما: من ملجأ وهو معنى قول السدي.

الثاني: يعني من ناصر، ومنه قول الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من والِ

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:**

أحدها: خوفاً للمسافر من أذيته، وطمعاً للمقيم في بركته، قاله قتادة.

الثاني: خوفاً من صواعق البرق، وطمعاً في غيثه المزيل للقحط، قاله الحسن.

وقد كان النبي ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال(١٨٠): «**اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**».

الثالث: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ قال مجاهد: ثقال بالماء.

قوله عزوجل: **﴿ويسبِّح الرعد بحمده﴾** وفي الرعد قولان:

أحدهما: أنه الصوت المسموع(١٨١)، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال «**الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب**(١٨٢)».

---

(١٨٠) رواه أحمد (٥٧٩٣) والبخاري في الأدب المفرد (٧٢١) من حديث ابن عمر وزاد السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٣) نسبته لابن أبي شيبة. والترمذي والنسائي وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والحاكم في المستدرك وابن مردويه.

(١٨١) تقدم الكلام على الرعد والبرق في سورة البقرة عند قوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ فراجعه هناك.

(١٨٢) وقد اخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إنما الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه فامسكوا عن الحديث».
الدر (٤/ ٦٢٤) ولم أقف على تخريج الحديث بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف هنا.

الثاني: أن الرعد ملك، والصوت المسموع تسبيحه، قاله عكرمة.

﴿والملائكة مِن خيفته﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى[١٨٣]، قاله ابن جرير.

الثاني: من خيفة الرعد، ولعله قول مجاهد.

﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ اختلف فيمن نزل ذلك فيه على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأخذته صاعقة، قاله قتادة.

الثاني: في أربد بن ربيعة وقد كان همّ بقتل النبي ﷺ مع عامر[١٨٤] بن الطفيل فتيبست يده على سيفه، وعصمه الله تعالى منهما، ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته. قال ابن جرير: وفي ذلك يقول أخوه لبيد[١٨٥]:

أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السِّماك والأسد

فجّعني البرق والصواعق بالفا ... رسِ يوم الكريمة النَّجُدِ

الثالث: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء، من لؤلؤ أو ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، قاله علي[١٨٦] وابن عباس ومجاهد.

روى أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ[١٨٧] «**لا تأخذ الصاعقة ذاكراً لله عز وجل**».

---

(١٨٣) جامع البيان (١٦/ ٣٩٠).

وقال ابن الجوزي عن هذا القول في زاد المسير (٤/ ٣١٤) وهو الأظهر.

(١٨٤) تقدم الكلام على هذه الرواية وأنها من قول عبد الرحمن بن زيد.

(١٨٥) ديوان لبيد: ٥.

(١٨٦) الطبري (١٣/ ١٢٥).

(١٨٧) سنده ضعيف من أجل ابان وهو أبي عياش متروك الحديث.

وقد روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابي جعفر رضي الله عنه قال: الصاعقة تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب ذاكراً لله، الدر (٤/ ٦٢٧).

﴿وهم يجادلون في الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جدال اليهودي حين سأل عن الله: من أي شيء هو؟ قاله مجاهد.

الثاني: جدال أربد فيما همّ به من قتل النبي ﷺ، قاله ابن جريج.

﴿وهو شديد المِحالِ﴾ فيه تسعة تأويلات:

أحدها: يعني شديد العداوة، قاله ابن عباس.

الثاني: شديد الحقد[١٨٨]، قاله الحسن.

الثالث: شديد القوة، قاله مجاهد.

الرابع: شديد الغضب، قاله وهب بن منبه.

الخامس: شديد الحيلة، قاله قتادة والسدي.

السادس: شديد الحول، قاله ابن عباس أيضاً.

السابع: شديد الإهلاك بالمحل وهو القحط، قاله الحسن أيضاً.

الثامن: شديد الأخذ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

التاسع: شديد الانتقام والعقوبة، قاله أبو عبيدة وأنشد لأعشى بني ثعلبة[١٨٩].

فرع نبع يهتز في غصن المجـ ـد كريم الندى عظيم المحال

= وروى الطبراني وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً «إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً» الدر (٤/٦٢٤).

(١٨٨) وقد ذكر ابن الجوزي الأقوال في ذلك ومنها هذا القول وعقب عليه (٤/٣١٦) وإليك نصه «الخامس: شديد الحقد: قاله الحسن البصري في سمعنا. عنه مسنداً من طرفة وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري والنقاش ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى قال النقاش هذا قول منكر عند أهل الخبر والنظر في اللغة ولا يجوز أن تكون هذه صفةً من صفات الله عز وجل والذي اختاره في هذا ما قاله علي عليه السلام شديد الأخذ يعني أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته. قلت وقد قال هذا القول أعني «شديد الحقد» عكرمة أيضاً فيما رواه عنه أبو الشيخ ونقله في الدر المنثور (٤/٦٢٧).

(١٨٩) ديوانه: ٧، ٩ ومجاز القرآن (١/٣٢٥) والسمط (٩٠٧) والقرطبي (٩/٢٩٩) والطبري (١٦/٣٩٥) ويروي البيت في شطره الثاني.
«شديد المحال» راجع الطبري.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل ﴿**له دعوة الحق**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن دعوة الحق لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الله تعالى هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق.

الثالث: أن الإخلاص في الدعاء هي دعوة الحق، قاله بعض المتأخرين.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن دعوة الحق دعاؤه عند الخوف لأنه لا يدعى فيه إلا إياه، كما قال تعالى ﴿**ضلّ من تدعون إلا إياه**﴾ [الإسراء: ٦٧] هو أشبه بسياق الآية لأنه قال:

﴿**والذين يدعون مِن دونه**﴾ يعني الأصنام والأوثان.

﴿**لا يستجيبون لهم بشيء**﴾ أي لا يجيبون لهم دعاءً ولا يسمعون لهم نداء.

﴿**إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه**﴾ ضرب الله عز وجل الماء مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد، كما قال أبو الهذيل(١٩٠):

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها مِن الود مثل القابض الماء باليد

وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الذي يدعو إلَهاً من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء ليبلغ إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، لأن الماء لا يستجيب له وما الماء ببالغ إليه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفر فيه ليبلغ فاه، وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفيه شيء منه.

وزعم الفراء أن المراد بالماء ها هنا البئر لأنها معدن للماء، وأن المثل كمن مد

---

(١٩٠) البيت في مجاز القرآن (١/٣٢٧)، الطبري (١٦/٤٠٠) والقرطبي (٩/٣٠٠) والزهري ٥: ١٨٣.

يده إلى البئر بغير رشاء، وشاهده قول الشاعر[١٩١]:

فإن الماء ماءُ أبي وجدي وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طويت

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞١٥﴾

قوله عزوجل: **﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾** فيه أربعة تأويلات:

أحدها: طوعاً سجود المؤمن، وكرهاً سجود الكافر، قاله قتادة.

الثاني: **﴿طوعاً﴾** من دخل في الإسلام رغبة، **﴿وكرهاً﴾** من دخل فيه رهبة بالسيف، قاله ابن زيد.

الثالث: **﴿طوعاً﴾** من طالت مدة إسلامه فألف السجود، **﴿وكرهاً﴾** من بدأ بالإسلام حتى يألف السجود، حكاه ابن الأنباري.

الرابع: ما قاله بعض أصحاب الخواطر أنه إذا نزلت به المصائب ذل، وإذا توالت عليه النعم ملّ[١٩٢].

﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾ يعني أن ظل كل إنسان يسجد معه بسجوده، فظل المؤمن يسجد طائعاً كما أن سجود المؤمن طوعاً، وظل الكافر يسجد كارهاً كما أن سجود الكافر كرهاً.

والآصال جمع أُصُل، والأصل جمع أصيل، والأصيل العشيّ وهو ما بين العصر والمغرب قال أبو ذؤيب[١٩٣]:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعدُ في أفيائه بالأصائل

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ

---

(١٩١) هو سنان بن الفحل الطائي والبيت في خزانة الأدب (   ).

(١٩٢) وأين الدليل على ما ذكره أصحاب الخواطر.

(١٩٣) ديوانه: ١٤١ ومجاز القرآن (١/ ٢٣٩) والانصاف ٣٠٤، ٣٠٥ والخزانة ٢/ ٤٨٩، ٦٤، واللسان (أصل) والطبري (١٦/ ٤٠٥).

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يقول لمشركي قريش ﴿من رب السموات والأرض﴾ ثم أمره أن يقول لهم:

﴿قل الله﴾ إن لم يقولوا ذلك إفهاماً قالوه تقريراً لأنه جعل ذلك إلزاماً.

﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً﴾ ثم أمره ﷺ أن يقول لهم هذا بعد اعترافهم بالله: أفاتخذتم من دون الخالق المنعم آلهة من أصنام وأوثان فعبدتموها من دونه، لا يملكون لأنفسهم نفعاً يوصلونه إليها ولا ضراً يدفعونه عنها، فكيف يملكون لكم نفعاً أو ضراً؟ وهذا إلزام صحيح.

ثم قال تعالى ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير، والهدى والضلالة كالظلمات والنور، فالمؤمن في هُداه كالبصير يمشي في النور، والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات، وهما لا يستويان، فكذلك المؤمن والكافر لا يستويان، وهذا من أصح مثل ضربه الله تعالى وأوضح تشبيه.

ثم قال تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾ ومعناه أنه لما لم يخلق آلهتهم التي عبدوها خلقاً كخلق الله فيتشابه عليهم خلقُ آلهتهم بخلق الله فلما اشتبه عليهم حتى عبدوها كعبادة الله تعالى؟

﴿قل الله خالق كل شيء﴾ فلزم لذلك أن يعبده كل شيء.

﴿وهو الواحد القهار﴾.

وفي قوله ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ تأويلان:

أحدهما: فتماثل الخلق عليهم.

الثاني: فأشكل الخلق عليهم، ذكرهما ابن شجرة.

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا

يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿**أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني بما قدر لها من قليل أو كثير.

الثاني: يعني الصغير من الأودية سال بقدر صغره، والكبير منها سال بقدر كبره.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وما يدخل منه في القلوب، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية من الماء بحسب سعتها وضيقها.

قال ابن عباس: ﴿**أنزل من السماء ماءً**﴾ أي قرآناً ﴿**فسالت أودية بقدرها**﴾ قال: الأودية قلوب العباد.

﴿**فاحتمل السيل زبداً رابياً**﴾ الرابي: المرتفع. وهو مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل، فالحق ممثل بالماء الذي يبقى في الأرض فينتفع به، والباطل ممثل بالزبد الذي يذهب جُفاءً لا ينتفع به.

ثم ضرب مثلاً ثانياً بالنار فقال ﴿**ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية**﴾ يعني الذهب والفضة.

﴿**أو متاع**﴾ يعني الصُفر والنحاس.

﴿**زبد مثله . .**﴾ يعني أنه اذا سُبِك بالنار كان له خبث كالزبد الذي على الماء يذهب فلا ينتفع به كالباطل، ويبقى صفوة فينتفع به كالحق[١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿. . **فيذهب جفاءً**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني منشقاً[١٩٥]، قاله ابن جرير.

---

(١٩٤) وقد أسهب ابن القيم في شرح أمثال القرآن ومنها هذا المثل في كتاب امثال القرآن له فراجعه.

(١٩٥) والذي في الطبري (١٦/٤١٥) قال «وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله» =

الثاني: جافياً على وجه الأرض، قاله ابن عيسى.

الثالث: مرمياً، قاله ابن إسحاق.

وحكى أبو عبيدة أنه سمع رؤبة يقرأ[١٩٦]: جفالاً. قال أبو عبيدة: يقال أجفلت القدر إذا قذفت بزبدها.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ فيها تأويلان:**

أحدهما: الجنة، رواه أبي بن كعب[١٩٧] عن النبي ﷺ.

الثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد.

ويحتمل تأويلاً ثالثاً: أن تكون مضاعفة الحسنات.

﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثلَهُ معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب﴾.

في **﴿سوء الحساب﴾** أربعة تأويلات:

أحدها: أن يؤاخذوا بجميع ذنوبهم فلا يعفى لهم عن شيء منها، قاله إبراهيم النخعي. وقالت عائشة رضي الله عنها: من نوقش الحساب هلك[١٩٨].

الثاني: أنه المناقشة في الأعمال، قاله أبو الجوزاء.

= فيذهب جفاءً «تنشفه الأرض وقال جفى الوادي واجفى في معنى نشف».

وعلى هذا ما ذكر هنا من قوله منشقاً «هكذا مصرف والصواب منشفاً» بالفاء.

(١٩٦) ونقل الألوسي (١٣/١٣١) قوله «قال ابن ابي حاتم ولا يقرأ بقراءته [أي بقراءة رؤبة] لأنه كان يأكل الفأر يعني أنه كان أعرابياً جافياً وعنه لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن.

(١٩٧) تقدم الكلام على تفسير الحسن في سورة يونس عند قوله ﴿للذين أحسنوا الحسن وزيادة﴾.

(١٩٨) وقد ورد مرفوعاً من حديثها رواه البخاري وغيره راجع تفسيره يتوسع في بهجة النفوس لابن أبي جمرة (١/١٤٥ ـ ١٤٨) وقد تقدم تحريم هذا الحديث.

الثالث: أنه التقريع والتوبيخ، حكاه ابن عيسى.

الرابع: هو أن لا تقبل حسناتهم فلا[١٩٩] تغفر سيئاتهم.

ويحتمل خامساً: أن يكون سوء الحساب ما أفضى إليه حسابهم من السوء وهو العقاب.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الرحم التي أمرهم الله تعالى بوصلها.

﴿ويخشون ربهم﴾ في قطعها ﴿ويخافون سُوءَ الحساب﴾ في المعاقبة عليها، قاله قتادة.

الثاني: صلة محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثالث: الإيمان بالنبيين والكتب كلها[٢٠٠]، قاله سعيد بن جبير.

ويحتمل رابعاً: أن يصلوا الإيمان بالعمل.

---

(١٩٩) ولعله «ولا تغفر سيآتهم».

(٢٠٠) والأولى حمل الوصل على العموم قال العلامة الألوسي «(١٣/ ١٤٠)» الظاهر العموم من كل ما أمر الله تعالى به في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ إلى أن قال ومن ذهب إلى العموم أدخل في ذلك الأنبياء عليهم السلام ووصلهم أن يؤمن بهم جميعاً ولا يفرق بين أحد منهم والناس على اختلاف طبقاتهم ووصلهم بمراعاة حقوقهم في سائر الحيوانات ووصلها بمراعاة ما يطلب من حقها وجوباً أو ندباً وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم؟ قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله تعالى وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن محسناً.

﴿ويخشون ربهم﴾ فيما أمرهم بوصله.

﴿ويخافون سوءَ الحساب﴾ في تركه.

قوله عزوجل: **﴿ويدرءُون بالحسنة السيئة﴾** فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يدفعون المنكر بالمعروف، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: يدفعون الشر بالخير، قاله ابن زيد.

الثالث: يدفعون الفحش بالسلام، قاله الضحاك.

الرابع: يدفعون الظلم بالعفو، قاله جويبر.

الخامس: يدفعون سفه الجاهل بالحلم، حكاه ابن عيسى.

السادس: يدفعون الذنب بالتوبة، حكاه ابن شجرة.

السابع: يدفعون المعصية بالطاعة[٢٠١].

قوله عزوجل: **﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾** فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه بما صبرتم على أمر الله تعالى، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: بما صبرتم على الفقر في الدنيا، قاله أبو عمران الجوني.

الثالث: بما صبرتم على الجهاد في سبيل الله، وهو مأثور عن عبدالله بن عمر.

الرابع: بما صبرتم عن فضول الدنيا، قاله الحسن، وهو معنى قول الفضيل بن عياض.

السادس: بما صبرتم عما تحبونه حين فقدتموه، قاله ابن زيد.

ويحتمل سابعاً: بما صبرتم على عدم اتباع الشهوات[٢٠٢].

﴿فنعم عقبى الدار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فنعم عقبى الجنة عن الدنيا، قاله ابو عمران الجوني.

الثاني: فنعم عقبى الجنة من النار، وهو مأثور.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

(٢٠١) قال الشوكاني رحمه الله (٧٩/٣) ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور.

(٢٠٢) ولا مانع أيضاً من دخول كل هذه المعاني تحت هذه الآية.

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى **﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾** وفيه وجهان:

أحدهما: أي قليل ذاهب، قاله مجاهد.

الثاني: زاد الراعي، قاله ابن مسعود.

ويحتمل ثالثاً: وما جعلت الحياة الدنيا إلا متاعاً يتزود منها إلى الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾

قوله عزوجل: **﴿والذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: بذكر الله بأفواههم، قاله قتادة.

الثاني: بنعمة الله عليهم.

الثالث: بوعد الله لهم، ذكره ابن عيسى.

الرابع: بالقرآن، قاله مجاهد.

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: بطاعة الله.

الثاني: بثواب الله.

الثالث: بوعد الله تعالى لهم.

قوله عزوجل: **﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾** فيه تسعة تأويلات:

أحدها: أن طوبى اسم من أسماء الجنة، قاله مجاهد.

الثالث: معنى طوبى لهم حسنى لهم، قاله قتادة.

الرابع: معناه نِعَم مالهم، قاله عكرمة.

الخامس: معناه خير لهم، قاله إبراهيم.

السادس: معناه غبطة لهم، قاله الضحاك.

السابع: معناه فرج لهم وقرة عين، قاله ابن عباس.

الثامن: العيش الطيب لهم، قاله الزجاج.

التاسع: أن طوبى فُعلى من الطيب كما قيل أفضل وفضلى، ذكره ابن عيسى.

وهذه معان أكثرها متقاربة.

وفيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها كلمة حبشية، قاله ابن عباس.

الثاني: كلمة هندية، قاله عبدالله بن مسعود.

الثالث: عربية، قاله الجمهور.

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿.. وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾ قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله ﷺ بكتب القضية بينه وبينهم، فقال للكاتب: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقالوا ما ندري ما الرحمن وما نكتب إلا: باسمك اللهم. وحكي عن ابن إسحاق أنهم قالوا: قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لن نؤمن به أبداً، فأنزل الله تعالى ﴿وهم يكفرون بالرحمٰن قل هو ربي لا إلّه إلا هو﴾ يعني أنه إلّه واحد وإن اختلفت أسماؤه.

﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ قال مجاهد يعني بالمتاب التوبة.

ويحتمل ثانياً: وإليه المرجع.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٣١)﴾

قوله عزوجل: **﴿ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض﴾** الآية. وسبب ذلك ما حكاه مجاهد وقتادة أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إن يسرَّك أن نتبعك فسيِّرْ جبالنا حتى تتسع لنا أرضنا فإنها ضيقة، وقرب لنا الشام فإننا نتَّجر إليها، وأخرج لنا الموتى من القبور نكلمها، فأنزل الله تعالى. **﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾** أي أُخرت. **﴿أو قطعت به الأرض﴾** أي قربت.

﴿أو كُلِّم به الموْتَى﴾ أي أُحيوا.

وجواب هذا محذوف وتقديره لكان هذا القرآن، لكنه حذف إيجازاً لما في ظاهر الكلام من الدلالة على المضمر المحذوف.

ثم قال تعالى: **﴿بل لله الأمر جميعاً﴾** أي هو المالك لجميع الأمور الفاعل لما يشاء منها.

﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ وذلك أن المشركين لما سألوا رسول الله ﷺ ما سألوه استراب المؤمنون إليه فقال الله تعالى **﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾**.

وفيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه أفلم يتبين الذين آمنوا، قاله عطية، وهي في القراءة الأولى(٢٠٣): أفلم يتبين الذين آمنوا. وقيل لغة جرهم **﴿أفلم ييأس﴾** أي يتبين.

---

(٢٠٣) وقد قرأ بهذه القراءة ابن عباس كما رواه الطبري وعبد بن حميد بسند صحيح كما قال الحافظ في الفتح وقرأ بها غير واحد ذكرهم هناك (٣٧٣/٨) واشتد تكبر البعض على هذه القراءة وطعنوا في النقل عن ابن عباس والصواب أن القتل صحيح بلا مرية ولكن غير هذه القراءة هو المعتمد كما قال الحافظ ابن حجر.

الثاني: أفلم يعلم، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد، ومنه قول رباح بن عدي[٢٠٤]:

ألم ييأس الأقوام أنِّي أنا ٱبْنُهُ   وإن كنتُ عن أرض العشيرة نائيا

الثالث: أفلم ييأس الذين آمنوا بانقطاع طمعهم.

وفيما يئسوا منه على هذا التأويل وجهان:

أحدهما: يئسوا مما سأله المشركون، قاله الفراء.

الثاني: ييأسوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي.

﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لهداهم إلى الإيمان.

الثاني: لهداهم إلى الجنة.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بماصنعوا قارعة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: ما يقرعهم من العذاب والبلاء، قاله الحسن وابن جرير[٢٠٥].

الثاني: أنها الطلائع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله ﷺ، قاله عكرمة.

﴿أو تحل قريباً من دارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أو تحل القارعة قريباً من دارهم، قاله الحسن.

الثاني: أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم، قاله ابن عباس وقتادة.

﴿حتى يأتي وَعْدُ الله﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: فتح مكة[٢٠٦]، قاله ابن عباس.

الثاني: القيامة، قاله الحسن.

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ

---

(٢٠٤) الطبري (١٦/ ٤٥٠) والقرطبي (٩/ ٣٢٠) واساس البلاغة (يأس) وابو حبان (٥/ ٣٩٢).

(٢٠٥) جامع البيان (١٦/ ٤٥٦).

(٢٠٦) رواه الطبري (١٦/ ٤٥٦، ٤٥٧) وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٧٣).

كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

قوله عزوجل: ﴿**أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنهم الملائكة الذين وكلوا ببني آدم(٢٠٧)، قاله الضحاك.
الثاني: هو الله(٢٠٨) القائم على كل نفس بما كسبت، قاله قتادة.
الثالث: أنها نفسه.
وفي قوله تعالى: ﴿**قائم**﴾ وجهان:
أحدهما: يعني والياً، كما قال تعالى ﴿**قائماً بالقسط**﴾ أي والياً بالعدل.
الثاني: يعني عالماً بما كسبت، قال الشاعر(٢٠٩):

فلولا رجالٌ من قريش أعزةٌ ... سرقتم ثياب البيت واللَّه قائم

ويحتمل ﴿**بما كسبت**﴾ وجهين:
أحدهما: ما كسبت من رزق تفضلاً عليها فيكون خارجاً مخرج الامتنان.
الثاني: ما كسبت من عمل حفظاً عليها، فيكون خارجاً مخرج الوعد والوعيد.
﴿**وجعلوا لله شركاء**﴾ يعني أصناماً جعلوها آلهة.
﴿**قل سموهم**﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: قل سموهم آلهة على وجه التهديد.
الثاني: يعني قل صفوهم ليعلموا أنهم لا يجوز أن يكونوا آلهة.
﴿**أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض**﴾ أي تخبرونه بما لا يعلم أن في الأرض إلٰهاً غيره.
﴿**أم بظاهر مِن القول**﴾ فيها أربعة تأويلات:
أحدها: معناه بباطل من القول، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

أعَيّرتنا ألبانها ولحومها ... وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

---

(٢٠٧) وعقب على ذلك الألوسي بقوله (١٣/١٥٩) «وما حكاه القرطبي عن الضحاك من أن المراد بذلك الملائكة الموكلون ببني آدم فمما لا يكاد يعرج عليه هنا.
(٢٠٨) قال الشوكاني عن هذا القول (٣/٨٥) وهو أولى اهـ قلت وهو قول ابن جرير (١٦/٤٦٢).
(٢٠٩) أورده في فتح القدير (٣/٨٥) وروح المعاني (١٣/١٦١).

أي بالحل.

الثاني: بظن من القول، وهو قول مجاهد.

الثالث: بكذب من القول، قاله الضحاك.

الرابع: أن الظاهر من القول هو القرآن، قاله السدي.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم، ويكون معنى الكلام: أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجّين.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)﴾

قوله عزوجل: **﴿مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون﴾** فيه قولان:

أحدهما: يشبه الجنة، قاله علي بن عيسى.

الثاني: نعت الجنة لأنه ليس للجنة مثل، قاله عكرمة.

﴿تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثمرها غير منقطع، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: لذتها في الأفواه باقية، قاله إبراهيم التيمي.

ويحتمل ثالثاً: لا تمل من شبع (٢١٠) ولا مرباد (٢١١) لمجاعة.

﴿وظلها﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: دائم البقاء (٢١٢).

---

(٢١٠) قال الحافظ في الفتح (٤٨٨/١٣). وأكل أهل الحبشة للتنعم والاستلذاذ لا عن الجوع واختلف في الشبع فيها والصواب أنه لا شبع فيها إذ لو كان لمنع دوام أكل المستلذ.

(٢١١) كهذا هنا وفي المطبوعة وقد وقفت على النقل الصحيح وعلى الكلمة الصحيحة فقد ورد هذا القول عن إبراهيم التيمي نقله صاحب روح المعاني عنه وعقب عليه وهاله نصه «وقال إبراهيم التيمي إن لذته دائمة لا تزداد بجوع ولا تمل بشبع وهو خلاف الظاهر».

قلت فعلم ذلك أن هذه الكلمة هنا هي «ولا يزداد» «أو لا يـزاد» والله أعلم.

(٢١٢) وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة أن الجنة نعيمها دائم غير منقطع خلافاً للجهمية ومن على شاكلتهم.

الثاني: دائم اللذة.

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

قوله عزوجل: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ فيهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم أصحاب النبي ﷺ فرحوا بما أنزل عليه من القرآن، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، قاله مجاهد.

الثالث: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى فرحوا بما أنزل عليه من تصديق كتبهم، حكاه ابن عيسى.

﴿ومِن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

الثاني: أنهم كفار قريش.

وفي إنكارهم بعضه وجهان:

أحدهما: أنهم عرفوا نعت رسول الله ﷺ في كتبهم وأنكروا نبوته.

الثاني: أنهم عرفوا صِدْقه وأنكروا تصديقه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ

= وروى ابن المنذر وابو الشيخ عن خارجة بن مصعب رضي الله عنه قال كفرت الجهمية بآيات من القرآن قالوا إن الجنة تنفد ومن قال تنفد فقد كفر بالقرآن قال الله تعالى «إن هذا لرزقنا ما له من نفاد» [ص: ٥٤] وقال لا مقطوعة ولا ممنوعة [الواقعة: ٣٣] فمن قال انها تنقطع فقد كفر وقال عطاء غير مجذوذ ممنوعة قال إنها تنقطع فقد كفر وقال أكلها دائم وظلها «فمن قال إنها لا تدوم فقد كفر» الدر (٤/٦٥٧).

بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴿٣٨﴾ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**ولقد أرسلنا رُسُلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية**﴾ يعني بالأزواج النساء، وبالذرية الأولاد. وفيه وجهان:

أحدهما: معناه أن من أرسلناه قبلك من المرسلين بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر، فلمَ أنكروا رسالتك وأنت مثل من قبلك.

الثاني: أنه نهاه بذلك عن التبتل، قاله قتادة.

وقيل إن اليهود عابت على النبي ﷺ الأزواج، فأنزل الله تعالى إلى ذلك فيهم يعلمهم أن ذلك سُنَّة الرسل قبله.

﴿**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله**﴾ قيل إن مشركي قريش سألوه آيات قد تقدم ذكرها في هذه السورة فأنزل الله تعالى ذلك فيهم.

﴿**لكل أجل كتابٌ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه لكل كتاب نزل من السماء أجل. وهو من المقدَّم والمؤخر، قاله الضحاك.

الثاني: معناه لكل أمر قضاه الله تعالى كتاب كتبه فيه، قاله ابن جرير(٢١٣).

الثالث: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله تعالى، قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: لكل عمل خَبر.

قوله عزوجل: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ فيه سبعة تأويلات:

أحدها: يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيره إلا الشقاء والسعادة فإنهما لا يغيران، قاله ابن عباس.

الثاني: يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء في كتاب سوى أم الكتاب، وهما كتابان أحدهما: أم الكتاب لا يغيره ولا يمحو منه شيئاً كما أراد(٢١٤)، قاله عكرمة.

---

(٢١٣) جامع البيان (١٦/٤٧٦).

(٢١٤) قال الشوكاني رحمه الله (٨٨/٣) والمراد من الآية أن يمحو ما يشاء ما في اللوح المحفوظ فيكون =

الثالث: أن الله عز وجل ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه، قاله قتادة وابن زيد.

الرابع: أنه يمحو مَنْ قد جاء أجلُه ويثبت من لم يأت أجلُه، قاله الحسن[٢١٥].

الخامس: يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفره، قاله سعيد بن جبير.

السادس: أنه الرجل يقدم الطاعة ثم يختمها بالمعصية فتمحو ما قد سلف، والرجل يقدم المعصية ثم يختمها بالطاعة فتمحو ما قد سلف، وهذا القول مأثور عن ابن عباس أيضاً.

السابع: أن الحفظة من الملائكة يرفعون جميع أقواله وأفعاله، فيمحو الله عز وجل منها ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب، قاله الضحاك.

﴿وعنده أم الكتاب﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: الحلال والحرام، قاله الحسن.

الثاني: جملة الكتاب، قاله الضحاك.

الثالث: هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق، قاله كعب الأحبار.

الرابع: هو الذكر، قاله ابن عباس.

الخامس: أنه الكتاب الذي لا يبدل، قاله السدي.

السادس: أنه أصل الكتاب في اللوح المحفوظ، قاله عكرمة.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

= كالعدم ويثبت ما يشاء مما فيه فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته، وهذا لاينافي ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله «جف القلم» وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه» ا هـ.

(٢١٥) واختاره ابن جرير (١٣ / ١٧٠) وفي الآية أقوال أخرى ذكرها الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٨٨).

قوله عزوجل: ﴿أَوَلَم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصُها من أطرافها﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: بالفتوح على المسلمين من بلاد المشركين، قاله قتادة.

الثاني: بخراجها بعد العمارة، قاله مجاهد.

الثالث: بنقصان بركتها وتمحيق ثمرتها، قاله الكلبي والشعبي.

الرابع: بموت فقهائها وخيارها، قاله ابن عباس.

ويحتمل خامساً: أنه بجور ولاتها.

وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل ﴿ويقول الذين كفروا لست مُرْسلاً﴾ قال قتادة: هم مشركو العرب.

﴿قلْ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ أي يشهد بصدقي وكذبكم.

﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنهم عبدالله بن سلام وسلمان وتميم الداري، قاله قتادة.

الثاني: أنه جبريل، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: هو الله تعالى، قاله الحسن ومجاهد والضحاك.

وكانوا يقرأون ﴿ومِن عنده علم الكتاب﴾ أي من عِنْد الله علم الكتاب، وينكرون على[٢١٦] من قال هو عبدالله بن سلام وسلمان لأنهم يرون السورة مكية، وهؤلاء أسلموا بالمدينة، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢١٦) راجع تفصيل القول في ذلك في روح المعاني (١٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦).



مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها مدنية وهي ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ والتي بعدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

﴿آلر كتاب أنزلناه إليك﴾ يعني القرآن.

﴿لِتُخرِجَ الناسَ مِن الظلمات إلى النُّور﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: من الشك إلى اليقين.

الثاني: من البدعة إلى السنّة.

الثالث: من الضلالة إلى الهدى.

الرابع: من الكفر إلى الإيمان.

﴿بإذن ربهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بأمر ربهم، قاله الضحاك.

الثاني: بعلم ربهم.

﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ فروى مِقْسم عن ابن عباس قال: كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما بعث محمد ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فنزلت هذه الآية.

قوله عزوجل: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يختارونها على الآخرة، قاله أبو مالك.

الثاني: يستبدلونها من الآخرة، ذكره ابن عيسى، والاستحباب هو التعرض للمحبة.

ويحتمل ما يستحبونه من الحياة الدنيا على الآخرة وجهين:

أحدهما: يستحبون البقاء في الحياة الدنيا على البقاء في الآخرة.

الثاني: يستحبون النعيم فيها على النعيم في الآخرة.

﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ قال ابن عباس: عن دين الله.

ويحتمل: عن محمد ﷺ.

﴿ويبغونها عِوَجاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يرجون بمكة غير الإسلام ديناً، قاله ابن عباس.

الثاني: يقصدون بمحمد ﷺ هلاكاً، قاله السدي.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته.

والعِوَج بكسر العين: في الدين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً. والعوج بفتح العين: في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحُججنا وبراهينناوقال مجاهد هي التسع الآيات:

﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: من الضلالة إلى الهدى.

الثاني: من ذل الاستعباد إلى عز المملكة.

﴿وذكِّرهم بأيام الله﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه وعظهم بما سلف من الأيام الماضية لهم، قاله ابن جرير[٢١٧].

الثاني: بالأيام التي انتقم الله فيها من القرون الأولى، قاله الربيع وابن زيد.

الثالث: أن معنى أيام الله أن نعم الله عليهم، قاله مجاهد وقتادة، وقد رواه أبيّ[٢١٨] بن كعب مرفوعاً. وقد تسمَّى النعم بالأيام، ومنه قول عمرو بن كلثوم[٢١٩]:

وأيام لنا غُرٌّ طِوالٍ　　عصينا الملْك فيها أن نَدِينا

ويحتمل تأويلاً رابعاً: أن يريد الأيام التي كانوا فيها عبيداً مستذلين لأنه أنذرهم قبل استعمال النعم عليهم.

﴿إنَّ في ذلك لآيات لكُلِّ صبَّارٍ شكورٍ﴾ الصبار: الكثير الصبر، والشكور: الكثير الشكر، قال قتادة: هو العبد إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر. وقال الشعبي: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف، وقرأ ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وتوارى الحسن عن الحجاج[٢٢٠] تسع سنين، فلما بلغه موته قال: اللهم قد أمته فأمت سنته وسجد شكراً وقرأ ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾.

وإنما خص بالآيات كل صبار شكور، وإن كان فيه آيات لجميع الناس لأنه يعتبر بها ويغفل عنها.

---

(٢١٧) جامع البيان (١٦/ ٥١٩).

(٢١٨) رواه الطبري (١٦/ ٥٢٢) وأحمد (٥/ ١٢١) (٥/ ٥٢٣) وقال الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٢٣) ورواه عبدالله [أي ابن الإمام أحمد] أيضاً موقوفاً وهو أشبه قلت وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٦) نسبه للنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٢١٩) من معلقته المشهورة أنظر شرح العقائد السبع لابن الأنباري (٣٨٨) والطبري (١٦/ ٥١٩).

(٢٢٠) والحجاج هو من هو وما أدراك وهو صاحب الأفاعيل التي يبكي لها عيون الإسلام دماً راجع ذنوبه من سير أعلام النبلاء.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

قوله عزوجل: **﴿. . وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:**

أحدها: نعمة من ربكم، قاله ابن عباس والحسن.

الثاني: شدة البلية، ذكره ابن عيسى.

الثالث: اختبار وامتحان، قاله ابن كامل.

قوله عزوجل: **﴿وإذ تأذن ربُّكم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:**

أحدها: معناه وإذ سمع ربكم، قاله الضحاك.

الثاني: وإذ قال ربكم، قاله أبو مالك.

الثالث: معناه وإذ أعلمكم ربكم، ومنه الأذان لأنه إعلام، قال الشاعر:

فلم نشعر بضوء الصبح حتى ... سَمِعْنا في مجالِسنا الأذينا

﴿لئن شكرتم لأزيدنكمْ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع.

الثاني: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن وأبو صالح.

الثالث: لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم، قاله ابن عباس.

ويحتمل تأويلاً رابعاً: لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلى نعيم الدنيا.

وسُئِل بعض الصلحاء على شكر الله تعالى، فقال: أن لا تتقوى بنِعَمِهِ على معاصيه. وحكي أنَّ داود عليه السلام قال: أي ربِّ كيف أشكرك وشكري لك نعمة مجددة منك عليّ؟ قال: «يا داود الآن شكرتني».

﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديدٌ﴾ وعد الله تعالى بالزيادة على الشكر، وبالعذاب على الكفر.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . والذين من بعدهم لا يَعْلَمُهم إلا الله﴾ فيها وجهان:

أحدهما: يعني بعد من قص ذكره من الأمم السالفة قرون وأمم لم يقصها على رسول الله ﷺ لا يعلمهم إلا الله عالم ما في السموات والأرض.

الثاني: ما بين عدنان وإسماعيل من الآباء. قال ابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون.

وكان ابن مسعود يقرأ: لا يعلمهم إلا الله كذب النسّابون.

﴿جاءَتهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالحجج.

﴿فردُّوا أيديهم في أفواههم﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أنهم عضوا على أصابعهم تغيظاً عليهم[٢٢١]، قاله ابن مسعود واستشهد أبو عبيدة[٢٢٢] بقول الشاعر:

لو أن سلمى أبصرت تخدُّدي ... ودقةً في عظم ساقي ويدي
وبعد أهلي وجفاءَ عُوَّدي ... عضت من الوجد بأطراف اليد

الثاني: أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم، قاله ابن عباس.

ـ الثالث: معناه أنهم كانوا إذا قال لهم نبيهم إني رسول الله إليكم، أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم بأن اسكت تكذيباً له ورداً لقوله، قاله أبو صالح.

---

(٢٢١) رواه الطبري (١٦/ ٥٣١) وصحح الحافظ في الفتح. رواية عبد بن حميد ونقل تصحيح الحاكم له.

(٢٢٢) أورده الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٦٧) وقال هذا أقرب التفاسير للآية وإن لم يصح عن العرب ما ذكره أبو عبيده والأخفش فإن صح ما ذكراه فتفسير الآية به أقرب.

الرابع: معناه أنهم كذبوهم بأفواههم، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً لقولهم، قاله الحسن.

السادس: أن الأيدي هي النعم، ومعناه أنهم ردوا نعمهم بأفواههم جحوداً لها.

السابع: أن هذا مثل أريد به أنهم كفوا عن قبول الحق ولم يؤمنوا بالرسل، كما يقال لمن أمسك عن الجواب رَدّ في فيه.

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) ﴾

قوله عزوجل: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أفي توحيد الله شك؟ قاله قتادة.

الثاني: أفي طاعة الله شك؟

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أفي قدرة الله شك؟ لأنهم متفقون عليها ومختلفون فيما عداها.

﴿فاطر السموات والأرض﴾ أي خالقهما، لسهوهم عن قدرته.

﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي يدعوكم إلى التوبة ليغفر ما تقدمها من معصية.

وفي قوله تعالى: ﴿من ذنوبكم﴾ وجهان:

أحدهما: أن ﴿من﴾ زائدة، وتقديره: ليغفر لكم ذنوبكم، قاله أبو عبيدة.

الثاني: ليست زائدة، ومعناه أن تكون المغفرة بدلاً من ذنوبكم، فخرجت مخرج البدل.

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ يعني إلى الموت فلا يعذبكم في الدنيا.

قوله عزوجل: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ مثلكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ينكر قومهم أن يكونوا مثلهم وهم رسل الله إليهم.

الثاني: أن يكون قومهم سألوهم معجزات اقترحوها.

وفي قوله تعالى: ﴿ولكن الله يمنّ على مَنْ يشاء من عباده﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: بالنبوة.

الثاني: بالتوفيق والهداية.

الثالث: بتلاوة القرآن وفهم ما فيه، قاله سهل بن عبدالله.

﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بكتاب.

الثاني: بحجة.

الثالث: بمعجزة.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

قوله عزوجل: ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ أي المقام بين يدّي، وأضاف ذلك إليه لاختصاصه به:

والفرق بين المقام بالفتح وبين المقام بالضم أنه إذا ضم فهو فعل الإقامة، وإذا فتح فهو مكان الإقامة.

﴿وخاف وعيد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه العذاب.

والثاني: أنه ما في القرآن من زواجر.

﴿واستفتحوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الرسل استفتحوا بطلب النصر، قاله ابن عباس.

الثاني: أن الكفار استفتحوا بالبلاء، قاله ابن زيد.

وفي الاستفتاح وجهان:

أحدهما: أنه الإبتداء.

الثاني: أنه الدعاء، قاله الكلبي.

﴿وخاب كلُّ جبار عنيد﴾ في ﴿خاب﴾ وجهان:

أحدهما: خسر عمله.

الثاني: بطل أمله.

وفي ﴿جبار﴾ وجهان:

أحدهما: أنه المنتقم.

الثاني: المتكبر بطراً.

وفي ﴿عنيد﴾ وجهان.

أحدهما: أنه المعاند للحق.

الثاني: أنه المتباعد عن الحق، قال الشاعر:

ولست إذا تشاجر أمْرُ قوم ... بأوّلِ مَنْ يخالِفهُم عَنيدا

قوله عزوجل: ﴿مِن ورائه جهنم﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه من خلفه جهنم. قال أبو عبيدة[٢٢٣]: وراء من الأضداد وتقع على خلف وقدام. جميعاً.

الثاني: معناه أمامه جهنم، ومنه قول الشاعر:

ومن ورائك يومٌ أنت بالغه ... لا حاضرٌ معجز عنه ولا بادي

(٢٢٣) قال أبو عبيدة هو من أسماء الأضداد لأن أحدهما ينقلب إلى الآخر راجع فتح القدير (٣/ ١٠٠).

الثالث: أن جهنم تتوارى ولا تظهر، فصارت من وراء لأنها لا ترى حكاه ابن الأنباري.

الرابع: من ورائه جهنم معناه من بعد هلاكه جهنم، كما قال النابغة(٢٢٤):

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرْءِ مذهب

أراد: وليس بعد الله مذهب.

﴿ويسقى من ماءٍ صديد﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع أسد، أي مثل الأسد.

الثاني: من ماء كرهته تصد عنه، فيكون الصديد مأخوذاً من الصد.

قوله عزوجل: ﴿. . . ويأتيه الموت مِنْ كل مكان﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدهـا: من كل مكان من جسده حتى من أطراف شعره، قاله ابراهيم التيمي، للآلام التي في كل موضع من جسده.

الثاني: تأتيه أسباب الموت من كل جهة، عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته، ومن قدامه وخلفه، قاله ابن عباس.

الثالث: تأتيه شدائد الموت من كل مكان، حكاه ابن عيسى.

﴿وما هو بميتٍ﴾ لتطاول شدائد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه.

﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ فيه الوجوه الأربعة الماضية. والعذاب الغليظ هو الخلود في جهنم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾

قوله عزوجل: ﴿مثل الذين كفروا بربّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها، بالرماد الذي هو بقية النار الذاهبة لا ينفعه، فإذا اشتدت به الريح العاصف: وهي

(٢٢٤) ديوانه: ١٢، مختار الشعر الجاهلي ص ١٧٥.

الشديدة: فأطارته لم يقدر على جمعه، كذلك الكافر في عمله.

وفي قوله ﴿في يوم عاصف﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه وصف اليوم بالعصوف وهو من صفة الريح، لأن الريح تكون فيه، كما يقال يوم بارد، ويوم حار، لأن البرد والحر يكونان فيه.

الثاني: أن المراد به في يوم عاصف الريح، فحذف الريح لأنها قد ذكرت قبل ذلك.

الثالث: أن العصوف من صفة الريح المقدم ذكرها، غير أنه لما جاء بعد اليوم اتبع إعرابه.

﴿لا يقدرون مما كسَبَوا على شيءٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يقدرون في الآخرة على شيء من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لإحباطه بالكفر.

الثاني: لا يقدرون على شيء مما كسبوه من عروض الدنيا، بالمعاصي التي اقترفوها، أن ينتفعوا به في الآخرة.

﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ وإنما جعله بعيداً لفوات استدراكه بالموت.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

قوله عزوجل: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ أي ظهروا بين يديه تعالى في القيامة.

﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الأتباع.

﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة المتبوعون.

﴿إنا كُنّا لكم تبعاً﴾ يعني في الكفر بالإجابة لكم.

﴿فهل أنتم مغنون عَنّا مِن عذاب الله من شيء﴾ أي دافعون عنا يقال أغنى عنه

إذا دفع عنه الأذى، وأغناه إذا أوصل إليه النفع.

﴿**قالوا لو هَدانا الله لهديناكم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لو هدانا الله إلى الإيمان لهديناكم إليه.

الثاني: لو هدانا الله إلى طريق الجنة لهديناكم إليها.

الثالث: لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه.

﴿**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصٍ**﴾ أي من منجى أو ملجأ، قيل إن أهل النار يقولون: يا أهل النار إن قوماً جزعوا في الدنيا وبكوا ففازوا، فيجزعون ويبكون. ثم يقولون: يا أهل النار إن قوماً صبروا في الدنيا ففازوا، فيصبرون. فعند ذلك يقولون ﴿**سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**﴾.

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**وقال الشيطان لمّا قضي الأمر**﴾ يعني إبليس.

قال الحسن: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً.

﴿**إن الله وعدكم وعد الحق**﴾ يعني البعث والجنة والنار وثواب المطيع وعذاب العاصي.

﴿**ووعدتكم**﴾ أن لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب.

﴿**فأخلفتكم وما كان لي عليكم مِن سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَّ**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيَّ، قاله الربيع بن أنس.

الثاني: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثي، قاله مجاهد. والمصرخ: المغيث. والصارخ: المستغيث. ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فلا تجزعوا إنّي لكم غير مُصْرخ فليس لكم عندي غناءٌ ولا صبر

﴿إني كفرتُ بما أشركتمون مِن قبل﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إني كفرت اليوم بما كنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك بالله تعالى، قاله ابن بحر.

الثاني: إني كفرت قبلكم بما أشركتموني من بعد، لأن كفر إبليس قبل كفرهم.

قوله عزوجل: ﴿. . . تحيّتُهم فيها سلامٌ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تحية أهل الجنة إذا تلاقوا فيها السلام، وهو قول الجمهور.

الثاني: أن التحية ها هنا الملك، ومعناه أن ملكهم فيها دائم السلامة، مأخوذ من قولهم في التشهد: التحيات لله، أي الملك لله، ذكره ابن شجرة.

وفي المحيّي لهم بالسلام ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الله تعالى يحييهم بالسلام.

الثاني: أن الملائكة يحيونهم بالسلام.

الثالث: أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام.

وتشبيه الكلمة الطيبة بها لأنها ثابتة في القلب كثبوت أصل النخلة في الأرض، فإذا ظهرت عرجت إلى السماء كما يعلو فرع النخلة نحو السماء فكلما ذكرت نفعت، كما أن النخلة إذا أثمرت نفعت.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

قوله عزوجل: ﴿ألم تَرَ كَيْفَ ضرب اللّهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ﴾ في الكلمة الطيبة قولان:

أحدهما: أنها الإيمان، قاله مجاهد وابن جريج.

الثاني: أنه عنى بها المؤمن نفسه، قاله عطية العوفي والربيع بن أنس.

وفي الشجرة الطيبة قولان:

أحدهما: أنها النخلة، وروى ذلك عن النبي ﷺ عبدالله(٢٢٥) بن عمر وأنس بن مالك(٢٢٦).

الثاني: أنها شجرة في الجنة، قاله ابن عباس.

وحكى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة: الإيمان، والشجرة الطيبة: المؤمن.

﴿أصلها ثابت﴾ يعني في الأرض.

﴿وفرعها في السماء﴾ أي نحو السماء.

﴿تؤتي أُكُلَها﴾ يعني ثمرها.

﴿كلَّ حين بإذن ربها﴾ والحين عند أهل اللغة: الوقت. قال النابغة(٢٢٧):

تناذرها الرّاقون من سُوءِ سُمِّها   تُطلِّقُه حيناً وحيناً تُراجع

وفي ﴿الحين﴾ ها هنا ستة تأويلات:

أحدها: يعني كل سنة، قاله مجاهد، لأنها تحمل كل سنة.

الثاني: كل ثمانية أشهر، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنها مدة الحمل ظاهراً وباطناً.

الثالث: كل ستة أشهر، قاله الحسن وعكرمة، لأنها مدة الحمل ظاهراً.

الرابع: كل أربعة أشهر، قاله سعيد بن المسيب لأنها مدة يرونها من طلعها إلى جذاذها.

(٢٢٥) رواه البخاري (١/ ١٣٠) ومسلم (٤/ ٢١٦٥) من حديث ابن عمر.

(٢٢٦) رواه ابن جرير (١٦/ ٥٧٠) والحاكم (٢/ ٣٥٢) والترمذي (٣١١٩) وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٢٢) نسبته للنسائي والبزار وابن ليلى وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وهذا القول في تعيين الشجرة هنا هو الصواب ورجحه ابن جرير (١٦/ ٥٧٣).

(٢٢٧) ديوانه: ٣٤.

الخامس: كل شهرين، لأنها مدة صلاحها إلى جفافها.

السادس: كل غدوة وعشية، لأنه وقت اجتنائها، قاله ابن عباس.

وفي قوله تعالى ﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وجهان:

أحدهما: أن المراد بالحياة الدنيا زمان حياته فيها، وبالآخرة المساءلة في القبر، قاله طاوس وقتادة.

الثاني: أن المراد بالحياة الدنيا المساءلة في القبر أن يأتيه منكر ونكير فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: إن اهتَدَى: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ[٢٢٨].

﴿ويضلُّ اللهُ الظالمين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: عن حجتهم في قبورهم، كما ضلوا في الحياة الدنيا بكفرهم.

الثاني: يمهلهم حتى يزدادوا ضلالاً في الدنيا.

﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: مِن إمهال وانتقام.

الثاني: من ضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير.

وروى ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال:[٢٢٩]: «**لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منه سعد بن معاذ، ولقد ضم ضَمَّةً**».

وقال قتادة[٢٣٠]: ذكر لنا أنّ عذاب القبر من ثلاثة: ثلثٌ من البول. وثلثٌ من الغيبة، وثلثٌ من النميمة.

---

(٢٢٨) وقد ثبت ذلك بالتواتر عن رسول الله ﷺ ولم يخالف من ذلك إلا أهل البدع من المعتزلة والجهمية. أنظر جملة من الأحاديث في ذلك تراها في الدر (٥/ ٢٦ ـ ٣٩) والطبري (١٣/ ٢١٣ ـ ٢١٨).

(٢٢٩) الحديث من حديث ابن عباس بهذا اللفظ رواه السمين في إثبات عذاب القبر ص ٨٤ والطبراني في الكبير والأوسط كما في المجمع (٣/ ٤٦، ٤٧) وقال الهيثمي رجاله موثقون وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٩٥) وصحيح الجامع (١٨٢) وبنحوه من حديث عائشة رواه أحمد (٦/ ٥٥، ٩٨) وقال العراقي إسناده جيد وقال الهيثمي ٣/ ٤٦ رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٦) ومن حديث ابن عمر وفيه زيادة رواه النسائي (٤/ ٨٢) والبزار (٢٦٩٨) كشف الأستار والطبراني في الكبير (٦/ ١٢) وصححه الألباني في (الصحيحة ١٦٩٥) وصحيح الجامع (٦٦٨٦)

(٢٣٠) رواه البيهقي في آيات عذاب القبر ٢٦١ وابن أبي الدنيا في الصمت (١٨٩) وأخرجه من طريق قتادة =

وسبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي ﷺ[٢٣١] لما وصف مساءَلة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر: يا رسول الله أيكون معي عقلي؟ قال: «نعم» قال. كُفيت إذن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله عزوجل: ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الكفر.

الثاني: أنها الكافر نفسه.

﴿كشجرة خبيثةٍ﴾ فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة الحنظل، قاله أنس بن مالك[٢٣٢].

الثاني: أنها شجرة لم تخلف، قاله ابن عباس.

الثالث: أنها الكشوث[٢٣٣].

﴿ اجتثت من فوق الأرض﴾ أي اقتلعت من أصلها، ومنه قول لقيط:

= عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً والصواب أنه موقوف على قتادة كما قال البيهقي حيث رواه موقوفاً من قول قتادة في إثبات عذاب القبر (٢٦٢) وقال الصحيح رواه ابن أبي عروبة عن قتادة من قوله وقال ابن رجب في أهوال القبور (ص ٦٥) أخرجه الخلال عن قتادة وهذا أصح.

(٢٣١) رواه أبو بكر بن أبي داود في البعث والنشور ص ٢١ والبيهقي في الاعتقاد (٢٢٢ ـ ٢٢٣) والحاكم في التاريخ كما في الدر (٥/ ٣٦) وسنده ضعيف جداً ففيه المفضل بن صالح وقد تفرد به كما قال البيهقي ونقل في الميزان (٤/ ١٦٧) قول البخاري وابن أبي حاتم فيه منكر الحديث وقال الترمذي ليس عند أهل الحديث بذاك الحافظ. ا ـ هـ. وعن عطاء بن يسار مرسلاً رواه الآجري في الشريعة ٢٦٦ وقال الحافظ العراقي في المغنى (٤/ ٥٠٣) رجاله ثقات ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ونص الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال لي رسول الله ﷺ كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟ قال قلت يا رسول الله وما منكر ونكير قال فتانا القبر يبحثان الأرض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا أرخصها هي أيسر عليهما من عصاتي هذه قال قلت يا رسول الله وأنا على حالي هذه قال نعم قلت إذاً أكفيكهما.

(٢٣٢) رواه الطبري (١٦/ ٥٨٥) مرفوعاً وكذا رواه موقوفاً (رقم ٢٠٦٨٠) وصحح الترمذي الموقوف وعلق الطبري عليه القول بصحه الحديث راجع الطبري (١٦/ ٥٧١).

(٢٣٣) كذا في المطبوعة وفي زاد المسير (٤/ ٣٦٠) الكشوف.

ويؤيده قول الشاعر:

فهو الكشوف فلا أصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

راجع روح المعاني (١٣/ ٢١٥).

هـو الجـلاء الـذي يجتث أصلكم فمن رأى مِثـل ذا يـومـاً ومَنْ سمعا

﴿ما لها من قرار﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما لها من أصل.

الثاني: ما لها من ثبات.

وتشبيه الكلمة الخبيثة بهذه الشجرة التي ليس لها أصل يبقى، ولا ثمر يجتنى أن الكافر ليس له عمل في الأرض يبقى، ولا ذكر في السماء يرقى[٢٣٤].

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

قوله عزوجل: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يزيدهم الله أدلة على القول الثابت.

الثاني: يديمهم الله على القول الثابت، ومنه قول عبدالله بن رواحة.

يُثبِّتُ الله مـا آتـاكَ مـن حسـنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كـالـذي نصِـرا

وفي قوله: ﴿بالقول الثابت﴾ وجهان:

أحدهما: أنه الشهادتان، وهو قول ابن جرير[٢٣٥].

الثاني: أنه العمل الصالح.

ويحتمل ثالثاً: أنه القرآن.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ فيهم خمسة أقاويل:

(٢٣٤) وهذا القول الذي ذكره المؤلف هنا هو قول ابن عباس كما في زاد المسير (٤/ ٣٦٠).

(٢٣٥) جامع البيان (١٦/ ٥٨٩).

أحدها: أنهم قريش بدلوا نعمة الله عليهم لما بعث رسوله منهم، كفراً به وجحوداً له، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: أنها نزلت في الأفجرين من قريش بني أمية وبني مخزوم فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو مخزوم فأهلكوا يوم بدر، قاله عليٌّ[٢٣٦]، ونحوه عن عمر رضي الله عنهما.

الثالث: أنهم قادة المشركين يوم بدر، قاله قتادة.

الرابع: أنه جبلة من الأيهم حين لُطم، فجعل له عمر رضي الله عنه القصاص بمثلها، فلم يرض وأنف فارتد متنصراً ولحق بالروم في جماعة[٢٣٧] من قومه، قاله ابن عباس. ولما صار إلى بلاد الروم ندم وقال:

تنصَّرت الأشْرافُ من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرت لها ضَرَرْ
تكنفني منهـا لجـاجٌ ونخـوةٌ ... وبعث لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليتني أرْعَى المخاض ببلدتي ... ولم أنكِرِ القول الذي قالـه عمر

الخامس: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن.

ويحتمل تبديلهم نعمة الله كفراً وجهين:

أحدهما: أنهم بدلوا نعمة الله عليهم في الرسالة بتكذيب الرسول ﷺ.

الثاني: أنهم بدلوا نعم الدنيا بنقم الآخرة.

﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها جهنم، قاله ابن زيد.

الثاني: أنها يوم بدر، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد. والبوار في كلامهم الهلاك، ومنه قول الشاعر[٢٣٨]:

---

(٢٣٦) رواه الطبري (١٣/ ٢٢٠) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٧٨) وهو عند عبدالرزاق أيضاً والنسائي وصححه الحاكم قلت والمراد بعضهم لا جميع بني أمية وبني مخزوم فإن بني مخزوم لم يستأصلوا يوم بدر بل المراد بعضهم كأبي جهل من بني مخزوم وابي سفيان من بني أمية. . . ا هـ وأما خبر عمر الآتي فهو في الطبري (١٣/ ٢١٩).

(٢٣٧) رواه الطبري (١٣/ ٢١٩).

(٢٣٨) أورده في فتح القدير (٣/ ١٠٩) وروح المعاني (١٣/ ٢١٨).

فلم أر مثلهم أبطال حربٍ　　غداة الحرب إن خيف البَوارُ

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

قوله عزوجل: **﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصّلاة وينفقوا مما رزَقناهم سِـرًّا وعلانية﴾** فيه وجهان:

أحدهما: يعني بالسر ما خفي، وبالعلانية ما ظهر، وهو قول الأكثرين.

الثاني: أن السر التطوع، والعلانية الفرض، قاله القاسم بن يحيى.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن السر الصدقات، والعلانية النفقات.

﴿مِنْ قبل أن يأتي يومٌ، لا بَيْعٌ فيه ولا خلالٌ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: معناه لا فِدية ولا شفاعة للكافر.

الثاني: أن معنى قوله **﴿لا بيع﴾** أي لا تباع الذنوب ولا تشترى الجنة. ومعنى قوله **﴿ولا خِلال﴾** أي لا مودة بين الكفار في القيامة لتقاطعهم.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الخلال جمع خلة، مثل قِلال وقُلّة.

الثاني: أنه مصدر من خاللت خِلالاً، مثل قاتلت قِتالاً. ومنه قول لبيد(٢٣٩):

خـالت البرقـة شركـاً في الهـدى　　خلة بـاقيـة دون الـخلل

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ

(٢٣٩) ديوانه:

ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله عز وجل: ﴿رَبّنا إني أسكنت مِنْ ذُرِّيتي بوادٍ غيـر ذي زَرْعٍ﴾ هذا قـول إبراهيم عليه السلام. وقوله ﴿مِن ذريتي﴾ يريد بهم إسماعيل وهاجر أمه.

﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾ يعني مكة أسكنها في بطحائها، ولم يكن بها ساكن، ثقة باللّه وتوكلاً عليه.

﴿عند بيتك المحرم﴾ لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عنده. وأضاف البيت إليه لأنه لا يملكه غيره، ووصفه بأنه محرَّم لأنه يحرم فيه ما يستباح في غيره من جماع واستحلال.

﴿ربّنا ليقيموا الصلاة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون سأل الله تعالى بذلك أن يهديهم إلى إقامة الصلاة.

الثاني: أن يكون ذكر سبب تركهم فيه أن يقيموا الصلاة.

﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ في ﴿أفئدة﴾ وجهان:

أحدهما: أن الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد، قال الشاعر[٢٤٠]:

وإنّ فـؤاداً قـادَنـي بـصـبـابـةٍ إليـك على طـول الهـوَى لصَبـورُ

الثاني: أن الأفئدة جمع وفد، فكأنه قال: فاجعل وفوداً من الأمم تهوي إليهم.

وفي قوله: ﴿تهوي إليهم﴾ أربعة أوجه:

أحدها: أنه بمعنى تحن إليهم،

الثاني: أنه بمعنى تنزل إليهم، لأن مكة في واد والقاصد إليها نازل إليها،

(٢٤٠) أورده في زاد المسير (٤/ ٣٦٧) ولم ينسبه.

الثالث: ترتفع إليهم، لأن ما في القلوب بخروجه منها كالمرتفع عنها.

الرابع: تهواهم. وقد قرىء تَهْوَى(٢٤١).

وفي مسألة إبراهيم عليه السلام أن يجعل اللَّهُ أفئدةً من الناس تهـوي إليهم قولان:

أحدهما: ليهووا السكنى بمكة فيصير بلداً محرّماً، قاله ابن عباس.

الثاني: لينزعوا إلى مكة فيحجوا، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

قال ابن عباس: لولا أنه قال من الناس لحجه اليهود والنصارى وفارس والروم.

﴿وارزقهم من الثمرات﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريد ثمرات القلوب بأن تحببهم إلى قلوب الناس فيزوروهم.

الثاني: ومن الظاهر من ثمرات النخل والأشجار، فأجابه بما في الطائف من الثمار، وما يجلب إليهم من الأمصار.

﴿لَعَلَّهُمْ يشكرون﴾ أي لكي يشكروك.

قوله عز وجل: **﴿ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين﴾** وفي استغفاره لوالديه مـع شركهما ثلاثة أوجه:

أحدهما: كانا حيين فطمع في إيمانهما. فدعا لهما بالاستغفار، فلما ماتا على الكفر لم يستغفر لهما.

الثاني: أنه أراد آدم وحوّاء.

الثالث: أنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبـراهيم(٢٤٢) يقرأ: **﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾** يعني ابنيه، وكذلك قرأ يحيى بن يعمر(٢٤٣).

---

(٢٤١) نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٨) ولم يذكر هؤلاء البعض وقد ذكر الألوسي في روح المعاني (١٣/ ٢٤٠) أنها قراءة علي بن أبي طالب وجماعة من أهله ومجاهد وفيها قراءة أخرى بضم التاء مبيناً للمفعولين أهدى وهي قراءة مسلمة بن عبدالله.

(٢٤٢) وهو إبراهيم النخعي وهي قراءة ابن مسعود والزهري أيضاً وهي بتشديد الياء لِوَلَدَيَّ على التثنية قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٩) ويدل عليه ذكرهما قبل ذلك.

(٢٤٣) لكن ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٩) أن قراءة يحيى بن يعمر بفتح الواو أو كسر الدال على التوحيد هكذا «لِوَلَدِي».

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾ قال ميمون بن مهران: وعيد للظالم وتعزية(٢٤٤) للمظلوم.

قوله عزوجل: ﴿**مهطعين**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: معناه مسرعين قاله سعيد بن جبير والحسن وقتادة، مأخوذ من أهطع يهطع إهطاعاً إذا أسرع، ومنه قوله تعالى: ﴿**مهطعين إلى الداع**﴾ أي مسرعين. قال الشاعر(٢٤٥):

بدجلة دارُهم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

الثاني: أنه الدائم النظر لا يطرف، قاله ابن عباس والضحاك.

الثالث: أنه المطرق الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد.

﴿**مقنعي رءوسهم**﴾ وإقناع الرأس فيه تأويلان:

أحدهما: ناكسي رؤوسهم بلغة قريش، قاله مؤرج(٢٤٦) السدوسي وقتادة.

---

(٢٤٤) يعني تسلية وتخفيف.

(٢٤٥) البيت في اللسان هطع ولم ينسبه وشطره الأولى فيه بدجلة أهلها ولد أراهم وأورده الشوكاني في فتح القدير (١١٥/٣) كما هنا وشطره الثاني «بدجلة مهطعين إلى السماء». وهو تحريف والصواب السماع كما في اللسان. وأورده في روح المعاني كما ذكره المؤلف هنا (١٣/ ٢٤٥).

(٢٤٦) هو مؤرج بن عمرو أبو غيد السدوسي صاحب العربية له كتاب في غريب القرآن رواه عنه أهل مرو وهو من أصحاب الخليل بن أحمد راجع ترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٨ - ٢٥٩).

الثاني: رافعي رؤوسهم، وإقناع الرأس رفْعُه، قاله ابن عباس ومجاهد، ومنه قول الشاعر:

أنغض رأسه نحوي وأقنعا   كأنما أبصَرَ شيئاً أطمعَا(٢٤٧)

﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أي، لا يرجع إليهم طرفهم، والطرف هو النظر وسميت العَيْن طرْفاً لأنها بها يكون، قال جميل:

وأَقْصِرُ طَرْفِي دُون جُمْل كرامةً   لجُمْلٍ وللطرْفِ الذي أنا قاصِر

﴿وأفئدتهم هواءٌ﴾ والمراد بالأفئدة مواضع القلوب، وهي الصدور.

وقوله: ﴿هواء﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنها تتردد في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه فكأنها تهوي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد.

الثاني: أنها قد زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر، فلا تنفصل ولا تعود، قاله قتادة.

الثالث: أنها المتخرمَة التي لا تعي شيئاً، قاله مُرّة.

الرابع: أنها خالية من الخير، وما كان خالياً فهو هواء، قاله ابن عباس ومنه قول حسان(٢٤٨):

ألا أبلِغ أبا سفيان عني   فأنتَ مُجوَّف نخب هواء

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ

---

(٢٤٧) الطبري (١٣/ ٢٣٨) والقرطبي (٩/ ٣٧٧) فتح القدير (٣/ ١١٥).

(٢٤٨) ديوانه: ٧ والطبري (١٣/ ٢٤١) والقرطبي (٩/ ٣٧٧) واللسان (هوا) (جوف) مجاز القرآن (١/ ٣٤٤).

مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وأنذر النّاس يَوْمَ يأتيهم العذاب﴾ معناه وأنذرهم باليوم الذي يأتيهم فيه العذاب، يعني يوم القيامة. وإنما خصه بيوم العذاب وإن كان يوم الثواب أيضاً لأن الكلام خرج مخرج التهديد للعاصي وإن تضمن ترغيباً للمطيع.

﴿فيقول الذين ظلَموا ربّنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرُّسل﴾ طلبوا رجوعاً إلى الدنيا حين ظهر لهم الحق في الآخرة ليستدركوا فارط ذنوبهم، وليست الآخرة دار توبةٍ فتقبل توبتهم، كما ليست بدار تكليف فيستأنف تكليفهم. فأجابهم الله تعالى عن هذا الطلب فقال:

﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوالٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما لكم من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة، قاله مجاهد.

الثاني: ما لكم من زوال عن العذاب، قاله الحسن.

قوله عزوجل: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى بالمكر الشرك، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه عنى به العتو والتجبّر، وهي فيمن تجبر في ملكه وصعد مع النسرين[٢٤٩] في الهواء، قاله علي رضي الله عنه. وقال ابن عباس: هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً وصعد منه مع النسور، فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذه حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه، فأتى الله بنيانه من القواعد، فتداعى الصرح عليهم، فهلكوا جميعاً، فهذا معنى قوله ﴿وقد مكروا مكرهم﴾.

(٢٤٩)وهو النمرود وهذه القصة التي ذكرت هنا من الإسرائيليات وكر عليها العلامة أبو بكر ينعى العرب بالبلاء ونقله الألوسي وارتضاه في روح المعاني (١٣/ ٢٥٢) وقال «وقد شاع ذلك في أخبار القصاص وخبرهما (أي خبر النسرين) واقع عن درجة القبول ولو طاروا إلى النسر الطائر ومثل ذلك فيما أرى خبر المتهمة».

﴿وعند الله مكرهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وعند الله مكرهم عالماً به لا يخفى عليه، قاله علي بن عيسى.

الثاني: وعند الله مكرهم محفوظاً عليهم حتى يجازيهم عليه، قاله الحسن وقتادة.

﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ فيه قراءتان.

إحداهما: بكسر اللام الأولى(٢٥٠) وفتح الثانية، ومعناها وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، احتقاراً له، قاله ابن عباس والحسن.

الثانية: بفتح اللام الأولى وضم الثانية(٢٥١)، ومعناها وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال استعظاماً له. قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم ﴿وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال﴾.

وفي ﴿الجبال﴾ التي عنى زوالها بمكرهم قولان:

أحدهما: جبال الأرض.

الثاني: الإسلام(٢٥٢) والقرآن، لأنه لثبوته، ورسوخه كالجبال.

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة، لم تعمل عليها خطيئة، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: تبدل الأرض من فضة بيضاء.

الثاني: أنها هي هذه الأرض، وإنما تبدل صورتها ويطهر دنسها، قاله الحسن.

﴿السمواتُ﴾ فيها ستة أقاويل:

(٢٥٠) وهي قراءة الأكثرية والمراد أن مكرهم أوهن وأضعف راجع زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٢٥١) وهي قراءة الكسائي أراد قد كادت الجبال تزول من مكرهم كذلك فسرها ابن الأنباري كما نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٧٤).

(٢٥٢) وتعقب الألوسي هذا القول (١٣/ ٢٥٢) والقول الأول هو الأرجح وهو قول الجمهور.

أحدها: أن السموات تبدل بغيرها كالأرض فتجعل السماء من ذهب، والأرض من فضة، قاله علي بن أبي طالب.

الثاني: أن السموات تبدل بغيرها كالأرض، فتصير السموات جناناً والبحار نيراناً وتبدل الأرض بغيرها، قاله كعب الأحبار.

الثالث: أن تبديل السموات تكوير شمسها وتكاثر نجومها، قاله ابن عيسى.

الرابع: أن تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتب، قاله القاسم بن يحيى.

الخامس: أن تبديلها أن تنشق فلا تظل، قاله ابن شجرة.

السادس: أن تبديلها اختلاف أحوالها، تكون في حال كالمهل[٢٥٣]، وفي حال كالوردة[٢٥٤]، وفي حال كالدهان، حكاه ابن الأنباري.

﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾ أي صاروا إلى حكم الله تعالى وأمره فروى الحسن[٢٥٥] قال: قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله يوم تبدَّل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذٍ؟ قال «**إن هذا الشيء ما سألني عنه أحد ثم قال على الصراط يا عائشة**».

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾

قوله عزوجل: **﴿وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين في الأصفاد﴾** فيه قولان:

أحدهما: أن الأصفاد الأغلال، واحدها صفد، ومنه قول حسان[٢٥٦]:

ما بين مأسورٍ يشد صِفادُهُ   صقرٍ إذا لاقى الكريهة حامي

---

(٢٥٣) كما في قوله تعالى **﴿يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن﴾**.

(٢٥٤) كما في قوله **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**

(٢٥٥) رواه الطبري (١٣/ ٢٥٣) واللفظ له وأحمد كما أشار ابن كثير في تفسيره(٢/ ٥٤٣) وله طريق أخرى عن عائشة رواه مسلم (٢٧٩١) والترمذي (٣١٢١) وابن ماجة (٤٢٧٩) والحاكم (٢/ ٣٥٢).

(٢٥٦) ديوان حسان: ٢١٥. فتح القدير (٣/ ١١٨).

الثاني: أنها القيود، ومنه قول عمرو بن كلثوم[٢٥٧]:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأُبنا بالملوكِ مُصَفّدينا

أي مقيّدين. وأما قول النابغة الذبياني[٢٥٨]:

هذا الثنـاء فإن تسمع لقائلـه فلم أعرض، أبيت اللعن، بالصفدِ

فأراد بالصفد العطية، وقيل لها صفد لأنها تقيد المودة.

وفي المجرمين المقرنين في الأصفاد قولان:

أحدهما: أنهم الكفار يجمعون في الأصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي.

الثاني: أنه يجمع بين الكافر والشيطان في الأصفاد.

قوله عزوجل: ﴿سرابيلهم مِن قطرانٍ﴾ السرابيل: القمص، واحدها سربال، ومنه قول الأعشى[*]:

عهدي بها في الحي قد سربلت صفـراء مثل المهرة الضـامر

وفي القطران ها هنا قولان:

أحدهما: أنه القطران الذي تهنأ[٢٥٩] به الجمال، قاله الحسن، وإنما جعلت سرابيلهم من قطران لإسراع النار إليها.

الثاني: أنه النحاس الحامي، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

وقرأ عكرمة وسعيد بن جبير ﴿من قطران﴾ بكسر القاف وتنوين[٢٦٠] الراء وهمزآن لأن القطر النحاس، ومنه قوله تعالى ﴿آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ [الكهف: ٩٦] والآني: الحامي، ومنه قوله تعالى ﴿وبين جحيم آن﴾ [الرحمن: ٤٤].

---

(٢٥٧) ديوان: ص ٤١٢، واللسان صفر، والطبري (١٣/ ٢٥٤).

(٢٥٨) ديوانه: ص ٢٧، مختار الشعر الجاهلي ص ١٥٥، الطبري (١٣/ ٢٥٤) وفيه. فما عرضت.

(٢٥٩) يقال هنأ الإبل يهنؤها ويهنئها هنأً وهِناءً: طلاها بالهناء وهو القطران.

(٢٦٠) وهي أيضاً قراءة ابن عباس وأبي رزين وأبي مجلز وقتادة وابن أبي عبلة وأبي حاتم عن يعقوب زاد المسير (٤/ ٣٧٧).

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ فيه قولان[٢٦١]:

أحدهما: هذا الإنذار كاف للناس، قاله ابن شجرة.

الثاني: هذا القرآن كافٍ للناس، قاله ابن زيد.

﴿ولينذروا به﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالرسول.

الثاني: بالقرآن.

﴿وليعملوا أنما هو إله واحدٌ﴾ لما فيه من الدلائل على توحيده.

﴿وليذكّرَ أولوا الألباب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وليتعظ، قاله الكلبي.

الثاني: ليسترجع يعني بما سمع من المواعظ. أولو الألباب، أي ذوو العقول. وروى يمان بن رئاب أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(٢٦١) واختاره الطبري (١٣/ ٢٥٨) والشوكاني (١١٩/٣).



مكية باتفاق إلا قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ فمدنية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

﴿الر تلك آياتُ الكتاب وقرآن مبينٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين.

الثاني: أن الكتاب هو التوراة والانجيل، ثم قرنها بالقرآن المبين. وفي المراد بالمبين ثلاثة أوجه:

أحدها: المبين إعجازه حتى لا يعارض.

الثاني: المبين الحق من الباطل حتى لا يشكلا.

الثالث: المبين الحلال من الحرام حتى لا يشتبها.

قوله عز وجل: ﴿رُبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ وفي زمان هذا التمني ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند المعاينة في الدنيا حين يتبين لهم الهدى من الضلالة، قاله الضحاك.

الثاني: في القيامة اذا رأوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين.

الثالث: إذا دخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

وقال الحسن: اذا رأى المشركون المؤمنين وقد دخلوا الجنة وصاروا هم إلى النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين.

وربما مستعملة في هذا الموضع للكثير، وإن كانت في الأصل موضوعة للتقليل، كما قال الشاعر:

ألا ربّما أهدت لك العينُ نظرة   قصاراك مِنْها أنها عنك لا تجدي

وقال بعضهم هي للتقليل أيضاً في هذا الموضع، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها.

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ يعني من أهل قرية.

﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أجل مقدر.

الثاني: فرض محتوم.

قوله عز وجل: ﴿ما تسبق من أمةٍ أجَلَها وما يَستأخرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يتقدم هلاكهم عن أجله ولا يتأخر عنه.

الثاني: لا يموتون قبل العذاب فيستريحوا، ولا يتأخر عنهم فيسلموا.

وقال الحسن فيه تأويلاً ثالثاً: ما سبق من أمة رسولها وكتابها فتعذب قبلهما ولا يستأخر الرسول والكتاب عنها.

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل: ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: إلا بالقرآن، قاله القاسم.

الثاني: إلا بالرسالة، قاله مجاهد.

الثالث: إلا بالقضاء عند الموت لقبض أرواحهم، قاله الكلبي.

الرابع: إلا بالعذاب إذا لم يؤمنوا، قاله الحسن.

﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أي مؤخَّرين.

قوله عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ قال الحسن والضحاك يعني القرآن.

﴿وإنا له لحافظون﴾ فيه قولان:

أحدهما: وإنا لمحمد حافظون ممن أراده بسوء من أعدائه، حكاه ابن (٢٦٢) جرير.

الثاني: وإنا للقرآن لحافظون.

وفي هذا الحفظ ثلاثة أوجه:

أحدها: حفظه حتى يجزى به يوم القيامة، قاله الحسن.

الثاني: حفظه من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً، أو يزيل منه حقاً، قاله قتادة.

الثالث: إنا له لحافظون في قلوب من أردنا به خيراً، وذاهبون به من قلوب من أردنا به شراً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الشيع الأمم، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أن الشيع جمع شيعة، والشيعة الفرقة المتآلفة المتفقة الكلمة، فكأن الشيع الفرق، ومنه قوله تعالى ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ [الأنعام: ٦٥] أي فرقاً، وأصله مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار، فهو عون النار.

(٢٦٢) جامع البيان (١٤/ ٨).

الثالث: أن الشيع القبائل(*)، قاله الكلبي.

قوله عز وجل: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: كذلك نسلك الاستهزاء في قلوب المجرمين، وإن لم يعرفوا، قاله قتادة.

الثاني: كذلك نسلك التكذيب في قلوب المجرمين، قاله ابن جريج.

الثالث: كذلك نسلك القرآن في قلوب المجرمين، وإن لم يؤمنوا، قاله الحسن.

الرابع: كذلك إذا كذب به المجرمون نسلك في قلوبهم أن لا يؤمنوا به.

قوله عز وجل: ﴿لا يؤمنون به﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالقرآن أنه من عند الله.

الثاني: بالعذاب أن يأتيهم.

﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ السنة: الطريقة، قال عمر بن أبي ربيعة:

لها من الريم عيناه و سُنّتُهُ ونحرُه السابق المختال إذ صَهَلا

فيه وجهان:

أحدهما: قد خلت سنة الأولين بالعذاب لمن أقام على تكذيب الرسل.

الثاني: بأن لا يؤمنوا برسلهم إذا عاندوا.

ويحتمل ثالثاً: بأن منهم مؤمناً وكافراً.

كما يحتمل رابعاً: من أقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ فيه وجهان:

(*) وفي نسخه للمخطوطة: القرى.

أحدهما: فظل هؤلاء المشركون يعرجون فيه، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: فظلت الملائكة فيه يعرجون وهم يرونهم، قاله ابن عباس والضحاك.

قوله عز وجل: ﴿لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ في ﴿سكرت﴾ قراءتان:

إحداهما بتشديد الكاف[٢٦٣]، والثانية بتخفيفها[٢٦٤]، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا ستة تأويلات:

أحدها: سُدّت، قاله الضحاك.

الثاني: عميت، قاله الكلبي.

الثالث: أخذت، قاله قتادة.

الرابع: خدعت، قاله جويبر.

الخامس: غشيت وغطيت، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه قول الشاعر[٢٦٥]:

وطلعت شمسٌ عليها مغفر ... وجَعَلَتْ عين الحرور تسكر

السادس: معناه حبست، قاله مجاهد. ومنه قول أوس بن حجر[٢٦٦]:

فصرن على ليلة ساهرة ... فليست بطلقٍ ولا ساكرة

والوجه الثاني: أن معنى سكرت بالتشديد والتخفيف مختلف، وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: أن معناه بالتخفيف سُحِرَتْ، وبالتشديد: أخذت.

الثاني: أنه بالتخفيف من سُكر الشراب، وبالتشديد مأخوذ من سكرت الماء.

﴿بل نحن مسحورون﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أي سحرنا فلا نبصر.

الثاني: مضللون، حكاه ثعلب.

---

(٢٦٣) وهي قراءة الأكثرين.

(٢٦٤) وهي قراءة ابن كثير وحده راجع المبسوط ص ٢٥٩.

(٢٦٥) أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٣). والشطر الثاني فيه وجعلت عين الجزور تسكر.

(٢٦٦) ديوانه: والبيت فيه.

خذلت على ليلة ساهرة ... بصحراء سرج أني ناظرة

تزداد ليالي في طولها ... فليست لطلق ولا ساكره

واللسان (سكر) والبيت أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٣) كما هنا.

الثالث: مفسدون.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)﴾

قوله عز وجل: **﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾** فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنها قصور في السماء فيها الحرس، قاله عطية.

الثاني: أنها منازل الشمس والقمر، قاله علي بن عيسى.

الثالث: أنها الكواكب العظام، قاله أبو صالح، يعني السبعة السيارة.

الرابع: أنها النجوم، قاله الحسن وقتادة.

الخامس: أنها البروج الاثنا عشر.

وأصل البروج الظهور، ومنه تبرجت المرأة إذا أظهرت نفسها.

﴿وزيناها للناظرين﴾ أي حسنّاها.

﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ يعني السماء. وفي الرجيم ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الملعون، قاله قتادة.

الثاني: المرجوم بقول أو فعل، ومنه قول الأعشى [٢٦٧]:

يظل رجيماً لريب المنون والسقم في أهله والحزن

الثالث: أنه الشتيم. زعم الكلبي أن السموات كلها لم تحفظ من الشياطين إلى زمن عيسى، فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات، إلى مبعث رسول الله ﷺ فحفظ جميعها بعد بعثه وحرسها منهم بالشهب.

قوله عز وجل: **﴿إلا من استرق السمع﴾** ومسترق السمع من الشياطين يسترقه من أخبار الأرض دون الوحي، لأن الله تعالى قد حفظ وحيه منهم.

ومن استراقهم له قولان:

(٢٦٧) ديوانه: ١٩٠.

أحدهما: أنهم يسترقونه من الملائكة في السماء.

الثاني: في الهواء عند نزول الملائكة من السماء.

وفي حصول السمع قبل أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أن الشهاب يأخذهم قبل وصولهم إلى السمع، فيصرفون عنه.

الثاني: أنه يأخذهم بعد وصول السمع إليهم.

وفي أخذهم بالشهاب قولان:

أحدهما: أنه يخرج ويحرق ولا يقتل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه يقتل، قاله الحسن وطائفة.

فعلى هذا القول في قتلهم بالشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان:

أحدهما: أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم، فعلى هذا لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء، قاله ابن عباس: ولذلك انقطعت الكهانة.

الثاني: أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن، ولذلك ما يعودون إلى استراقه، ولو لم يصل لانقطع الإستراق وانقطع الإحراق.

وفي الشهب التي يرجمون بها قولان:

أحدهما: أنها نور يمتد بشدة ضيائه فيحرقهم ولا يعود، كما إذا أحرقت النار لم تعد.

الثاني: أنها نجوم يرجمون بها وتعود إلى أماكنها، قال ذو الرمة(٢٦٨):

كأنه كوكب في إثر عفرية ... مُسَوَّمٌ في سوادِ الليل منقضبُ

قوله عز وجل: ﴿والأرض مددناها﴾ أي بسطناها. قال قتادة. بسطت من مكة لأنها أم القرى.

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ وهي الجبال.

﴿وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني مقدر معلوم(٢٦٩)، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير. وإنما قيل

---

(٢٦٨) ديوانه: ٣٦، مجاز القرآن (٢/ ٩٥)، الكامل للمبرد (٨٣٣) الأمالي للقالي (٣/ ٦٥)، اللسان قضب، القرطبي (٣/ ٢٠٣).

(٢٦٩) واختاره ابن جرير (١٤/ ١٧).

﴿موزون﴾لأن الوزن يعرف به مقدار الشيء. قاله الشاعر [٢٧٠]:

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرّةٍ عندي لكل مُخاصِم ميزانُه

الثاني: يعني به الأشياء التي توزن في أسواقها، قاله الحسن وابن زيد.

الثالث: معناه مقسوم، قاله قتادة.

الرابع: معناه معدود، قاله مجاهد.

ويحتمل خامساً: أنه ما يوزن فيه الأثمان لأنه أجل قدراً وأعم نفعاً مما لا ثمن له.

قوله عز وجل: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنها الملابس، قاله الحسن.

الثاني: أنها المطاعم والمشارب التي يعيشون فيها، ومنه قول جرير [٢٧١]:

تكلفني معيشة آل زيدٍ ومَن لي بالمرقق والصنابِ

الثالث: أنها التصرف في أسباب الرزق مده أيام الحياة، وهو الظاهر.

﴿ومن لستم له برازقين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الدواب والأنعام، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الوحوش، قاله منصور.

الثالث: العبيد والأولاد الذين قال الله فيهم ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾[الإسراء: ٣١] قاله ابن بحر.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

(٢٧٠) أورده في فتح القدير (٣/ ١٢٦)، اللسان (وزن) ولم ينسبه.

(٢٧١) ديوانه ( ) اللسان (رفق) فتح القدير (٣/ ١٢٦) والشطر الثاني في اللسان:
ومن لي بالصلائق والضباب.

قوله عز وجل: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعني وإن من شيء من أرزاق الخلق إلا عندنا خزائنه وفيه وجهان:

أحدهما: يعني مفاتيحه لأن في السماء مفاتيح الأرزاق، وهو معنى قول الكلبي.

الثاني: أنها الخزائن التي هي مجتمع الأرزاق. وفيها وجهان:

أحدهما: ما كتبه الله تعالى وقدره من أرزاق عباده.

الثاني: يعني المطر المنزل من السماء، لأنه نبات كل شيء، قال الحسن: المطر خزائن كل شيء.

﴿وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم﴾ قال ابن مسعود: ما كان عامٌ بأمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث يشاء، فيمطر قوماً ويحرم آخرين.

قوله عز وجل: ﴿وأرسلنا الرياحَ لواقِحَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لواقح السحاب حتى يمطر، قاله الحسن وقتادة، وكل الرياح لواقح غير أن الجنوب ألقح .وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[٢٧٢]: «ما هبت ريح جنوب إلا أنبع الله تعالى بها عيناً غدقة».

الثاني: لواقح للشجر حتى يثمر، قاله ابن عباس.

وقال أبو عبيدة: لواقح بمعنى ملاقح. وقال عبيد بن عمير: يرسل الله تعالى المبشرة[٢٧٣] فتقم الأرض قمّاً، ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر.

قوله عز عزوجل: ﴿فأنزلنا من السماء ماءً﴾ يعني من السحاب مطراً.

﴿فأسقيناكموه﴾ أي مكناكم منه، والفرق بين السقي والشرب أن السقي بذل

(٢٧٢) لم اعثر على تخريجه والأشبه أنه ضعيف لتصدير المؤلف له بصيغة التضعيف المشعرة بضعفه وقد روى نحوه وفي معناه أحاديث راجعها في الدر (٥/ ١٧٢) وابن كثير (٢/ ٥٤٩).

(٢٧٣) كما في قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن أرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾ الآية [الروم: ٤٦] وأعط المثيرة. فكما في قوله: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ (فاطر: ٩].

والمؤلف كما في قوله: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله﴾ الآية [النور: ٤٣]. واللواقح هي المذكورة هنا وقد تعقب ابن قتيبة كلام ابن عبيدة فراجعه في زاد المسير (٤/ ٣٩٣).

المشروب، والشرب: استعمال المشروب، فصار الساقي باذلاً، والشارب مستعملاً.

﴿وما أنتم له بخازنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بخازني الماء الذي أنزلناه.

الثاني: بمانعي الماء الذي أنزلناه.

قوله عز وجل: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد عَلِمنا المستأخرين﴾ فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: أن المستقدمين الذين خلقوا، والمستأخرين الذين لم يخلقوا، قاله عكرمة.

الثاني: المستقدمين الذين ماتوا، والمستأخرين الذين هم أحياء لم يموتوا، قاله الضحاك.

الثالث: المستقدمين أول الخلق، والمستأخرين آخر الخلق، قاله الشعبي.

الرابع: المستقدمين أول الخلق ممن تقدم على أمة محمد، والمستأخرين أمة محمد ﷺ، قاله مجاهد.

الخامس: المستقدمين في الخير، والمستأخرين في الشر، قاله قتادة.

السادس: المستقدمين في صفوف الحرب، والمستأخرين فيها، قاله سعيد بن المسيب.

السابع: المستقدمين من قتل في الجهاد، والمستأخرين من لم يقتل، قاله القرظي.

الثامن: المستقدمين في صفوف الصلاة(٢٧٤)، والمستأخرين فيها.

روى عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال(٢٧٥): كانت تصلي

(٢٧٤) وقال العلامة الألوسي (١٤/ ٣٣) «وأنت تعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن هنا قال بعضهم الحمل على العموم أن علمنا من اتصف بالتقدم والتأخر في الولادة والموت على الإسلام وصفوف الصلاة وغيرها.

(٢٧٥) رواه الطبري (١٤/ ٢٦) واللفظ له والترمذي (٣١/٢٢) والنسائي في التفسير كما في ابن كثير (٢/ ٥٤٩) وزاد السيوطي في الدر نسبته (٥/ ٧٣) لأحمد وابن ماجة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه والطيالسي وسعيد بن منصور.

قال الترمذي رحمه الله «وروي جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه =

خلف رسول الله ﷺ امرأةٌ من أحسن الناس، لا والله ما رأيت مثلها قط، فكان بعض الناس يستقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه في الصف، فأنزل الله تعالى في شأنها هذه الآية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حَمَإٍ مسنون﴾ أما الإنسان هاهنا فهو آدم عليه السلام في قول أبي هريرة والضحاك. أما الصلصال ففيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس وقتادة، ومنه قول الشاعر:

وقاعٍ ترى الصَّلصال فيه ودونه … بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

والصلصة: الصوت الشديد المسموع من غير الحيوان، وهو مثل القعقعة في الثوب.

الثاني: أنه طين خلط برمل، قاله عكرمة.

الثالث: أنه الطين المنتن، قاله مجاهد، مأخوذ من قولهم: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ إذا أنتن، قال الشاعر[٢٧٦]:

ذاك فتى يبذل ذا قدرِهِ … لا يفسد اللحم لديه الصلول

والحمأ: جمع حمأة وهو الطين الأسود المتغير.

وفي المسنون سبعة أقاويل:

= ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. وقال الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٤٩) «حديث غريب جداً فيه نكارة شديدة فالظاهر أنه من أخلاط أبي الجوزاء ليس فيه لابن عباس ذكر».

قلت والرواية التي أشار إليها الترمذي أخرجها عبد الرزاق كما نقلها ابن كثير (٢/ ٥٥٠).

(٢٧٦) هو الحطيئة والبيت في اللسان (صلل).

أحدها: أن المسنون المنتن المتغير، من قولهم قد أسن الماء إذا تغير، قاله ابن عباس، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

سَقَتْ صدايَ رضاباً غير ذي أَسَنٍ كالمسكِ فُتَّ على ماءِ العناقيد

الثاني: أن المسنون المنصوب القائم، من قولهم وجه مسنون، قاله الأخفش.

الثالث: أن المسنون المصبوب، من قولهم سنيتُ الماء على الوجه إذا صببته عليه، قاله أبو عمرو بن العلاء، ومنه الأثر المروي عن عمر أنه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنُّه، والشن تفريق الماء، والسن صبه.

الرابع: أن المسنون الذي يحك بعضه بعضاً، من قولهم سننت الحجر على الحجر إذا حككت أحدهما بالآخر، ومنه سمي المِسَنّ لأن الحديد يسن عليه، قاله الفراء.

الخامس: أن المسنون المنسوب.

السادس: أنه الرطب، قاله ابن أبي طلحة.

السابع: أنه المخلص من قولهم سن سيفك أي اجلهُ.

قوله عز وجل: ﴿والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم﴾ وفي الجان ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه إبليس، قاله الحسن.

الثاني: انهم الجن حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنه أبو الجن قاله الكلبي فآدم أبو الإنس، والجان: أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين.

قال ابن عباس: الجان أبو الجن وليسوا شياطين[٢٧٧]. والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس. والجن يموتون[٢٧٨]، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر.

﴿خلقناه من قبل﴾ يعني من قبل آدم. قال قتادة: لأن آدم إنما خلق آخر الخلق.

(٢٧٧) وذهب الحسن فيما صح عنه ورواه الطبري كما تقدم في سورة البقرة أن إبليس أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

(٢٧٨) والدليل على ذلك حديث قوله ﷺ في الحديث «أنت الحي القيوم الذي لا تموت والإنس والجن يموتون».

وقوله تعالى: ﴿من نار السّموم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني من لهب النار[٢٧٩]، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني من نار الشمس، قاله عمرو بن دينار.

الثالث: من حر السموم، والسموم: الريح الحارة. ذكره ابن عيسى.

الرابع: أنه نار السموم نار الصواعق بين السماء وبين حجاب دونها، قاله الكلبي وسمي سموماً لدخوله في مسام البدن.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

قوله عز وجل: ﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثونَ﴾ وهذا السؤال من إبليس لم يكن من ثقة منه بمنزلته عند الله تعالى وأنه أهل أن يجاب له دعاء، ولكن سأل تأخير عذابه زيادة في بلائه كفعل الآيس من السلامة. وأراد بسؤاله الإنظار إلى يوم يبعثون أن لا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده.

فقال الله تعالى: ﴿فإنك من المنظرين﴾ يعني من المؤجلين.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ فلم يجبه إلى البقاء.

وفي الوقت المعلوم وجهان:

أحدهما: معلوم عند الله تعالى، مجهول عند إبليس.

---

(٢٧٩) وروي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم».

الثاني: إلى يوم النفخة الأولى يموت إبليس. وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. فتكون مدة موت إبليس أربعين سنة، وهو قول ابن عباس وسمي يوم الوقت المعلوم لموت جميع الخلائق فيه.

وليس هذا من الله تعالى إجابة لسؤاله، لأن الإجابة تكرمة، ولكن زيادة في بلائه، ويعرف أنه لا يضر بفعله غير نفسه.

وفي كلام الله تعالى له قولان:

أحدهما: أنه كلمه على لسان رسول.

الثاني: أنه كلمه تغليظاً في الوعيد لا على وجه التكرمة والتقريب.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قال ربِّ بما أغوَيتني﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بما أضللتني(٢٨٠)، قاله ابن عباس.

الثاني: بما خيبتني من رحمتك.

الثالث: بما نسبتني إلى الإغواء.

ويحتمل هذا من إبليس وجهين:

أحدهما: أنه يقوله على وجه القسم وتقديره: وحق إغوائك لي.

الثاني: أنه يقوله على وجه الجزاء، وتقديره لأجل إغوائك لي.

﴿لأزينن لهم في الأرض﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لأزينن لهم فعل المعاصي.

الثاني: لأشغلنهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة.

(٢٨٠) وقد تمسك المعتزلة بقوله «لأغوينهم» على قولهم بوجوب رعاية الأصلح على الله ولا حجة لهم في ذلك راجع روح المعاني (١٤/ ٥٠).

﴿ولأغوينهم أجمعين﴾ أي لأضلنهم عن الهدى.

﴿إلّا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين أخلصوا العبادة من فساد أو رياء حكى أبو ثمامة أن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن المخلص لله، فقال: الذي يعمل لله ولا يحب أن يحمده الناس.

قوله عز وجل: ﴿قال هذا صراطٌ عليَّ مستقيم﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه هذا صراط يستقيم بصاحبه حتى يهجم به على الجنة، قاله عمر رضي الله عنه.

الثاني: هذا صراط إليَّ مستقيم، قاله الحسن فتكون عليَّ بمعنى إليَّ.

الثالث: أنه وعيد وتهديد، ومعناه أن طريقه إليَّ ومرجعه عليَّ، كقول القائل لمن يهدده ويوعده: عليَّ طريقك، قاله مجاهد.

الرابع: معناه هذا صراط[٢٨١] عليّ استقامته بالبيان والبرهان. وقيل بالتوفيق والهداية. وقرأ الحسن وابن سيرين: ﴿عليٌّ مستقيم﴾ برفع الياء وتنوينها، ومعناه رفيع مستقيم، أي رفيع أن ينال، مستقيم أن يمال.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ادخلوها بسلامٍ آمنين﴾ في قوله ﴿بسلام﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: بسلامة من النار، قاله القاسم بن يحيى.

الثاني: بسلامة تصحبكم من كل آفة، قاله علي بن عيسى.

الثالث: بتحية من الله لهم، وهو معنى قول الكلبي.

﴿آمنين﴾ فيه ثلاثة أوجه:

---

(٢٨١) قال العلامة الألوسي رحمه الله (٥٠/١٤) «وكلمه على» تستعمل للوجوب والمعتزلة يقولون به حقيقة لقولهم بوجوب الأصلح عليه تعالى وقال أهل السنة إن ذلك وإن كان تفضلاً منه سبحانه إلا أنه أشبه الحق بالواجب فتأكد ثبوته وتحقق وقوعه بمعنى وعده جل وعلا فجيء بعلى لذلك أو إلى ما تضمنه ا هـ.

أحدها: آمنين من الخروج منها.

الثاني: آمنين من الموت.

الثالث: آمنين من الخوف والمرض.

قوله عز وجل: ﴿ونزعنا ما في صدورهم مِنْ غِلٍّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نزعنا بالإسلام ما في صدورهم من غل الجاهلية، قاله علي بن الحسين.

الثاني: نزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا، قاله الحسن، وقد رواه أبو سعيد(٢٨٢) الخدري مرفوعاً.

﴿إخواناً عَلَى سُرُرٍ متقابلين﴾ في السرر وجهان:

أحدهما: أنه جمع أسرة(٢٨٣) هم عليها.

الثاني: أنه جمع سرورهم فيه.

وفي ﴿متقابلين﴾ خمسة أوجه:

أحدها: متقابلين بالوجوه يرى بعضهم بعضاً فلا يصرف طرفه عنه تواصلاً وتحابياً، قاله مجاهد.

الثاني: متقابلين بالمحبة والمودة، لا يتفاضلون فيها ولا يختلفون، قاله علي بن عيسى.

الثالث: متقابلين في المنزلة لا يفضل بعضهم فيها على بعض لاتفاقهم على الطاعة واستوائهم في الجزاء، قاله أبو بكر بن زياد.

الرابع: متقابلين في الزيارة والتواصل، قاله قتادة.

الخامس: متقابلين قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهم بالود، حكاه القاسم.

---

(٢٨٢) رواه البخاري (٥/ ٧٠).

ولفظه «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هـذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة قال فوالذي نفسي محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله الذي كان في الدنيا» ا هـ.

(٢٨٣) ويدل على هذا القول قوله في سورة الواقعة ﴿على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين﴾ ولا مانع من دخول التفسير الثاني في الأول بأن يقال هم في حالة سرور وسعادة وهم على الأسرة متكئون.

قيل إن هذه الآية نزلت في العشرة من قريش. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير منهم.

قوله عز وجل: ﴿**نَبِّىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم**﴾ سبب نزولها ما روي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون، فقال[٢٨٤]: «**تضحكون وبين أيديكم الجنة والنار**» فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿**نَبِّىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم**﴾.

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿**قالوا لا توجل**﴾ أي لا تخف، ومنه قول معن بن أوس[٢٨٥]:

لعمرك ما أدري وأني لأوجل   على أينا تعدو المنيةُ أوّلُ

﴿**إنّا نبشِّرك بغلامٍ عليم**﴾ أي بولد هو غلام في صغره، عليم في كبره، وهو إسحاق.

لقوله تعالى ﴿**فضحكت فبشرناها بإسحاق**﴾.

وفي ﴿**عليم**﴾ تأويلان:

أحدهما: حليم، قاله مقاتل.

الثاني: عالم، قاله الجمهور.

فأجابهم عن هذه البشرى مستفهماً لها متعجباً منها ﴿**قال أبَشّرتموني على أن مسنيَ الكبر**﴾ أي علو السن عند الإياس من الولد.

﴿**فبم تبشرونَ**﴾ فيه وجهان:

---

(٢٨٤) رواه البزار والطبراني وابن مردويه كما في الدر (٤/ ٨٦). من حديث عبدالله بن الزبير.

(٢٨٥) اللسان «وجل» والشطر الثاني فيه: على أينا تغدو والمنية أوّل.

أحدهما: أنه قال ذلك استفهاماً لهم، هل بشروه بأمر الله؟ ليكون أسكن لنفسه.

الثاني: أنه قال ذلك تعجباً من قولهم، قاله مجاهد.

﴿قالوا بشرناك بالحقّ﴾ أي بالصدق، إشارة منهم إلى أنه عن الله تعالى.

﴿فلا تكن مِنَ القانطين﴾ أي من الآيسين من الولد.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

قوله عز وجل: ﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين إلّا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين﴾ آل لوط اتباعه ومؤمنو قومه، سمّاهم آلَهُ لنصرتهم له، وإيمانهم به، فاستثناهم من المجرمين المأمور بهلاكهم، فخرجوا بالاستثناء منهم.

ثم قال تعالى ﴿إلّا امْرأته﴾ فكانت مستثناة من آل لوط ولاحقة بالمجرمين، لأن كل استثناء يعود إلى ما تقدمه فيخالفه في حكمه. فإن عاد إلى إثبات كان الاستثناء نفياً، وإن عاد إلى نفي كان الاستثناء إثباتاً، فصارت امرأة لوط ملحقة بالمجرمين المهلكين.

ومثال هذا في الإقرار أن يقول له: عليّ عشرة إلا سبعة إلا أربعة، فيكون عليه سبعة لأن الأربعة استثناء يرجع إلى السبعة التي قبلها، فصار الباقي منها ثلاثة. وتصير الثلاثة الباقية هي الاستثناء الراجع إلى العشرة، فيبقى منها سبعة.

وهكذا في الطلاق لو قال لزوجته: أنت طالق ثلاثاً أو اثنتين إلا واحدة طلقت ثنتين لأن الواحدة ترجع إلى الثنتين، فتبقى منها واحدة فتصير الواحدة هي القدر المستثنى من الثلاثة فيصير الباقي منها ثنتين وهكذا حكم قوله: ﴿إلا امرأته﴾.

﴿قدرنا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه قضينا، قاله النخعي.

الثاني: معناه كتبنا، قاله علي بن عيسى.

﴿إنها لَمِنَ الغابرين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أي من الباقين في العذاب مع المجرمين.

الثاني: من الماضين بالعذاب.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿فأسرِ بأهلك بقطع مِن الليل﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بآخر الليل، قاله الكلبي.

الثاني: ببعض الليل، قاله مقاتل.

الثالث: بظلمة الليل، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر[٢٨٦]:

ونائحةٍ تنوحُ بقطع ليلٍ ... على رَجُلٍ بقارعةِ الصعيد

قوله عز وجل: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي أوحينا إليه ذلك الأمر.

﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: آخرهم.

الثاني: أصلهم.

﴿مقطوع مصبحين﴾ أي يستأصلون بالعذاب عند الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

---

(٢٨٦) تقدم تخريج هذا البيت وهو لمالك بن كنانة كما في سورة هود.

قوله عز وجل: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ لعمرك: قسم فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه وعيشك، وهذا مروي عن ابن عباس.

الثاني: معناه وعملك، قاله قتادة.

الثالث: معناه وحياتك(٢٨٧)، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً وقال: ما أقسم الله تعالى بحياة غيره.

الرابع: وحقك، يعني الواجب على أمتك، والعمر الحق، ومنه قولهم: لعمر الله، أي وحق الله. وفي ﴿سكرتهم﴾ وجهان:

أحدهما: في ضلالتهم، قاله قتادة.

الثاني: في غفلتهم، قاله الأعمش.

وفي ﴿يعمهون﴾ أربعة أوجه:

أحدها: معناه يترددون، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وأبو مالك.

الثاني: يتمارون، قاله السدي.

الثالث: يلعبون، قاله الأعمش.

الرابع: يمعنون، قاله الكلبي.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

---

(٢٨٧) قال القاضي عياض «اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلّ جلاله عبرة حياة محمد ﷺ وكذا حكى إجماع المفسرين على هذا المعنى أبو بكر بن العربي فقال: «قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له. . .» إلى أن قال ما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتى ضعفه من شرف لمحمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه أو لا تسراه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة وموسى التكلم وأعطى ذلك لمحمد ﷺ فإذا أقسم الله سبحانه بحياة لوط فحياة محمد أرفع ا هـ.
وقد كره كثير من العلماء القسم بغير الله سبحانه وجاءت بذلك الأحاديث الصحيحة في النهي عن القسم بغير الله فليس لعباده أن يقسموا بغيره وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ راجع فتح القدير (٣/ ١٣٨).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: للمتفرسين، قاله مجاهد. وروي عن النبي ﷺ أنه قال [٢٨٨]: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه» ثم تلا هذه الآية..

الثاني: للمعتبرين، قاله قتادة.

الثالث: للمتفكرين، قاله ابن زيد.

الرابع: للناظرين، قاله الضحاك. قال زهير بن أبي سلمى [٢٨٩]:

وفيهن ملهى للصديق ومنظر أنيقٌ لعَيْنِ الناظر المتوسم

الخامس: للمبصرين، قاله أبو عبيدة. قال الحسن: هم الذين يتوسمون الأمور

---

(٢٨٨) ورد الحديث من عدة طرق وهاك بيانها:

فرواه البخاري في التاريخ الكبير (٤/ ١/ ٣٥٤) والترمذي (٥/٣٣). وابن جرير (١٤/ ٤٦) وأبو الشيخ (١٢٧) وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين ص ١٤ والخطيب (٣/ ١٩١) (٧/ ٢٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٦) فما أصاب. وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٩٠) نسبة حديث ابن سعيد لإبن أبي حاتم وابن السني في الطب وابن مردويه. وضعّف الحديث الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٨٧).

وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة رواه الطبراني في الكبير (٧٤٩٧) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨) والخطيب في التاريخ (٥/ ٦٩) والبيهقي في الزهد ص ٧٨ والشهاب القضاعي في مسنده (٤٣٣) وفي سنده راشد بن سعد وهو ثقة كثير الإرسال ومعاوية بن صالح وهو صدوق له أوهام وعبدالله بن صالح وكان كثير الغلط وفيه غفلة وقد حسّن هذا الطريق الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٦٨) وفيه من ذكرت. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٨٧) وزاد السيوطي في الجامع مع نسبه للحكيم الترمذي وسمويه وابن عدي.

وله طريق ثالث عن ابن عمر رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) وفي سنده فرات ابن السائب كذّبه أبو حاتم وقال البخاري والدارقطني متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وله طريقة رابعة من حديث ثوبان رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦ ـ ٤٧) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٨١) بلفظ أحذروا دعوة المؤمن وفراسته فإنه ينظر بنور الله عز وجل وتوفيق الله عز وجل وفي سنده سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك ومؤمل بن سعيد منكر الحديث. وله طريق ثانٍ عن ثوبان رواه أبو الشيخ (١٢٦) وفي سنده سليمان بن أرقم وهو أبو معاذ وهو متروك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٧). وله طريق خاصة عن أنس مرفوعاً بلفظ «إن لله عباد يعرفون الناس بالتوسم» رواه ابن جرير (١٤/ ٤٦) وزاد في الدر (٥/ ٩١) ونسبته للحكيم الترمذي والبزار وابن السني وأبي نعيم.

(٢٨٩) من معلقة زهير المشهورة. أنظر شرح المعلقات السبع ص ٢٥٢ والشطر الأول فيها: وفيهن ملهى للطيف ومنظر.

فيعلمون أن الذي أهلك قوم لوط قادر على أن يهلك الكفار، ومنه قول عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ:

إني تـوسمت فيك الخيـر أعـرِفُـه والـله يعـلم أني ثابـت البـصـر[٢٩٠]

قوله عز وجل: **﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾** فيه تأويلان:

أحدهما: لهلاك دائم، قاله ابن عباس.

الثاني: لبطريق معلم، قاله مجاهد. يعني بقوله **﴿وإنما﴾** أهل مدائن قوم لوط وأصحاب الأيكة قوم شعيب.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾

قوله عز وجل: **﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾** يعني في تكذيب رسول الله إليهم وهو شعيب، لأنه بعثَ إلى أمتين، أصحاب الأيكة وأهل مدين. فأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي احترقوا بنارها، قاله قتادة.

وفي **﴿الأيكة﴾** ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الغيضة، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الشجر الملتف، وكان أكثـر شجرهم الدوم وهو المقل، وهذا قول ابن جرير[٢٩١]، ومنه قول النابغة الذبياني[٢٩٢]:

تـجلو بِقـادِمَتَـي حـمـامـةِ أيـكـة بَـرَداً أُسِـفَّ لـثـاتُـهُ بـالإثـمـدِ.

الثالث: أن الأيكة اسم البلد، وليكة اسم المدينة بمنزلة بكة من مكة، حكاه ابن شجرة.

قوله عز وجل: **﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمامٍ مبينٍ﴾** فيه تأويلان:

أحدهما: لبطريق واضح، قاله قتادة. وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى مقصده.

---

(٢٩٠) أورده في روح المعاني (١٤/ ٧٤).

(٢٩١) جامع البيان (١٤/ ٤٨) حكاه عن قتادة.

(٢٩٢) ديوانه: ٩٤.

الثاني: لفي كتاب مستبين، قاله السدي. وإنما سمي الكتاب إماماً لتقدمه على سائر الكتب، وقال مؤرج: هو الكتاب بلغة حِمْيَر.

ويعني بقوله ﴿وإنهما﴾ أصحاب الأيكة وقوم لوط.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

قوله عز وجل: **﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾** وهم ثمود قوم صالح. وفي **﴿الحجر﴾** ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه الوادي، قاله قتادة.

الثاني: أنها مدينة ثمود، قاله ابن شهاب.

الثالث: ما حكاه ابن جرير أن الحجر أرض بين الحجاز والشام.

وروى جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ مرّ في غزاة تبوك بالحجر، فقال[٢٩٣]: **«هؤلاء قوم صالح أهلكهم الله إلاّ رجلاً كان في حَرَم الله، منعه حرمُ الله من عذاب الله»**. قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: **«أبو رغال»**.

قوله عز وجل: **﴿وكانوا ينحتون مِنَ الجبال بيوتاً آمنين﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: آمنين أن تسقط عليهم.

الثاني: آمنين من الخراب.

الثالث: آمنين من العذاب.

الرابع: آمنين من الموت.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

---

(٢٩٣) رواه الطبري (١٤/ ٥٠)

قوله عز وجل: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه الإعراض من غير جزع.

الثاني: أنه صفح المنكر عليهم بكفرهم، المقيم على وعظهم، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه العفو عنهم بغير توبيخ ولا تعنيف.

الرابع: أنه الرضا بغير عتاب، قاله علي بن أبي طالب.

وفيه قولان:

أحدهما: أنه أمر بالصفح عنهم في حق الله تعالى، ثم نسخ بالسيف، فقال لهم النبي ﷺ بعد ذلك[٢٩٤] «**لقد أتيتكم بالذبح، وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة**» قاله عكرمة ومجاهد.

الثاني: أنه أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم، قاله الحسن.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**ولقد آتيناك سبعاً مِن المثاني والقرآن العظيم**﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أن السبع المثاني هي الفاتحة، سميت بذلك لأنها تثنى كلما قرىء القرآن وصُلّي، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية والحسن. وقيل: لأنها يثني فيها الرحمن الرحيم، ومنه قول الشاعر[٢٩٥]:

نشدتكم بمنزل القرآن   أمّ الكتاب السّبع من مثاني
ثُنِّين مِن آيٍ مِن القرآن   والسبع سبع الطول الدواني

الثاني: أنها السبع الطوَل: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

---

(٢٩٤) رواه ابن جرير (٥١/١٤) بسنده عن سفيان بن عيينة ولفظه أنا نبي الرحمة ونبي الملحمة وبعثت بالحصاد ولم أبعث بالزراعة.

وهو معضل كما ترى.

(٢٩٥) تقدم تخريجه في سورة الفاتحة.

قال ابن عباس: سميت المثاني لما تردد فيها من الأخبار والأمثال والعبر وقيل: لأنها قد تجاوزت المائة الأولى إلى المائة الثانية. قال جرير[٢٩٦]:

جزى الله الفرزدق حين يمسي مضيعاً للمفصل والمثاني

الثالث: أن المثاني القرآن كله، قاله الضحاك، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدى به يخص بتنزيل المثاني المعظم

الرابع: أن المثاني معاني القرآن السبعة أمر ونهي وتبشير وإنذار وضرب أمثال وتعديد نعم وأنباء قرون، قاله زياد بن أبي مريم.

الخامس: أنها سبع كرامات أكرمه الله بها، أولها الهدى ثم النبوة، ثم الرحمةِ ثم الشفقة ثم المودة ثم الألفة ثم السكينة وضم إليها القرآن العظيم، قاله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما.

قوله عز وجل: **﴿لا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾** يعني ما متعناهم به من الأموال.

وفي قوله: **﴿أزواجاً منهم﴾** ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم الأشباه، قاله مجاهد.

الثاني: أنهم الأصناف قاله أبو بكر بن زياد.

الثالث: أنهم الأغنياء، قاله ابن أبي نجيح.

﴿ولا تحزن عليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحزن عليهم بما أنعمت عليهم في دنياهم.

الثاني: لا تحزن بما يصيرون إليه من كفرهم.

﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: اخضع لهم، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: معناه أَلِنْ جانبك لهم، قال الشاعر[٢٩٧]:

وحسبك فتيةٌ لزعيم قومٍ يمدّ على أخي سُقْم جَناحا

---

(٢٩٦) ديوانه ( ) والنقائض.

(٢٩٧) أورده في فتح القدير (٣/ ١٤٢).

وروى أبو رافع[٢٩٨] أن النبي ﷺ نزل به ضيف فلم يلق عنده أمراً يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود يستسلف منه دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا إلّا برهن، فقال النبي ﷺ «**أما والله إني لأمينٌ في السماء وأمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديّتُ إليه**» فنزلت عليه ﴿**لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم**﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**كما أنزلنا على المقتسمين**﴾ فيهم سبعة أقاويل:

أحدها: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اقتسموا القرآن فجعلوه أعضاءً أي أجزاءً فآمنوا ببعض منها وكفروا ببعض، قاله ابن عباس.

الثاني: أنهم أهل الكتاب اقتسموا القرآن استهزاءً به، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وهذه السورة لك، فسموا مقتسمين، قاله عكرمة.

الثالث: أنهم أهل الكتاب اقتسموا كتبهم، فآمن بعضهم ببعضها، وآمن آخرون منهم بما كفر به غيرهم وكفروا بما آمن به غيرهم، فسماهم الله تعالى مقتسمين، قاله مجاهد.

الرابع: أنهم قوم صالح تقاسموا على قتله، فسموا مقتسمين، كما قال تعالى ﴿**قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله**﴾ [النمل: ٤٩] قاله ابن زيد.

الخامس: أنهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ليتلقوا الواردين إليها من القبائل فينفروهم عن رسول الله ﷺ بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون، حتى لايؤمنوا به، فأنزل الله تعالى عليهم عذاباً فأهلكهم، قاله الفراء.

السادس: أنهم قوم من كفار قريش قسموا كتاب الله، فجعلوا بعضه شعراً وبعضه كهانة وبعضه أساطير الأولين، قاله قتادة.

---

(٢٩٨) ونسبه الإمام السيوطي في الدر لابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي وأبي نعيم عن أبي رافع وذكره الحافظ ابن كثير (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) رواه ابن أبي حاتم.

السابع: أنهم قوم أقسموا أيماناً تحالفوا عليها، قاله الأخفش.

وقيل إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف ومنبه [٢٩٩] بن الحجاج.

قوله عز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني فرقاً، فجعلوا بعضه شعراً، وبعضه سحراً، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين، فجعلوه أعضاء كما يعضّى الجزور و ﴿عضين﴾ جمع عضو، مأخوذ من عضَّيت الشيء تعضية اذا فرقته كما قال رؤبة بن العجاج: [٣٠٠]

وليس دينُ الله بالمعضى

يعني بالمفرَّق، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: أن العضين جمع عضه وهو البهت، ومن قولهم: عضهتُ الرجل أعضهه عضهاً إذا بهتّه، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به، قاله قتادة. ومنه قول الشاعر:

إن العضيهة ليستْ فعل أحرار

الثالث: أن العضين المستهزئون، لأنه لما ذكر في القرآن البعوض والذباب والنمل والعنكبوت قال أحدهم: أنا صاحب البعوض، وقال آخر: أنا صاحب الذباب وقال آخر: أنا صاحب النمل. وقال آخر: أنا صاحب العنكبوت، استهزاء منهم بالقرآن، قاله الشعبي والسدي.

الرابع: أنه عنى بالعضه السحر، لأنهم جعلوا القرآن سحراً، قاله مجاهد، قال الشاعر [٣٠١]:

لك من عضائهن زمزمة

يعني من سحرهن. وقال عكرمة: العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة العاضهة، ومنه ما روي عن النبي ﷺ أنه [٣٠٢] لعن العاضهة والمستعضهه، يعني الساحرة والمستسحرة.

---

(٢٩٩) كذا في المطبوعة، وهو خطأ والصواب زمعة بن الحجاج والتصويب من زاد المسير (٤/ ٤١٨).

(٣٠٠) ديوانه: ٨١، مجاز القرآن (١/ ٣٥٥) الطبري (١٤/ ٦٨) اللسان (عضا).

(٣٠١) الطبري (١٤/ ٦٥) ولم ينسبه ومعاني القرآن (١٦٩).

(٣٠٢) قال الحافظ في تخريج الكشاف ص   رواه أبو يعلى وابن عدي ومن حديث ابن عباس وفي =

وفي اشتقاق العضين وجهان:

أحدهما: أنه مشتق من الأعضاء، وهو قول عبيدة.

الثاني: أنه مشتق من العضه وهو السحر، وهو قول الفراء.

قوله عز وجل: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني عما كانوا يعبدون، قاله أبو العالية.

الثاني: عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين، رواه الربيع بن أنس[٣٠٣].

فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

قوله عز وجل: ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: فامضِ بما تؤمر، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه فاظهر بما تُؤمر، قاله الكلبي. قال الشاعر:

وَمَن صادعُ بالحق يعدك ناطقٌ ... بتقوى وَمَن إن قيل بالجوْر عيّرا

الثالث: يعني إجهر بالقرآن في الصلاة، قاله مجاهد.[٣٠٤]

الرابع: يعني أعلن بما يوحى إليك حتى تبلغهم، قاله ابن زيد.

الخامس: معناه افرق بين الحق والباطل، قاله ابن عيسى.

السادس: معناه فرق القول فيهم مجتمعين وفرادى، حكاه النقاش.

وقال رؤبة: ما في القرآن أعْرَبُ من قوله ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

= إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن بهرام وهما ضعيفان وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن عطاء اهـ.

(٣٠٣) لم يذكر القول الثالث هنا فتنبه.

(٣٠٤) ولا داعي هنا للتخصيص حيث لم يدل عليه دليل كما قال الألوسي (١٤/ ٨٥).

أحدها: أنه منسوخ بقوله تعالى ﴿فاقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥] قاله ابن عباس.

الثاني: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم.

الثالث: معناه بالاستهانة بهم، قاله ابن بحر.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: اصدع الحق بما تؤمر من اظهاره.

الثاني: اصدع الباطل بما تؤمر من إبطاله.

قوله تعالى: ﴿إنّا كفيناكَ المستهزئينَ﴾ وهم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة. أهلكهم الله جميعاً قبل بدر لاستهزائهم برسول الله ﷺ.

وسبب هلاكهم ما حكاه مقسم وقتادة أن الوليد بن المغيرة ارتدى فعلق سهم بردائه، فذهب فجلس فقطع أكحله فنزف فمات. وأما العاص بن وائل فوطىء على شوكة، فتساقط لحمه عن عظامه، فمات، وأما أبو زمعة فعمى. وأما الأسود بن عبد يغوث فإنه أتي بغصن شوك فأصاب عينيه، فسالت حدقتاه على وجهه، فكان يقول: [دعا] عليّ محمد فاستجيب له، ودعوت عليه فاستجيب لي، دعا عليّ أن أعمى فعميت، ودعوت عليه أن يكون طريداً بيثرب، فكان كذلك، وأما الحارث بن الطلاطلة(*) فإنه استسقى بطنه، وكان رسول الله ﷺ قال لجبريل [حين] نزل عليه بقوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ «دع لي خالي» يعني الأسود بن الطلاطلة فقال له: كفيت(٣٠٥).

قوله عز وجل: ﴿ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك﴾ أي قلبك لأن الصدر محل القلب.

﴿بما يقولون﴾ يعني من الاستهزاء، وقيل من الكذب بالحق.

﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ فيه وجهان:

(*) وقع في الأصول: ابن عيطلة والتصويب من السيرة لابن هشام ٢/ ٥١، ٥٢.

(٣٠٥) والقصة بطولها في الطبري (١٤/ ٧٠).

أحدهما: الخاضعين.

الثاني: المصلين.

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، قاله شجرة.

الثاني: الموت الذي لا محيد عنه[٣٠٦]، قاله الحسن ومجاهد وقتادة.

(٣٠٦) وهذا القول هو الصواب ولا محيد عنه.



مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر: وقال ابن عباس: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي قوله ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ نزلت بعد قتل حمزة بأحد[٣٠٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿أتى أمرُ الله فلا تستعجلوهُ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه بمعنى سيأتي أمر الله تعالى.

الثاني: معناه دنا أمر الله تعالى.

الثالث: أنه مستعمل على حقيقة إتيانه في ثبوته واستقراره.

وفي ﴿أمر﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنه إنذار رسول الله ﷺ، قاله أبو مسلم.

---

(٣٠٧) قال محقق المطبوعة في الهامش (٢/ ٣٨٢) هكذا ورد في الأصول الخطية ويبدو أن سهواً قد وقع من النساخ فإن جمهور أهل التفسير على الآيات الثلاثة المدنية هي قوله تعالى ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى آخر السورة وقد نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم أحد وقد وقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتب السيرة أنظر سيرة ابن هشام (٣/ ١٠٢) وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٠١) وغيرها رحم الله أبا الحسن الماوردي فهو أعلم وأكيس من أن يقول ما أراده نساخ تفسيره في هذا الموضع ولئن كان هو قائل ذلك فإن لكل مجتهد نصيباً ولكل جواد كبوة.

الثاني : أنه فرائضه وأحكامه[٣٠٨] ، قاله الضحاك .

الثالث : أنه وعيد أهل الشرك ونصرة الرسول ﷺ قاله ابن جريج .

الرابع : أنه القيامة ، وهو قول الكلبي .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لما نزلت : ﴿**أتى أمر الله**﴾ رفعوا رؤوسهم فنزل ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ أي فلا تستعجلوا وقوعه .

وحكى مقاتل بن سليمان أنه لما قرأ جبريل على رسول الله ﷺ ﴿**أتى أمر الله**﴾ نـهض رسول الله خوفاً من حضورها حتى قرأ ﴿**فلا تستعجلوه**﴾ .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : فلا تستعجلوا التكذيب فإنه لن يتأخر .

الثاني : فلا تستعجلوا أن يتقدم قبل وقته ، فإنه لن يتقدم .

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾

قوله عز وجل : ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادِهِ**﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أن الروح هاهنا الوحي ، وهو النبوة ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه كلام الله تعالى وهو القرآن ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث : أنه بيان الحق الذي يجب اتباعه ، قاله ابن عيسى .

الرابع : أنها أرواح الخلق . قال مجاهد لا ينزل ملك إلا ومعه روح .

الخامس : أن الروح الرحمة ، قاله الحسن وقتادة .

ويحتمل تأويلاً سادساً : أن يكون الروح الهداية ، لأنها تحيا بها القلوب كما تحيي الروح الأبدان .

---

(٣٠٨) وقد تعقب العلامة ابن جرير هذا القول في تفسيره (١٤/ ٧٦) وهاك لفظه قال ولم يبلغنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل الفرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها وأما مستعجلو العذاب من المشركين فقد كانوا كثيراً .

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: **﴿خَلَقَ الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين﴾**.

الخصيم المحتج في الخصومة، والمبين هو المفصح عما في ضميره.

وفي صفته بذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: تعريف قدرة الله تعالى في إخراجه من النطفة المهينة إلى أن صار بهذه الحال في البيان والمكنة.

الثاني: ليعرفه نعم الله تعالى عليه في إخراجه إلى هذه الحال بعدما خلقه من نطفه مهينة.

الثالث: يعرفه فاحش ما ارتكب من تضييع النعمة بالخصومة في الكفر، قاله الحسن. وذكر الكلبي أن هذه الآية نزلت في أُبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاماً نخرة فذراها وقال: أنُعادُ إذا صرنا هكذا؟

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

قوله عز وجل: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه اللباس، قاله ابن عباس.

الثاني: ما استدفىء به من أصوافها وأوبارها وأشعارها، قاله الحسن.

الثالث: أن الدفء صغار أولادها التي لا تركب، حكاه الكلبي.

﴿ ومنافِعُ ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: النسل، قاله ابن عباس.

الثاني: يعني الركوب والعمل.

﴿ومنها تأكلون﴾ يعني اللبن واللحم.

قوله عز وجل: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الرواح من المراعي إلى الأفنية، والسراح انتشارها من الأفنية إلى المراعي.

الثاني: أنه على عموم الأحوال في خروجها وعودها من مرعى أو عمل أو ركوب وفي الجمال بها وجهان:

أحدهما: قول الناس إذا رأوها: هذه نَعَمُ فلان، قاله السدي.

الثاني: توجه الأنظار إليها، وهو محتمل.

وقد قدم الرواح على السراح وإن كان بعده لتكامل درها ولأن النفس به أَسَرُّ.

﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس﴾ في البلد قولان:

أحدهما: أنه مكة لأنها من بلاد الفلوات.

الثاني: أنه محمول على العموم[٣٠٩] في كل بلد مسلكه على الظهر.

﴿إلا بشق الأنفس﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس.

الثاني: أنكم مع ركوبها لا تبلغونه إلا بشق الأنفس، فكيف بكم لو لم تكن.

وفي شق الأنفس وجهان:

أحدهما: جهد النفس، مأخوذ من المشقة.

الثاني: أن الشق النصف فكأنه يذهب بنصف النفس[٣١٠].

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ ٨﴾

قوله تعالى: ﴿. . . ويخلق ما لا تعلمون﴾[٣١١] فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما لا تعلمون من الخلق، وهو قول الجمهور.

الثاني: في عين تحت العرش، قاله ابن عباس.

---

(٣٠٩) وهذا القول هو الأرجح والصواب فإن القول الأول لا دليل على تخصيصه.

(٣١٠) يعني من شدة الجهد المبذول.

(٣١١) وفي تفسير هذا الحرف من القرآن إعجاز كبير راجع زاد المسير (٤/ ٤٣٢).

الثالث: ما روي عن النبي ﷺ أنها[٣١٢] أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوماً. مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله يعصى في الأرض، قالوا: يا رسول الله فأين إبليس عنهم؟ قال «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم تلا ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾.

وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وعلى الله قصد الحق في الحكم بين عباده ومنهم جائر عن الحق في حكمه.

الثاني: وعلى الله أن يهدي إلى قصد الحق في بيان السبيل، ومنهم جائر عن سبيل الحق، أي عادل عنه لا يهتدي إليه.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل الأهواء المختلفة، قاله ابن عباس.

الثاني: ملل الكفر.

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

(٣١٢) وقد أشار العلامة الألوسي إلى إبطال هذا الأثر في روح المعاني (١٤/ ١٠٣) وقد صدره المؤلف بصيغة التمريض المشعرة بضعفه.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله عز وجل: ﴿ وَتَرَى الفلك مواخِرَ فيه﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن المواخر المواقر، قاله الحسن.

الثاني: أنها التي تجري فيه معترضة، قاله أبو صالح.

الثالث: أنها تمخر الريح من السفن، قاله مجاهد: لأن المخر في كلامهم هبوب الريح.

الرابع: أنها تجري بريح واحدة مقبلة ومدبرة، قاله قتادة.

الخامس: أنها التي تشق الماء من عن يمين وشمال، لأن المخر في كلامهم شق الماء وتحريكه قاله ابن عيسى.

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بالتجارة فيه.

الثاني: بما تستخرجون من حليته، وتأكلونه من لحومه.

قوله عز وجل: ﴿وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون﴾ في العلامات ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها معالم الطريق بالنهار، وبالنجوم يهتدون بالليل، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدى بها، قاله مجاهد وقتادة والنخعي.

الثالث: أن العلامات الجبال[٣١٣].

وفي ﴿النجم﴾ قولان:

(٣١٣) ومن الغرائب ما ذكره العلامة الألوسي في تفسير هذه الآية (١٤/ ١١٦) قال في قوله ﴿وعلامات﴾ قال معالم يستدل بها السابلة من نحو جبل ومنهل ورائحة تراب فقد حكي أن من الناس من يشم التراب فيعرف بشمه الطريق وأنها مسلوكة أو غير مسلوكة ولذا سميت المسافة مسافة أخذاً لها من السوف بمعنى الشم.

أحدهما: أنه جمع النجوم الثابتة، فعبر عنها بالنجم الواحد إشارة إلى الجنس.

الثاني: أنه الجدي [٣١٤] وحده لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه.

وفي المراد بالاهتداء بها قولان:

أحدهما: أنه أراد الاهتداء بها في جميع الأسفار، قاله الجمهور.

الثاني: أنه أراد الاهتداء به في القِبلة. قال ابن عباس [٣١٥]: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ قال «**هو الجدي يا ابن عباس عليه قبلتكم، وبه تهتدون في بركم وبحركم**».

قوله عز وجل: ﴿**وإن تعدوا نعمة اللهِ لا تحصوها**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا تحفظوها، قال الكلبي.

الثاني: لا تشكروها [٣١٦] وهو مأثور.

ويحتمل المقصود بهذا الكلام وجهين:

أحدهما: أن يكون خارجاً مخرج الامتنان تكثيراً لنعمته أن تحصى.

الثاني: أنه تكثير لشكره أن يؤدى. فعلى الوجه الأول يكون خارجاً مخرج الامتنان. وعلى الوجه الثاني خارجاً مخرج الغفران.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

---

(٣١٤) ولا داعي للتخصيص والقول الأول أرجح.

(٣١٥) وهذا الأثر لم يصح فقد أشار إليه الطبري (٩٢/١٤) من رواية عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ضعيف مدلس ولعل هذا الحديث هو حجة من قال بالقول الثاني في تفسير النجم كما تقدم.

(٣١٦) قال الشوكاني رحمه الله (١٥٤/٣) قال العقلاء «إن كل جزء من أجزاء الإنسان لو ظهر فيه أذى خلل وأيسر نقص لنغص النعم على الإنسان وتمنى أن ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل فهو سبحانه يدير بدن هذا الإنسان على الوجه الملائم له مع أن الإنسان لا علم له بوجود ذلك فيكف يطيق حصر بعض نعم الله عليه أو يقدر على إحصائها أو يتمكن من شكر أدناها.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قيل لهم ماذا أنزل ربُّكم﴾ يعني وإذا قيل لمن تقدم ذِكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة بالبعث.

﴿مَّاذَا أنزل ربكم﴾ يحتمل القائل ذلك لهم وجهين:

أحدهما: أنه قول بعض لبعض، فعلى هذا يكون معناه ماذا نسب إلى إنزال ربكم، لأنهم منكرون لنزوله من ربهم.

والوجه الثاني: أنه من قول المؤمنين لهم اختباراً لهم، فعلى هذا يكون محمولاً على حقيقة نزوله منه.

﴿قالوا أساطير الأولين﴾ وهذا جوابهم عما سئلوا عنه ويحتمل وجهين:

أحدهما: أي أحاديث الأولين استرذالاً له واستهزاء به.

الثاني: أنه مثل ما جاء به الأولون، تكذيباً له ولجميع الرسل.

قوله عز وجل: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي أثقال كفرهم وتكذيبهم.

﴿كاملة يوم القيامة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها لم تسقط بالتوبة.

الثاني: أنها لم تخفف بالمصائب.

﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علمٍ﴾ يعني أنه قد اقترن بما حملوه من أوزارهم ما يتحملونه من أوزار من أضلوهم(٣١٧).

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن المضل يتحمل أوزار الضال بإغوائه.

الثاني: أن الضال يتحمل أوزار المضل بنصرته وطاعته.

ويحتمل قوله تعالى ﴿بغير علمٍ﴾ وجهين:

أحدهما: بغير علم المضلّ بما دعا إليه.

---

(٣١٧) لأنهم كانوا سبباً في إضلالهم حيث سنوا لهم سنن الكفر والضلال والتكذيب والإعراض وفي الحديث: «من سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

الثاني: بغير علم الضال بما أجاب إليه.

ويحتمل المراد بالعلم وجهين:

أحدهما: يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم لأنه تقليد بغير استدلال ولا شبهة.

الثاني: أراد أنهم لا يعلمون بما تحملوه من أوزار الذين يضلونهم.

﴿ألا ساءَ ما يزرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أنهم يتحملون سوء أوزارهم.

الثاني: معناه أنه يسوؤهم ما تحملوه من أوزارهم. فيكون على الوجه الأول معجلاً في الدنيا، وعلى الوجه الآخر مؤجلاً في الآخرة.

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾

قوله عز وجل: **﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾** فيه قولان:

أحدهما: أنه هدم بنيانهم من قواعدها وهي الأساس.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لاستئصالهم.

﴿فخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فخرّ أعالي بيوتهم وهم تحتها، فلذلك قال **﴿من فوقهم﴾** وإن كنا نعلم أن السقف عال إلا أنه لا يكون فوقهم إذا لم يكونوا تحته، قاله قتادة.

الثاني: يعني أن العذاب أتاهم من السماء التي هي فوقهم، قاله ابن عباس.

وفي الذين خر عليهم السقف من فوقهم ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه النمرود بن كنعان[٣١٨] وقومه حين أراد صعود السماء وبنى الصرح

(٣١٨) قال الشوكاني رحمه الله (٣/ ١٥٧)«والأولى أن الآية عامة في جميع المبطلين من المتقدمين الذين يحاولون إلحاق الضرر بالمحقين ومعنى المكر هنا الكيد والتدبير الذي لا يطابق الحق وفي هذا وعيد للكفار المعاصرين له صلى الله عليه وآله وسلم بأن مكرهم سيعود عليهم كما عاد مكر من قبلهم على أنفسهم.

فهدمه الله تعالى عليه، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم.

الثاني: أنه بختنصر وأصحابه، قاله بعض المفسرين.

الثالث: يعني المقتسمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الحجر، قاله الكلبي.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ قال عكرمة: نزلت هذه الآية في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فأخرجتهم قريش إلى بدر كرها، فقتلوا، فقال الله ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ يعني بقبض أرواحهم. ﴿ظالمي أنفسهم﴾ في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة.

﴿فألقوا السَّلَمَ﴾ يعني في خروجهم معهم وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الصلح، قاله الأخفش.

الثاني: الاستسلام، قاله قطرب.

الثالث: الخضوع، قاله مقاتل.

﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ يعني من كفر.

﴿بلَى إن الله عليمٌ بما كنتم تعملون﴾ يعني إن أعمالهم أعمال الكفار.

۞ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿. . . ولدار الآخرة خيرٌ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الجنة خير من النار، وهذا وإن كان معلوماً فالمراد به تبشيرهم بالخلاص منها.

الثاني: أنه أراد أن الآخرة خير من دار الدنيا، قاله الأكثرون.

﴿ولنعم دار المتقين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولنعم دار المتقين الآخرة.

الثاني: ولنعم دار المتقين الدنيا، قال الحسن: لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾

قيل معناه صالحين.

ويحتمل طيبي الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى.

ويحتمل ـ وجهاً ثالثاً ـ أن تكون وفاتهم وفاة طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم بخلاف ما تقبض عليه روح الكافر.

﴿يقولون سلام عليكم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون السلام عليهم إنذاراً لهم بالوفاة.

الثاني: أن يكون تبشيراً لهم بالجنة، لأن السلام أمان.

﴿ادخلوا الجنة﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون معناه أبشروا بدخول الجنة.

الثاني: أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة.

﴿بما كنتم تعملون﴾ يعني في الدنيا من الصالحات.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن

دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

قوله عز وجل: **﴿والذين هاجروا في الله من بَعْدِ ما ظُلِموا﴾** يعني من بعد ما ظلمهم أهل مكة حين أخرجوهم إلى الحبشة بعد العذاب والإبعاد.

﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: نزول المدينة، قاله ابن عباس والشعبي وقتادة.

الثاني: الرزق الحسن، قاله مجاهد.

الثالث: أنه النصر على عدوهم، قاله الضحاك.

الرابع: أنه لسان صدق، حكاه ابن جرير[٣١٩].

ويحتمل قولاً خامساً: أنه ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات.

(٣١٩) ولم نجده عند تفسير الآية لا من قول ابن جرير ولا حكاية عن أحد وقد نقله ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٤٨) ونسبه لمجاهد وقال عن القول السادس الذي نقله عن الماوردي «روى معناه عن مجاهد» قلت وبعد هذا كله لا مانع من حمل الآية على العموم بأن يمكنهم الله في الأرض حيث تكون لهم الكلمة والنصر على الأعداء والرزق الوفير ولسان الصدق وفتح البلدان وتولي الولايات فكل هذا يدخل تحت حسنة الدنيا.

ويحتمل قولاً سادساً: أنه ما بقي لهم في الدنيا من الثناء، وما صار فيها لأولادهم من الشرف.

وقال داود بن إبراهيم[٣٢٠]: نزلت هذه الآية في أبي جندل بن سهل[٣٢١]، وقال الكلبي: نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرتّ عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة.

وروي أن عمر بن الخطاب[٣٢٢] رضي الله عنه كان إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما خولكم في الآخرة أكثر[٣٢٣]، ثم تلا عليهم هذه الآية:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾

قوله عز وجل: **﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾** هذا خطابٌ لمشركي قريش.

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن أهل الذكر العلماء بأخبار من سلف من القرون الخالية الذين يعلمون أن الله تعالى ما بعث رسولاً إلا من رجال الأمة، وما بعث إليهم ملَكاً.

الثاني: أنه عنى بأهل الذكر أهل الكتاب خاصة، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: أنهم أهل القرآن(*)، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: **﴿... وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم﴾** تأويلان:

---

(٣٢٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب داود بن أبي هند وهو الذي يروي عن الشعبي والتصويب من جامع البيان (١٤/ ١٠٧) وزاد المسير (٤/ ٤٤٨) وغيرهما.

(٣٢١) كذا هنا وهو خطأ والصواب أبي جندل بن سهيل بن عمرو والتصويب من الطبري (١٤/ ١٠٧).

(٣٢٢) رواه ابن جرير (١٤/ ١٠٧) وفي سنده مجهول وزاد السيوطي في الدر (٥/ ١٣٢) نسبته لابن المنذر.

(٣٢٣) وهذه الجملة في الطبري (١٤/ ١٠٧) «وما ذخره لك في الآخرة أفضل».

(*) وفي نسخة: أهل القرون وهو خطأ ظاهر.

أحدهما: أنه القرآن.

الثاني: أنه العلم.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

قوله عز وجل: **﴿أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾** فيه أربعة أوجه:

أحدها: في إقبالهم وإدبارهم، قاله ابن بحر.

الثاني: في اختلافهم، قاله ابن عباس.

الثالث: بالليل والنهار، قاله ابن جريج.

الرابع: في سفرهم.

﴿أو يأخذهم على تخوفٍ﴾ فيه ستة أوجه:

أحدها: يعني على تنقص بأن يهلك واحد بعد واحد فيخافون الفناء، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك.

الثاني: على تقريع بما قدموه من ذنوبهم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: على عجل، وهذا قول الليث.

الرابع: أن يهلك القرية فتخاف القرية الأخرى، قاله الحسن.

الخامس: أن يعاقبهم بالنقص من أموالهم وثمارهم، قاله الزجاج[٣٢٤].

﴿فإن ربكم لرءُوف رحيم﴾ أي لا يعاجل بل يمهل.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾

(٣٢٤) لاحظ أنه لم يذكر القول السادس.

قوله عز وجل: ﴿**أولـم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظِلالُهُ**﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يرجع ظلالُه، لأن الفيء الرجوع، ولذلك كان اسماً للظل بعد الزوال لرجوعه.

الثاني: معناه تميل ظلاله، قاله ابن عباس.

الثالث: تدور ظلاله، قاله ابن قتيبة.

الرابع: تتحول ظلاله، قاله مقاتل.

﴿**عن اليمين والشمائل**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني تارة إلى جهة اليمين، وتارة إلى جهة الشمال، قاله ابن عباس، لأن الظل يتبع الشمس حيث دارت.

الثاني: أن اليمين أول النهار، والشمال آخر النهار، قاله قتادة والضحاك.

﴿**سجداً لله**﴾ فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: أن ظل كل شيء سجوده، قاله قتادة.

الثاني: أن سجود الظلال سجود أشخاصها، قاله الضحاك.

الثالث: أن سجود الظلال كسجود الأشخاص تسجد لله خاضعة، قاله الحسن ومجاهد.

وقال الحسن: أما ظلك فيسجد لله، وأما أنت فلا تسجد لله، فبئس والله ما صنعت.

﴿**وهم داخرون**﴾ أي صاغرون خاضعون. قال ذو الرمة[٣٢٥]:

فلم يبق إلا داخرٌ في مخيس ... ومنحجر في غير أرضك حُجر

قوله عز وجل: ﴿**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة**﴾ أما سجود ما في السموات فسجود خضوع وتعبد، وأما سجود ما في الأرض من دابة فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن سجوده خضوعه لله تعالى.

الثاني: أن ظهور ما فيه من قدرة الله يوجب على العباد السجود لله سبحانه.

(٣٢٥) ديوانه: واللسان حنس ولكنه نسبه للفرزدق، الطبري (١٤/ ١١٦).

وفي تخصيص الملائكة بالذكر، وإن دخلوا في جملة من في السموات والأرض وجهان:

أحدهما: أنه خصهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من الجملة بالذكر وإن دخلوا فيها.

الثاني: لخروجهم من جملة من يدب، لما جعل الله تعالى لهم من الأجنحة فلم يدخلوا في الجملة، فلذلك ذكروا.

وجواب ثالث: أن في الأرض ملائكة يكتبون أعمال العباد لم يدخلوا في جملة ملائكة السماء فلذلك أفردهم بالذكر.

﴿وهم لا يستكبرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لا يستكبرون عن السجود لله تعالى.

الثاني: لا يستكبرون عن الخضوع لقدرة الله.

﴿يخافون رَبَّهم من فوقهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني عذاب ربهم من فوقهم لأن العذاب ينزل من السماء.

الثاني: يخافون قدرة الله(٣٢٦) التي هي فوق قدرتهم وهي في جميع الجهات.

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من العبادة، قاله ابن عباس.

الثاني: منْ الانتقام من العصاة.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

(٣٢٦) وقد سبق الكلام عن فوقيّة الرب تعالى وأنها على ما يليق بذاته وجلاله كما مرّ في سورة الأنعام عند قوله ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فراجعه.

قوله عز وجل: ﴿. . . وله الدين واصباً﴾

في ﴿الدين﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الإخلاص، قاله مجاهد.

الثاني: أنه الطاعة، قاله ابن بحر.

وفي قوله تعالى: ﴿واصباً﴾ أربعة تأويلات:

أحدها: واجباً، قاله ابن عباس.

الثاني: خالصاً، حكاه الفراء والكلبي.

الثالث: مُتعِباً[٣٢٧]، والوصب: التعب والإعياء، قال الشاعر[٣٢٨]

لا يشتكي الساق مِن أين ولا وصَبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتَفِرُ

الرابع: دائماً، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك، ومنه قوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب﴾ [الصافات: ٩] أي دائم، وقال الدؤلي[٣٢٩]:

لا أبتغي الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

قوله عز وجل: ﴿. . . ثم إذا مَسّكُم الضُّرُّ فإليه تجأرون﴾

في ﴿الضر﴾ ها هنا ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه القحط، قاله مقاتل.

الثاني: الفقر، قاله الكلبي.

الثالث: السقم، قاله ابن عباس.

﴿فإليه تجأرون﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: تضجون، قاله ابن قتيبة.

الثاني: تستغيثون.

الثالث: تضرعون بالدعاء، وهو في اللغة الصياح مأخوذ من جؤار الثور وهو صياحه.

(٣٢٧) وتفسير هذا الوجه «وله الدين موصباً» أي متعباً لأن الحق ثقيل. قال الزجاج ويجوز أن يكون المعنى له الدين والطاعة رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه أم لم يسهل فله الدين وإن كان فيه الوصب. والوصب شدة النصب زاد المسير (٤/ ٤٥٦).

(٣٢٨) هو الأعشى. البيت في ديوانه (   ) والشطر الأول فيه «لا يغمر الساق» والطبري (١٤/ ١١٩) والشطر الثاني فيه «ولا يعض على شر شوفه الصغر».

(٣٢٩) مجاز القرآن (١/ ٣٦١) والطبري (١٤/ ١١٨) والقرطبي (١٠/ ١١٤).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذا بُشِّر أحدُهم بالأنثى ظلَّ وجهُهُ مسوداً وهو كظيمٌ﴾ في قوله ﴿مسودّاً﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: مسود اللون، قاله الجمهور.

الثاني: متغير اللون بسواد أو غيره، قاله مقاتل.

الثالث: ان العرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسودّ وجهه غماً وحزناً، قاله الزجاج.

ومنه: سَوَّدْت وجه فلان، إذا سُؤتَه.

﴿وهو كظيم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الكظيم الحزين، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه الذي يكظم غيظه فلا يظهر، قاله الأخفش.

الثالث: أنه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الفم، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة، قاله ابن عيسى.

﴿... أيمسكُهُ على هُونٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الهوان بلغة قريش، قاله اليزيدي.

الثاني: هو القليل بلغة تميم، قاله الفراء.

الثالث: هو البلاء والمشقة، قاله الكسائي. وقالت الخنساء[٣٣٠]:

نهينُ النفوس وهون النفوس يوم الكريهة أبقى لها

(٣٣٠) ديوانها: ١٢١.

﴿أم يدُسُّهُ في التراب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها الموءُودة التي تدس في التراب قتلاً لها.

الثاني: أنه محمول على إخفائه عن الناس حتى لا يعرفوه كالمدسوس في التراب لخفائه عن الأبصار. وهو محتمل.

قوله عز وجل: **﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾** يحتمل وجهين:

أحدهما: صفة السوء من الجهل والكفر.

الثاني: وصفهم الله تعالى بالسوء من الصاحبة والولد.

﴿ولله المَثلُ الأعلى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: الصفة العليا بأنه خالق ورزاق وقادر ومُجازٍ.

الثاني: الإخلاص والتوحيد، قاله قتادة.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

قوله عز وجل: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾** يعني في الدنيا بالانتقام لأنه يمهلهم في الأغلب من أحوالهم.

﴿ما ترك عليها من دابّةٍ﴾ يعني بهلاكهم بعذاب الاستئصال من أخذه لهم بظلمهم.

﴿ولكن يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلى يوم القيامة.

الثاني: تعجيله في الدنيا.

فإن قيل: فكيف يعمهم بالهلاك مع أن فيهم مؤمناً ليس بظالم؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه يجعل هلاك الظالم انتقاماً وجزاء، وهلاك المؤمن معوضاً بثواب الآخرة.

الثاني: ما ترك عليها من دابة من أهل الظلم.

الثالث: يعني أنه لو أهلك الآباء بالكفر لم يكن الأبناء ولانقطع النسل فلم يولد مؤمن.

قوله عز وجل: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعني من البنات.

﴿وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحُسنَى﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن لهم البنين مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات، قاله مجاهد.

الثاني: معناه أن لهم من الله الجزاء الحسن، قاله الزجاج.

﴿لاجرم أن لهم النار﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه حقاً أن لهم النار.

الثاني: معناه قطعاً أن لهم النار.

الثالث: اقتضى فعلهم أن لهم النار.

الرابع: معناه بلى إن لهم النار، قاله ابن عباس.

﴿وأنهم مفرطون﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: معناه منسيون، قاله مجاهد.

الثاني: مضيّعون، قاله الحسن.

الثالث: مبعدون في النار، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: متروكون في النار، قاله الضحاك.

الخامس: مقدَّمون إلى النار، قاله قتادة. ومنه قول النبي ﷺ[٣٣١]: «أنا فَرَطكم على الحوض»، أي متقدمكم. وقال القطامي[٣٣٢]:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجّل فرّاطٌ لورّادِ

والفرّاط: المتقدمون في طلب الماء، والورّاد: المتأخرون.

وقرأ نافع ﴿مُفْرِطون﴾ بكسر الراء وتخفيفها، ومعناه مسرفون في الذنوب، من الإفراط فيها.

(٣٣١) ورد ذلك من حديث جندب بن عبدالله رواه البخاري (١١/ ٤١٤) ومسلم رقم ٢٢٨٩ وفي الباب عن عبدالله بن مسعود وسهل بن سعد وغيرهما.

(٣٣٢) ديوانه ( ): اللسان: فرط الطبري (١٤/ ١٢٨).

وقرأ الباقون من السبعة ﴿مفرطون﴾ أي معجلون إلى النار متروكون فيها.

وقرأ أبو جعفر القارىء[٣٣٣] ﴿مفرِّطون﴾ بكسر الراء وتشديدها، ومعناه من التفريط في الواجب.

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ
الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بُطونه﴾ أي نبيح لكم شرب ما في بطونه، فعبر عن الإباحة بالسقي.

﴿من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خالصاً من الفرث والدم.

الثاني: أن المراد من الخالص هنا الأبيض، قاله ابن بحر ومنه قول النابغة[٣٣٤]:

يصونون أجساداً قديماً نعيمُها ... بخالصةِ الأردان خُضْرِ المناكب

فخالصة الأردان أي بيض الأكمام، وخضر المناكب يعني من حمائل السيوف.

﴿سائغاً للشاربين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: حلال للشاربين.

الثاني: معناه لا تعافه النفس. وقيل: إنه لا يغص أحد باللبن.

---

(٣٣٣) وكذا هي قراءة ابن أبي عبلة كما في زاد المسير (٤/ ٤٦١) وعلى هذه القراءة يكون معنى المفرط والمفرط واحد.

(٣٣٤) ديوانه: ٩.

قوله عز وجل: ﴿ومن ثَمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسَناً﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أن السكر الخمر، والرزق الحسن التمر والرطب والزبيب. وأنزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر ثم حرمت من بعد. قال ابن عباس: السَّكر ما حرم من شرابه، والرزق الحسن ما حل من ثمرته، وبه قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ومن ذلك قول الأخطل(٣٣٥):

بئس الصُّحاة وبئس الشرب شربهم إذا جرى فيهم المزاءُ والسكُرُ

والسكر: الخمر، والمزاء: نوع من النبيذ المسكر.

واختلف من قال بهذا هل خرج مخرج الإباحة أو مخرج الخبر على وجهين:

أحدهما: أنه خرج مخرج الإباحة ثم نسخ. قاله قتادة.

الثاني: أنه خرج مخرج الخبر أنهم يتخذون ذلك وإن لم يحل، قاله ابن عباس.

الثاني: أن السّكَر: النبيذ المسكر، والرزق الحسن التمر والزبيب، قاله الشعبي والسدي. وجعلها أهل العراق دليلاً(٣٣٦) على إباحة النبيذ.

الثالث: أن السكر: الخل بلغة الحبشة، والرزق الحسن: الطعام.

الرابع: أن السكر ما طعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والأعناب وهو الرزق الحسن، وبه قال أبو جعفر(٣٣٧) الطبري وأنشد قول الشاعر(٣٣٨):

وَجَعلت عيب الأكرمين سكرا

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى﴾

---

(٣٣٥) وهذا البيت من قصيدة هجاء له يهجو فيها بني يربوع والبيت في روح المعاني (١٤/١٧٩) وفي فتح القدير (٣/ ١٧٥).

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم إذا جرى فيهم الهذي والسكر

(٣٣٦) قال الزجاج وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة المتواترة على فرض تأخره عن آية تحريم الخمر راجع فتح القدير (٣/ ١٧٥).

(٣٣٧) جامع البيان (١٤/ ١٣٨).

(٣٣٨) مجاز القرآن (١/ ٣٦٣) والطبري (١٤/ ١٣٨) والقرطبي (١٠/ ١٢٩) واللسان «سكر».

﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الوحي إليها هو إلهامـاً، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني: يعني أنه سخرها، حكاه ابن قتيبة.

الثالث: أنه جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله على غيرها، قاله الحسن.

﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ فذكر بيـوتها لمـا ألهمها وأودعه في غرائزها من صحة القسمة وحسن المنعة.

﴿ومما يعرشون﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه الكرم، قاله ابن زيد.

الثاني: ما يبنون، قاله أبو جعفر الطبري(٣٣٩).

﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك﴾ أي طرق ربك.

﴿ذللاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: مذللة،(٣٤٠) قاله أبو جعفر الطبري.

الثاني: مطيعة، قاله قتادة.

الثالث: أي لا يتوعر عليها مكان تسلكه، قاله مجاهد.

الرابع: أن الذلل من صفات النحل وأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لأنها تتبع أصحابها حيث ذهبوا، قاله ابن زيد.

﴿يخرج من بطونها شرابٌ﴾ يعني العسل.

﴿مختلف ألوانُهُ﴾ لاختلاف أغذيتها.

﴿فيه شفاءٌ للناسِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك عائد إلى القرآن، وأن في القرآن شفاء للناس أي بياناً للناس، قاله مجاهد.

---

(٣٣٩) جامع البيان (١٤/ ١٣٩).

(٣٤٠) جامع البيان (١٤/ ١٣٩).

الثاني: أن ذلك عائد إلى الاعتبار بها أن فيه هدى للناس، قاله الضحاك.

الثالث[٣٤١]: أن ذلك عائد إلى العسل،وأن في العسل شفاء للناس، قاله ابن مسعود وقتادة.

روى قتادة قال[٣٤٢]: جاءِ رجل إلى رسول الله ﷺ، فذكر أن أخاه اشتكى بطنه فقال النبي ﷺ «اذهب فاسق أخاك عسلاً»، ثم جاء فقال: ما زاده إلا شدة. فقال النبي ﷺ «اذهب فاسق أخاك عسلاً». ثم جاء فقال له: ما زاده إلا شدة، فقال النبي ﷺ «اذهب فاسق أخاك عسلاً، صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فكأنه نشط من عِقال».

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العُمرِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أوضعه وأنقصه، قاله الجمهور.

الثاني: أنه الهرم، قاله الكلبي.

الثالث: ثمانون سنة، حكاه قطرب.

الرابع: خمس وسبعون سنة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣٤٣].

﴿لكيلا يعلم بعد عِلْمٍ شيئاً﴾ يعني أنه يعود جاهلاً لا يعلم شيئاً كما كان في حال صغره.

أو لأنه قد نسي ما كان يعلم، ولا يستفيد ما لا يعلم.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون معناه لكي لا يعمل بعد علم شيئاً، فعبر عن العمل

---

(٣٤١) وهو الأرجح لأن الضمير يعود على أقرب مذكور راجع روح المعاني (١٤/١٨٥) وفتح القدير (٣/ ١٧٦) وابن كثير (٢/ ٥٧٥).

(٣٤٢) رواه الطبري هكذا مرسلاً (١٤/ ١٤١).

ورواه البخاري (١٠/ ١١٨، ١٤٢) ومسلم (٤/ ١٧٣٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد توسع ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٣/ ٧٣) في الكلام على فوائد هذا الحديث الطبية فراجعه فإنه كلام فيه شفاء.

(٣٤٣) وقيل تسعون سنة قاله قتادة كما في زاد المسير (٤/ ٤٦٧).

بالعلم لافتقاره إليه، لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله عز وجل: **﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه أغنى وأفقر، ووسّع وضيّق.

الثاني: في القناعة والرغبة.

الثالث: في العلم والجهل.

قال الفضيل بن عياض: أجلُّ ما رزق الإنسان معرفة تدله على ربه، وعقل يدله على رشده.

وفي التفضيل وجهان:

أحدهما: أنه فضل السادة على العبيد، قاله ابن قتيبة ومن يرى أن التفضيل في المال.

الثاني: أنه فضل الأحرار بعضهم على بعض، قاله الجمهور.

﴿فما الذين فُضِّلوا بِرادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانُهم فهم فيه سواء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن عبيدهم لما لم يشركوهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في ملكه، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. وفي هذا دليل على أن العبد لا يملك.

الثاني: أنهم وعبيدهم سواء في أن الله تعالى رزق جميعهم، وأنه لا يقدر أحد على رزق عبده إلا أن يرزقه الله تعالى إياه كما لا يقدر أن يرزق نفسه، حكاه ابن عيسى.

﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: بما أنعم الله عليهم من فضله ورزقه ينكرون.

الثاني: بما أنعم الله عليهم من حججه وهدايته يضلون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿**واللّهُ جَعَل لكُم مِن أنفسِكم أزواجاً**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني جعل لكم من جنسكم مثلكم، فضرب المثل من أنفسكم، قاله ابن بحر.

الثاني: يعني آدم خلق منه حوّاء، قاله الأكثرون.

﴿**وجعل لكم مِن أزواجكم بنين وحفدة**﴾ وفي الحفدة خمسة أقاويل:

أحدها: أنهم الأصهار أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود وأبو الضحى وسعيد بن جبير وإبراهيم، ومنه قول الشاعر[٣٤٤]:

ولو أن نفسي طاوعتني لأصبحت ... لها حَفَدٌ مما يُعَدُّ كثيرُ
ولكنها نفس عليَّ أبيّة ... عَيُوفٌ لأصهارِ اللئام قَذور

الثاني: أنهم أولاد الأولاد، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الرابع: أنهم الأعوان، قاله الحسن.

الخامس: أنهم الخدم، قاله مجاهد وقتادة وطاووس، ومنه قول جميل[٣٤٥]:

حفد الولائدُ حولهم وأسلمت ... بأكفهن أزِمّةَ الأجمال

وقال طرفة بن العبد[٣٤٦]:

يحفدون الضيف في أبياتهم ... كرماً ذلك منهم غير ذل

وأصل الحفد الإسراع، والحفدة جمع حافد، والحافد هو المسرع في العمل، ومنه قولهم في القنوت وإليك نسعى ونحفد، أي نسرع إلى العمل بطاعتك، منه قول الراعي[٣٤٧]:

---

(٣٤٤) هو جميل بن معمر والبيت في اللسان (حفد) وفتح القدير (٣/ ١٧٥) والقرطبي (١٠/ ١٤٤).

(٣٤٥) هو جميل أيضاً والبيت في الطبري (١٤/١٤٤) ومجاز القرآن (١/٣٦٤) واللسان حفد وروح المعاني (١٤/ ١٩٠).

(٣٤٦) روح المعاني (١٤/ ١٩٠).

(٣٤٧) اللسان (كسا) ونسبه في القرطبي (١٠/ ١٤٣)للأعشى وفي اللسان وقع الشطر الثاني «إذا الحداد...»

كلفت مجهـولـهـا نـوقـاً ثمـانـيـة إذا الحُـداة على أكسـائـهـا حفـدوا

وذهب بعض العلماء في تفسير قـوله تعـالى ﴿بنين وحفدة﴾ البنين الصغـار والحفدة الكبار.

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: من الفيء والغنيمة.

الثاني: من المباحات في البوادي.

الثالث: ما أوتيه عفواً من غير طلب ولا تعب.

﴿أفبالباطِل يؤمنون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بالأصنام.

الثاني: يجحدون البعث والجزاء.

﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ فيها وجهان:

أحدهما: بالإسلام.

الثاني: بما رزقهم الله تعالى من الحلال آفة من أصنامهم. حكاه الكلبي.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه لا يملك ما لم يؤذن وإن كان باقياً معه.

الثاني: أن لسيده انتزاعه من يده وإن كان مالكاً له.

﴿ومَن رزقناه مِنا رزقاً حسناً﴾ يعني الحُرّ، وفيه وجهان:

أحدهما: ملكه ما بيده.

الثاني: تصرفه في الاكتساب على اختياره.

وفي هذا المثل قولان:

أحدهما: أنه مثل ضربه الله للكافر لأنه لا خير عنده، ومن رزقناه منا رزقاً حسناً هو المؤمن، لما عنده من الخير، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه والأوثان، لأنها لا تملك شيئاً، وإنهم عدلوا عن عبادة الله تعالى الذي يملك كل شيء، قاله مجاهد.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكمُ لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأْتِ بخير هل يستوي هو ومن يأْمُرُ بالعدل وهو على صراط مستقيم﴾ اختلف المفسرون في المثل المضروب بهذه الآية على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن، فالأبكم الذي لا يقدرعلى شيء هو الوثن، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى، وهذا معنى قول قتادة.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالأبكم: الكافر، والذي يأمر بالعدل: المؤمن، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الأبكم: عبد كان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كان يعرض عليه الإسلام فيأبى. ومن يأمر بالعدل: عثمان، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ يحتمل خمسة أوجه:

أحدها: ولله علم غيب السموات والأرض، لأنه المنفرد به دون خلقه.

الثاني: أن المراد بالغيب إيجاد المعدومات وإعدام الموجودات.

الثالث: يعني فعل ما كان وما يكون، وأما الكائن في الحال فمعلوم.

الرابع: أن غيب السماء الجزاء بالثواب والعقاب. وغيب الأرض القضاء بالأرزاق والآجال[٣٤٨].

﴿وما أمرُ الساعة إلَّا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ لأنه بمنزلة قوله: ﴿كن فيكون﴾ وإنما سماها ساعة لأنها جزء من يوم القيامة وأجزاء اليوم ساعاته.

وذكر الكلبي ومقاتل: أن غيب السموات هو قيام الساعة.

قال مقاتل: وسبب نزولها أن كفار قريش سألوا رسول الله ﷺ عن قيام الساعة استهزاء بها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾

قوله عز وجل: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: البيوت، قاله الكلبي.

الثاني: الشجر، قاله قتادة.

﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ الأكنان: جمع كِنّ وهو الموضع الذي يستكن فيه، وفيه وجهان:

---

(٣٤٨) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الخامس.

أحدهما: أنه ظل الجبال.

الثاني: أنه ما فيها من غار أو شَرَف.

﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ﴾ يعني ثياب القطن والكتان والصوف.

﴿وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ يعني الدروع التي تقي البأس، وهي الحرب.

قال الزجاج: كل ما لبس من قميص ودروع فهو سربال.

فإن قيل: فكيف قال: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ ولم يذكر السهل وقال ﴿تقيكم الحر﴾ ولم يذكر البرد؟

فعن ذلك ثلاثة أجوبة: (٣٤٩)

أحدها: أن القوم كانوا أصحاب جبال ولم يكونوا أصحاب سهل، وكانوا أهل حر ولم يكونوا أهل برد، فذكر لهم نعمه عليهم مما هو مختص بهم، قاله عطاء.

الثاني: أنه اكتفى بذكر أحدهما عن ذكر الآخر، إذ كان معلوماً أن من اتخذ من الجبال أكناناً اتخذ من السهل، والسرابيل التي تقي الحر تقي البرد، قاله الفراء، ومثله قول الشاعر:

وما أدري إذا يممتُ أرضاً أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه.

الثالث: أنه ذكر الجبال لأنه قدم ذكر السهل بقوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ وذكر الحرَّ دون البرد تحذيراً من حر جهنم وتوقياً لاستحقاقها بالكف عن المعاصي.

﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ أي تؤمنون بالله إذا عرفتم نعمه عليكم. وقرأ ابن عباس(٣٥٠) ﴿لعلكم تسلمون﴾ بفتح التاء أي تسلمون من الضرر، فاحتمل أن يكون عنى ضرر الحر والبرد واحتمل أن يكون ضرر القتال والقتل، واحتمل أن يريد ضرر العذاب في الآخرة إن اعتبرتم وآمنتم.

قوله عزوجل: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ فيه خمسة تأويلات:

---

(٣٤٩) هو المثقب العبدي، الطبري (١٤/ ١٥٧) والقرطبي (١٠/ ١٨٠) والمفضَليات وبقية البيت:

الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

(٣٥٠) وهي قراءة سعيد بن جبير وعكرمة وأبي رجاء، زاد المسير (٤/ ٤٧٨).

أحدها: أنه عنى النبي ﷺ يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه، قاله السدي.

الثاني: أنهم يعرفون ما عدد الله تعالى عليهم في هذه السورة من النعم وأنها من عند الله وينكرونها بقولهم أنهم ورثوا ذلك عن آبائهم، قاله مجاهد.

الثالث: أن انكارها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا ولولا فلانٌ ما أصبت كذا، قاله عون بن عبدالله.

الرابع: أن معرفتهم بالنعمة إقرارهم بأن الله رزقهم، وإنكارهم قولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

الخامس: يعرفون نعمة الله بتقلبهم فيها، وينكرونها بترك الشكر عليها.

ويحتمل سادساً: يعرفونها في الشدة، وينكرونها في الرخاء.

ويحتمل سابعاً: يعرفونها بأقوالهم، وينكرونها بأفعالهم.

قال الكلبي: هذه السورة تسمى سورة النعم، لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه.

﴿وأكثرهم الكافرون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه وجميعهم كافرون، فعبر عن الجميع بالأكثر، وهذا معنى قول الحسن.

الثاني: أنه قال ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ لأن فيهم من جرى عليه حكم الكفر تبعاً لغيره كالصبيان والمجانين، فتوجه الذكر إلى المكلفين.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

قوله عزوجل: ﴿**وألقوا إلى الله يومئذ السلم**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: استسلامهم لعذابه، وخضوعهم لعزه.

الثاني: إقرارهم بما كانوا ينكرونه من طاعته.

﴿**وضَلَّ عنهم ما كانوا يفترون**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وبطل ما كانوا يأملون.

الثاني: خذلهم ما كانوا به يستنصرون.

قوله عز وجل: ﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زِدناهُم عذاباً فوق العذاب**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الزيادة هي عذاب الدنيا مع ما يستحق من عذاب الآخرة.

الثاني: أن أحد العذابين على كفرهم، والعذاب الآخر على صدهم عن سبيل الله ومنعهم لغيرهم من الإيمان.

﴿**بما كانوا يفسدون**﴾ في الدنيا بالمعاصي.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

قوله عزوجل: ﴿**ويوم نبعث في كل أمةٍ شهيداً عليهم من أنفسِهم**﴾ وهم الأنبياء شهداء على أممهم يوم القيامة.

وفي كل زمان شهيد وإن لم يكن نبياً. وفيهم قولان.

أحدهما: أنهم أئمة الهدى الذين هم خلفاء الأنبياء.

الثاني: أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه.

﴿**وجئنا بك شهيداً على هؤلاء**﴾ يعني محمداً ﷺ شهيداً على أمته.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

قوله عزوجل: **﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان. . . ﴾** الآية. في تأويل هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: الصبر على أمره ونهيه وطاعة الله في سره وجهره **﴿وإيتاء ذي القربى﴾** صلة الرحم، **﴿وينهى عن الفحشاء﴾** يعني الزنى. **﴿والمنكر﴾** القبائح. **﴿والبغي﴾** الكبر والظلم حكاه ابن جرير الطبري(٣٥١).

الثاني: أن العدل: القضاء بالحق، والإحسان: التفضل بالإنعام، وإيتاء ذي القربى: ما يستحقونه من النفقات. وينهى عن الفحشاء ما يستسر بفعله من القبائح. والمنكر: مايتظاهر به منها فينكر. والبغي: ما يتطاول به من ظلم وغيره، وهذا معنى ما ذكره ابن عيسى.

الثالث: أن العدل ها هنا استواء السريرة والعلانية في العمل لله. والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته. والفحشاء والمنكر: أن تكون علانيته أحسن من سريرته، قاله سفيان بن عيينة. فأمر بثلاث ونهى عن ثلاث.

﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: تتذكرون ما أمركم به وما نهاكم عنه.

الثاني: تتذكرون ما أعده من ثواب طاعته وعقاب معصيته.

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

قوله عزوجل: **﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾** يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه النذور.

---

(٣٥١) جامع البيان (١٤/ ١٦٢، ١٦٣).

الثاني: ما عاهد الله عليه من عهد في طاعة الله.

الثالث: أنه التزام أحكام الـدين بعد الدخول فيه(٣٥٢).

﴿ولا تنقضوا الأيمان بَعْدَ توكيدها﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: لا تنقضوها بالامتناع بعد توكيدها بالالتزام.

الثاني: لا تنقضوها بالعذر بعد توكيدها بالوفاء.

الثالث: لا تنقضوها بالحنث بعد توكيدها بالبِرّ.

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في بيعة النبي ﷺ(٣٥٣).

الثاني: أنها نزلت في الحلف الذي كان في الجاهلية بين أهل الشرك، فجاء الإسلام بالوفاء به.

الثالث: أنها نزلت في كل عقد يمين عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حله(*).

وقـول النبي ﷺ: «فليأت الـذي هو خيـر»(٣٥٤) محمول على الضـرورة دون المباح. وأهل الحجاز يقولون. وكّدت هذه اليمين توكيداً، وأهل نجد يقولون أكدتها تأكيداً.

قوله عزوجل: **﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾** وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن نقض عهده، وفيه قولان:

أحدهما: أنه عنى الحبْل، فعبر عنه بالغزل، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عنى الغزل حقيقة.

﴿من بعد قوة﴾ فيه قولان:

أحدهما: من بعد إبرام. قاله قتادة.

---

(٣٥٢) والأولى الحمل على العموم بحيث يشمل العهد بين العبد وربه وعهد العباد بينهم كالبيع من الشراء، والعقود وغيرها.

(٣٥٣) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، راجع فتح القدير (٣/ ١٩٠).

(*) هكذا في الأصول ولعل الصواب حنثه.

(٣٥٤) جزء من حديث أوله «من حلف على يمين. . .».

رواه مسلم (١٦٥١) والنسائي (١١٧) من حديث تميم بن طرفة الطائي.

الثاني: أن القوة ما غزل على طاق ولم يثن.

﴿أنكاثاً﴾ يعني أنقاضاً، واحده نكث، وكل شيء نقض بعد الفتل أنكاثٌ.

وقيل أن التي نقضت غزلها من بعد قوة امرأة بمكة حمقاء، قال الفراء: إنها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، سميت جعدة لحمقها، كانت تغزل الصوف ثم تنقضه بعدما تبرمه، فلما كان هذا الفعل لو فعلتموه سفهاً تنكرونه كذلك نقض العهد الذي لا تنكرونه.

﴿تتخذون أيمانكُمْ دَخَلاً بينكُمْ﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن الدخل الغرور.

الثاني: أن الدخل الخديعة.

الثالث: أنه الغل والغش.

الرابع: أن يكون داخل القلب من الغدر غير ما في الظاهر من لزوم الوفاء.

الخامس: أنه الغدر والخيانة، قاله قتادة.

السادس: أنه الحنث في الأيمان المؤكدة.

﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ أن أكثر عدداً وأزيد مدداً، فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر. وأربى: أفعل الربا، قال الشاعر:(٣٥٥)

وأسمر خطيّاً كأنّ كعوبه ... نوى القسب أو أربى ذراعاً على عشر

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

(٣٥٥) قيل هو حاتم الطائي والبيت في اللسان (سب) والطبري (١٤/ ١٦٧) ومجاز القرآن (١/ ٣٦٧). والشطر الأول في الطبري أسمر خطّي وفي الشطر الثاني «قد أربى ذرعاً».

قوله عزوجل: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ**﴾ فيه وجهان.

أحدهما: يريد به أن الدنيا فانية، والآخرة باقية.

الثاني: أن طاعتكم تفنى وثوابها يبقى.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

قوله عزوجل: ﴿**مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة**﴾ فيها خمسة تأويلات:

أحدها: أنها الرزق الحلال، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها القناعة، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري.

الثالث: أن يكون مؤمناً بالله عاملاً بطاعته، قاله الضحاك.

الرابع: أنها السعادة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: أنها الجنة، قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل سادساً: أن تكون الحياة الطيبة العافية والكفاية.

ويحتمل سابعاً: أنها الرضا بالقضاء.

﴿**ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يجازى على أحسن الأعمال وهي الطاعة، دون المباح منها.

الثاني: مضاعفة الجزاء وهو الأحسن، كما قال تعالى ﴿**من جاءَ بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله عزوجل: ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله تعالى، قاله الزجاج.

الثاني: فإذا كنت قارئاً فاستعذ بالله.

الثالث: أنه من المؤخر الذي معناه مقدم، وتقديره: فإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم فاقرأ القرآن.

والاستعاذة هي استدفاع الأذى بالأعلى من وجه الخضوع والتذلل والمعنى فاستعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل، وفي التأويل من الخطأ. وقد ذكرنا في صدر الكتاب معنى الرجيم.

قوله عزوجل: ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، قاله سفيان.

الثاني: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد.

الثالث: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم بالله منه، لقوله تعالى ﴿**وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم**﴾ [فصلت: ٣٦].

الرابع: أنه ليس له عليهم سلطان بحال لأن الله تعالى صرف سلطانه عنهم حين قال عدو الله إبليس ﴿**ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] فقال الله تعالى ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ [الحجر: ٤٢] وفي معنى السلطان وجهان:

أحدهما: الحجة، ومنه سمي الوالي سلطاناً لأنه حجة الله تعالى في الأرض.

الثاني: أنها القدرة، مأخوذ من السُّلْطَة(*)، وكذلك سمي السلطان سلطاناً لقدرته. ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه**﴾ يعني يتبعونه.

﴿**والذين هُمْ به مشركون**﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: والذين هم بالله مشركون، قاله مجاهد.

الثاني: والذين أشركوا الشيطان في أعمالهم، قاله الربيع بن أنس.

الثالث: والذين هم لأجل الشيطان وطاعته مشركون، قاله ابن قتيبة.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ

(*) في نسخة: السلاطة وهو خطأ.

أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

قوله عزوجل: ﴿ وإذا بدّلنا آيةً مكان آيةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: شريعة تقدمت بشريعة مستأنفة، قاله ابن بحر.

الثاني: وهو قول الجمهور أي نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.

﴿والله أعلم بما ينزل﴾ يعني أعلم بالمصلحة فيه ينزله ناسخاً ويرفعه منسوخاً.

﴿قالوا إنما أنت مفترٍ﴾ أي كاذب.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لا يعلمون جواز النسخ.

الثاني: لا يعلمون سبب ورود النسخ.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله عزوجل: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ﴾ اختلف في اسم من أراده المشركون فيما ذكروه من تعليم رسول الله ﷺ على أربعة أقاويل:

أحدها: أنه بلعام وكان قيناً(*) بمكة، وكان رسول الله ﷺ يدخل عليه يعلمه، فاتهمته قريش أنه كان يتعلم منه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كان عبداً أعجمياً لامرأة بمكة، يقال له أبو فكيهة، كان يغشى رسول الله ﷺ فيقرأ عليه ويتعلم منه، فقالوا لمولاته احبسيه فحبسته، وقالت له: اكنس

(*) القين: الحداد.

البيت وكل كناسته، ففعل وقال: والله ما أكلت أطيب منه ولا أحلى، وكان يسأل مولاته بعد ذلك أن تحبسه فلا تفعل.

الثالث: أنهما غلامان لبني الحضرمي، وكانا من أهل عين التمر صيقلين يعملان السيوف اسم أحدها يسار، والآخر جبر، وكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ربما جلس إليهما، قاله حصين بن عبدالله بن مسلم.

الرابع: أنه سلمان الفارسي، قاله الضحاك[٣٥٦].

﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ في يلحدون تأويلان:

أحدهما: يميلون إليه.

الثاني: يعترضون به، يعني أن لسان من نسبوا رسول الله ﷺ إلى التعلم منه أعجمي.

﴿وهذا لسانٌ عربيٌ مبين﴾ يعني باللسان القرآن لأنه يقرأ باللسان، والعرب تقول: هذا لسان فلان، تريد كلامه، قال الشاعر[٣٥٧]:

لسان السوء تهديها إلينا وخُنْتَ وما حسبتُك أن تخونا

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن كفر بالله من بعد إيمانه﴾ ذكر الكلبي أنها نزلت في

(٣٥٦) وفيها أقوال أخرى راجعها في فتح القدير (٣/ ١٩٥).

(٣٥٧) الطبري (١٤/ ١٨٠) وفتح القدير (٣/ ١٩٥) والشطر الأول فيه: لسان الشر تهديها إلينا «ولم ينسبه».

عبدالله بن أبي سرح ومقيس بن صبابة وعبدالله بن خطل(*) وقيس بن الوليد بن المغيرة، كفروا بعد إيمانهم ثم قال تعالى:

﴿إلا من أُكره وقلبُه مطمئن بالإيمان﴾ قال الكلبي: نزل ذلك في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان.

ثم قال تعالى: ﴿ولكن من شرح بالكُفْر صدراً﴾ وهم من تقدم ذكرهم، فإذا أكره على الكفر فأظهره بلسانه وهو معتقد الإيمان بقلبه ليدفع عن نفسه بما أظهر، ويحفظ دينه بما أضمر فهو على إيمانه، ولو لم يضمره لكان كافراً.

وقال بعض المتكلمين: إنما يجوز للمكرَه إظهارُ الكفر على وجه التعريض دون التصريح الباتّ. لقبح التصريح بالتكذيب وخطره في العرف والشرع ،كقوله إن محمداً كاذب في اعتقادكم، أو يشير لغيره ممن يوافق اسمه لاسمه إذا عرف منه الكذب، وهذا لعمري أولى الأمرين، ولم يَصِرِ المكرَه بالتصريح كافر.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرْيَةٗ كَانَتْ ءَامِنَةٗ مُّطْمَئِنَّةٗ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٞ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنةً مطمئنةً﴾ يريد بالقرية أهلها ﴿آمنة﴾ يعني من الخوف. ﴿مطمئنة﴾ بالخصب والدعة.

﴿يأتيها رِزقُها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أقواتها.

(*) في الأصول: عبدالله بن أنس بن خطل وهو تحريف والصواب ما أثبتناه.

الثاني : مرادها.

﴿رغداً﴾ فيه وجهان :

أحدهما : طيباً.

الثاني : هنيئاً.

﴿من كُلِّ مكانٍ﴾ يعني منها بالزراعة، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعم في النعمة عليهم.

﴿فكفرت بأنعم الله﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما : بترك شكره وطاعته.

الثاني : بأن لا يؤدوا حقها من مواساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات.

وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها مكة، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون(*) كالبوادي.

﴿فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوْف﴾ وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم، والقِد أديم يؤكل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني : أنها المدينة آمنت برسول الله ﷺ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله ﷺ بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

الثالث : أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ

(*) وفي نسخة : لا يتغامزون.

لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

قوله عزوجل: ﴿ثم إنّ ربّك للذين عملوا السُّوء بجهالةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بجهالة أنها سوء.

الثاني: بجهالة لغلبة الشهوة عليهم مع العلم بأنها سوء.

ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يعجل بالإقدام عليها ويعد نفسه بالتوبة.

﴿ثم تابوا مِنْ بعد ذلك وأصْلَحوا﴾ لأنه مجرد التوبة من السالف إذا لم يصلح عمله في المستأنف لا يستحق ولا يستوجب الثواب.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

قوله عزوجل: ﴿إنّ إبراهيم كان أمّةً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يُعلّم الخير، قاله ابن مسعود وإبراهيم النخعي. قال زهير:

فأكرمه الأقوام من كل معشر كرام فإن كذبتني فاسأل الأمم

يعني العلماء.

الثاني: أمة يقتدىٰ به، قاله الضحاك. وسمي أمة لقيام الأمة به.

الثالث: إمام يؤتم به، قاله الكسائي وأبو عبيدة.

﴿قانتاً لله﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مطيعاً لله، قاله ابن مسعود.

الثاني: إن القانت هو الذي يدوم على العبادة لله.

الثالث: كثير الدعاء لله عز وجل.

﴿حنيفاً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مخلص، قاله مقاتل.

الثاني: حاجّا، قاله الكلبي.

الثالث: أنه المستقيم على طريق الحق، حكاه ابن عيسى.

﴿ولم يَكُ من المشركين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم يك من المشركين بعبادة الأصنام.

الثاني: لم يك يرى المنع والعطاء إلا من اللّه.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أن الحسنة النبوة، قاله الحسن.

الثاني: لسان صدق، قاله مجاهد.

الثالث: أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه، قاله قتادة.

الرابع: أنها تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: أنه بقاء ضيافته وزيارة الأمم لقبره.

﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في منازل الصالحين في الجنة.

الثاني: من الرسل المقربين.

قوله عزوجل: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ فيه قولان:

أحدهما: اتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه، وهذا قول بعض أصحاب الشافعي، وهذا دليل على جواز اتّباع الأفضل للمفضول لأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء.

الثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري(٣٥٨).

---

(٣٥٨) جامع البيان (١٤/ ١٩٣)

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ وهم ايهود وفي اختلافهم في السبت ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن بعضهم جعله أعظم الأيام حُرْمَةً لأن الله فرغ من خلق الأشياء فيه.

الثاني: أن بعضهم جعل الأحد أعظم حُرمة منه لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه.

الثالث: أنهم عدلوا عما أمروا به من تعظيم الجمعة تغليباً لحرمة السبت والأحد، قاله مجاهد وابن زيد.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ادعُ إلى سبيل ربِّك﴾ يعني إلى دين ربك وهو الإسلام.

﴿بالحكمة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: بالقرآن، قاله الكلبي.

الثاني: بالنبوة، وهو محتمل.

﴿والموعظة الحسنة﴾ فيها تأويلان:

أحدهما: بالقرآن في لين من القول، قاله الكلبي.

الثاني: بما فيه من الأمر والنهي، قاله مقاتل.

﴿وجادلْهُم بالتي هي أحسنُ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني بالعفو.

الثاني: بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول.

الثالث: بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف.

الرابع: على قدر ما يحتملون.

روى نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال «أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[٣٥٩].

(٣٥٩) لم أظفر بتخريج حديث ابن عمر وأكبر ظني أنه هذا النقل هنا خطأ فإن الحديث معروف من حديث =

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

قوله عزوجل: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به﴾** فيها قولان:

أحدهما: أنها نزلت في قتلى أُحد حين مثلت بهم قريش. واختلف قائل ذلك في نسخه على قولين.

أحدهما: أنها منسوخة بقوله تعالى: **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾**.

الثاني: أنها ثابتة غير منسوخة فهذا أحد القولين.

والقول الثاني: أنها نزلت في كل مظلوم أن يقتص من ظالمه، قاله ابن سيرين ومجاهد **﴿واصبر﴾** فيه وجهان:

أحدهما: اصبر على ما أصابك من الأذى، وهو محتمل.

الثاني: واصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ما عاقبوا من المثلة بقتلى أُحد، قاله الكلبي.

﴿وما صبرك إلا بالله﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وما صبرك إلا بمعونة الله.

= ابن عباس مرفوعاً رواه الديلمي بسند ضعيف كما قال صاحب اللآليء ونقله عنه صاحب كشف الخفا (١/ ١٩٦) وقال السيوطي مبيناً سبب ضعفه: في إسناده مجهول. وضعفه جدا السخاوي أيضاً في المقاصد ونقل عن الحافظ ابن حجر نسبته للحسن بن سفيان كما رواه أبو الحسن التميمي وهو من الحنابلة في كتاب العقل له وقال صاحب كشف الخفا «وله ـ أي للحديث ـ شاهد من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً بلفظ إنا معشر الأنبياء أمرنا وذكره.. رواه في الغنية الشيخ عبد القادر قدس سره بلفظ أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدِّث الناس على قدر عقولهم أ هـ. ويغني عن هذا الضعيف ما ورد موقوفاً بسند صحيح.

عن علي رضي الله عنه قال «حدثوا الناس بما يعرفونه أتحبون أنه يكفر بالله ورسوله؟» ذكره البخاري معلقاً ورواه الخطيب في الجامع (٢/ ١٠٨).

وثبت عن ابن مسعود قوله «ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

الثاني : وما صبرك إلا لوجه الله .

﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إن لم يقبلوا .

الثاني : إن لم يؤمنوا .

﴿**ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون**﴾ قرأ ابن كثير ﴿ضيق﴾ بالكسر وقرأ الباقون بالفتح . وفي الفرق بينهما قولان :

أحدهما : أنه بالفتح ما قل، وبالكسر ما كثر، قاله أبو عبيدة .

الثاني : أنه بالفتح ما كان في الصدر، وبالكسر ما كان في الموضع الذي يتسع ويضيق، قاله الفراء .

قوله عزوجل : ﴿**إن الله مع الذين اتقَوا والذين هم محسـنون**﴾ اتقوا يعني فيما حرم الله عليهم. والذين هم محسنون فيما فرضه الله تعالى، فجمع في هذه الآية اجتناب المعاصي وفعل الطاعات .

وقوله :﴿**مع الذين اتقوا**﴾ أي ناصر الذين اتقوا .

وقال بعض أصحاب الخواطر: من اتقى الله في أفعاله أحْسَنَ إليه في أحواله، والله أعلم .



مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثماني آيات من قوله تعالى ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الى قوله ﴿سلطاناً نصيراً﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

قوله عزوجل: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** أما قوله **﴿سبحان﴾** ففيه تأويلان:

أحدهما: تنزيه الله تعالى من السوء، وقيل بل نزه نفسه أن يكون لغيره في إسراء عبده تأثير.

الثاني: معناه برأه الله تعالى من السوء، وقد قال الشاعر:[٣٦٠]

أقول لمّا جاءني فَخْرُه ... سبحان مِنْ علقمةَ الفاخِر

وهو ذكر تعظيم لله لا يصلح لغيره، وإنما ذكره الشاعر على طريق النادر، وهو

(٣٦٠) هو الأعشى والبيت في ديوانه: ١٤٣، مقاييس اللغة (٣/١٢٥)، أمالي ابن الشجري (١/٣٤٧) (٢/٥٠) خزانة الأدب (٢/٤١) (٣/٢٥١)، مجالس ثعلب (١/٢٦٠) الكتاب (١/١٦٣) معاني القرآن (١/٥٧).

من السبح في التعظيم وهو الجري فيه إلى أبعد الغايات. وذكر أبان بن ثعلبة أنها كلمة بالنبطية «شبهانك».

وقد ذكر الكلبي ومقاتل: إن ﴿سبحان﴾ في هذا الموضع بمعنى عجب، وتقدير الآية: عجب من الذي أسرى بعبده ليلاً، وقد وافق على هذا التأويل سيبويه وقطرب، وجعل البيت شاهداً عليه، وأن معناه عجبٌ من علقمة الفاخر. ووجه هذا التأويل أنه اذا كان مشاهدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل عجب، ومثله قول بشار:

تلقي بتسبيحةٍ مِنْ حيثما انصرفت ... وتستفزُّ حشا الرائي بإرعاد

وقد جاء التسبيح في الكلام على أربعة أوجه:

أحدها: أن يستعمل في موضع الصلاة، من ذلك قوله تعالى: **﴿فلولا أنه كان من المسبِّحينَ﴾** [الصافات: ١٤٣] أي من المصلين.

الثاني: أن يستعمل في الاستثناء، كما قال بعضهم في قوله تعالى: **﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾** [القلم: ٢٨] أي لولا تستثنون.

الثالث: النور، للخبر المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال[٣٦١] **«لأحرقت سبحات وجهه»** أي نور وجهه.

الرابع: التنزيه، روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح[٣٦٢] فقال: **«تنزيه الله تعالى عن السوء»**.

وقوله تعالى: **﴿أسرى بعبده﴾** أي بنبيه محمد ﷺ، والسُّرى: سير الليل، قال الشاعر[٣٦٣]:

وليلة ذات ندًى سَرَيت ... ولم يلتني مِنْ سُراها ليت

وقوله **﴿من المسجد الحرام﴾** فيه قولان:

---

(٣٦١) جزء من حديث رواه مسلم رقم ١٧٩ في الإيمان باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام من» حديث أبي موسى الأشعري.

(٣٦٢) رواه الطبري (٢/١٥) بسنده عن موسى بن طلحة عن النبي ﷺ أنه سئل عن التسبيح فذكره وهو هكذا مرسل وفي روح المعاني (٣/١٥) نقل أن الذي سأل هو طلحة فقال الآلوسي: ففي العقد الفريد عن طلحة قال سألت رسول الله ﷺ.

(٣٦٣) هو رؤبة بن العجاج والبيت في اللسان (ليت) والطبري (٢/١٥).

أحدهما: يعني من الحرم، والحرم كله مسجد. وكان ﷺ حين اسرى به نائماً في بيت ام هانىء بنت أبي طالب، روى ذلك أبو صالح عن أم هانىء (٣٦٤).

الثاني: أنه أسرى به من المسجد، وفيه كان حين أسرى به روى ذلك أنس بن مالك(٣٦٥).

ثم اختلفوا في كيفية إسرائه على قولين:

أحدهما: أنه أسريَ بجسمه وروحه (٣٦٦)، روى ذلك ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان.

واختلف قائلو ذلك هل دخل بيت المقدس وصلى فيه أم لا، فروى ابو هريرة أنه صلى فيه بالأنبياء(٣٦٧)، ثم عرج به إلى السماء، ثم رجع به الى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته.

وروى حذيفة بن اليمان (٣٦٨) أنه لم يدخل بيت المقدس ولم يُصلِّ فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به، ثم عاد إلى ملكه.

والقول الثاني: أن النبي ﷺ أسري بروحه ولم يسر بجسمه، روى ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت (٣٦٩): ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه.

وروى عن معاوية قال: (٣٧٠) كانت رؤيا من الله تعالى صادقة، وكان الحسن

---

(٣٦٤) وحديثها رواه الطبري (٢/١٥) وفي سنده محمد بن السائب الكلبي وهو متروك ساقط قال الهيثمي في المجمع (٧٦/١) رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك كذاب.

(٣٦٥) رواه مسلم (١٤٩/١) والطبري (٣/١٥) وقد جمع الحافظ ابن حجر من هذه الروايات بأنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانىء ثم أتاه الملكان فأيقظاه وأخذاه إلى الحطيم بجوار زمزم ثم توليا شق صدره وغسل قلبه وإيداع الحكمة والإيمان فيه.

(٣٦٦) وهو الصواب وعليه الجمهور من السلف والخلف راجع الشفا للقاضي عياض (٢٦٩/٢) والسيرة لابن كثير (١٠٤/٢).

(٣٦٧) رواه مسلم (١٥٧/١) وهذا القول هو الصواب.

(٣٦٨) رواه الطبري (١٥/١٥).

(٣٦٩) رواه ابن إسحاق في السيرة (٣٠٤/٢). وهذا باطل لأن عائشة لم تكن زوجته يومها.

(٣٧٠) ما عليه جمهور المسلمين أن الإسراء والمعراج حقيقة ثابتة بالروح والجسد فمن أنكر الإسراء فقد ضلَّ ومن أنكر المعراج فقد فسق.

يتأول قوله تعالى **﴿وما جَعَلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾** [الإسراء: ٦٠] أنها في المعراج، لأن المشركين كذبوا ذلك وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه فوصفه لهم،ثم ذكر لهم أنه رأى في طريقه قعباً(٣٧١) مغطى مملوءاً ماء، فشرب الماء ثم غطاه كما كان، ثم ذكر لهم صفة إبل كانت لهم في طريق الشام تحمل متاعاً، وأنها تقدُم يوم كذا مع طلوع الشمس،يقدمها جمل أورق(٣٧٢)؛ فخرجوا في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد أشرقت ولم تأت، وقال آخر: هذه والله العير يقدُمها جمل أورق كما قال محمد. وفي هذا دليل على صحة القول الأول أنه أسرى بجسمه وروحه(٣٧٣).

وقوله تعالى: **﴿الى المسجد الأقصى﴾** يعني بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود عليهما السلام. وسمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام.

ثم قال تعالى: **﴿الذي باركنا حوله﴾** فيه قولان:

أحدهما: يعني بالثمار ومجاري الأنهار.

الثاني: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين ولهذا جعله مقدساً.

وروى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال(٣٧٤) **«يقول الله تعالى: يا شام أنت**

---

(٣٧١) وهو إناء.

(٣٧٢) هو المختلط أبيض وأسود ورمادي اللون.

(٣٧٣) وهو الصواب كما سلف.

(٣٧٤) ورد مثله من حديث عبدالله بن حوالة الأزدي أنه قال يا رسول الله خرْ لي بلداً أكون فيه فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قربك شيئاً قال عليك بالشام فلما رأى كراهيتي للشام قال أتدري ما يقول الله في الشام إن الله عز وجل يقول يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي: - الله قد تكفل لي بالشام وأهله. قال الهيثمي في المجمع (٥٩/١٠) رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة ا هـ قلت وأشار الهيثمي في المجمع إلى أن أبا داود رواه باختصار قلت وهو في أبي داود رقم (٢٤٨٣) في الجهاد باب في سكنى الشام من حديث عبدالله بن حوالة وفي سياقه اختلاف يسير. وصححه الارناؤوط في جامع الأصول.

وأما حديث معاذ فلم أظفر بتخريجه ولكني رأيت في المجمع للهيثمي(٥٩/١٠)عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيران في المنزل فأومأ إلى الشام ثم سألاه فأومأ إلى الشام ثم سألاه فأومأ إلى الشام قال عليكما بالشام فإنها صفوة بلاد الله سكنها خيرية من خلقه فمن أبى فليلحق بمنه وليسق من غدره فإن الله تكفل لي بالشام وأهله قال الهيثمي رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة.

راجع مجمع الزوائد فإنه ذكر أحاديث كثيرة في فضل الشام (٥٧/١٠ ـ ٦٠).

صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي».

﴿لنريه من آياتنا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة، وهي مسيرة شهر.

الثاني: أنه أراه في هذا المسرى آيات.

وفيها قولان:

أحدهما: ما أراه من العجائب التي فيها اعتبار.

الثاني: من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحداً واحداً.

﴿إنه هو السميع البصير﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير.

الثاني: أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه، فقال: السميع يعني لما يقولونه من تصديق أو تكذيب، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

قوله عز وجل: **﴿وآتينا موسى الكتاب﴾** يعني التوراة.

﴿وجعلناه هدًى لبني إسرائيل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن موسى هدى لبني اسرائيل.

الثاني: أن الكتاب هدى لبني اسرائيل.

﴿ألّا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: شريكاً، قاله مجاهد.

الثاني: يعني ربّاً يتوكلون عليه في أمورهم، قاله الكلبي.

الثالث: كفيلاً بأمورهم، حكاه الفراء.

قوله عزوجل: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ يعني موسى وقومه من بني إسرائيل ذرية من حملهم الله تعالى مع نوح في السفينة وقت الطوفان.

﴿إنّه كان عبداً شكوراً﴾ يعني نوحاً، وفيه قولان:

أحدهما: أنه سماه شكوراً لأنه كان يحمد الله تعالى على طعامه، قاله سلمان.

الثاني: أنه كان لا يستجد ثوباً إلا حمد الله تعالى عند لباسه، قاله قتادة.

ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن نوحاً كان عبداً شكوراً فجعل الله تعالى موسى من ذريته.

الثاني: أن موسى كان عبداً شكوراً إذ جعله الله تعالى من ذرية نوح.

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾.

معنى قضينا ها هنا: أخبرنا.(٣٧٥)

ويحتمل وجهاً ثانياً: أن معناه حكمنا، قاله قتادة.

ومعنى قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أي قضينا عليهم.

﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ الفساد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً.

وفيمن قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان:

---

(٣٧٥) انظر معاني القضاء ذكرها الحافظ في الفتح (٨/٣٨٩).

أحدهما: أنه زكريا قاله ابن عباس.

الثاني: أنه شعيا[٣٧٦]، قاله ابن إسحاق، وأن زكريا مات حتف أنفه.

أما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني فيحيى بن زكريا في قول الجميع قال مقاتل: وإن كان بينهما مائتا سنة وعشر.

﴿فإذا جاء وعْد أولاهما﴾ يعني أولى المرتين من فسادهم.

﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ﴾ في قوله بعثنا وجهان:

أحدهما: خلينا بينكم وبينهم خذلاناً لكم بظلمكم، قاله الحسن.

الثاني: أمرنا بقتالكم انتقاماً منكم.

وفي المبعوث عليهم في هذه المرة الأولى خمسة أقاويل:

أحدها: جالوت وكان ملكهم طالوت إلى أن قتله داود عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: أنه بختنصر[٣٧٧]، وهو قول سعيد بن المسيب.

الثالث: أنه سنحاريب[٣٧٨]، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنهم العمالقة وكانوا كفاراً، قاله الحسن.

الخامس: أنهم كانوا قوماً من أهل فارس يتجسسون أخبارهم، وهو قول مجاهد.

﴿... فجاسوا خلال الديار﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني مشوا وترددوا بين الدور والمساكن، قال ابن عباس وهو أبلغ في القهر.

الثاني: معناه فداسوا خلال الديار، ومنه قول الشاعر:

إِلَـيْكَ جُسْـتُ اللَّـيْلَ بِـالمَطِيِّ

الثالث: معناه فقتلوهم بين الدور والمساكن، ومنه قول حسان بن ثابت:

ومِنَّا الَّذِي لاقَـى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ ... فَجَاس بِهِ الأَعْدَاءَ عَرْضَ العَسَاكِرِ[٣٧٩]

---

(٣٧٦) وخبره مطولاً رواه الطبري (١٥/٢٢، ٢٣) واسمه في الكتاب العبراني «أشعياء بن آموص».

(٣٧٧) وهو ملك من ملوك الكلدانيين فتح القدس وأحرقها. وأجلى بني إسرائيل الى مدينة بابل.

(٣٧٨) وهو ملك آشور بن سنجور وخليفته حمل على بلاد الكلدانيين واليهود وأرمينية.

(٣٧٩) وأنشده الفراء لحسان كما في فتح القدير (٣/٢٠٩)، الطبري (١٥/٢٨).

الرابع: معناه فتشوا وطلبوا خلال الديار، قاله أبو عبيدة.

الخامس: معناه نزلوا خلال الديار، قاله قطرب، ومنه قول الشاعر:

فَجُسنا ديارهم عَنْوَةً وأبنا بساداتهم موثقينا[٣٨٠]

قوله عزوجل: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ يعني الظفر بهم، وفي كيفية ذلك ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن بني إسرائيل غزوا ملك بابل واستنقذوا ما في يديه من الأسرى والأموال.

الثاني: أن ملك بابل أطلق من في يده من الأسرى، وردّ ما في يده من الأموال.

الثالث: أنه كان بقتل جالوت حين قتله داود.

﴿وأمددناكم بأموالٍ وبنين﴾ بتجديد النعمة عليهم.

﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أكثر عزاً وجاهاً منهم.

الثاني: أكثر عدداً، وكثرة العدد تنفر عدوهم منهم، قال تُبع بن بكر[٣٨١]:

فأكرِم بقحْطَانَ مِن وَالِدٍ وحِمْيَرَ أكْرِم بقَوْمٍ نَفِيراً

قال قتادة: فكانوا بها مائتي سنة وعشر سنين، وبعث فيهم أنبياء.

قوله عزوجل: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ لأن الجزاء بالثواب يعود إليها، فصار ذلك إحساناً لها.

﴿وإن أسأتُم فلها﴾ أي فإليها ترجع الإساءة لما يتوجه إليها من العقاب، فرغّب في الإحسان وحذر من الإساءة.

ثم قال تعالى: ﴿فإذا جاءَ وعْدُ الآخرة ليسوءُوا وجُوهكم﴾ يعني وعد المقابلة على فسادهم في المرة الثانية. وفيمن جاءهم فيها قولان:

أحدهما: بختنصّر، قاله مجاهد.

---

(٣٨٠) فتح القدير (٣/٢٠٩).

(٣٨١) روح المعاني (١٥/١٩).

الثاني: أنه انطياخوس[٣٨٢] الرومي ملك أرض[٣٨٣] نينوى، وهو قول مقاتل، وقيل إنه قتل منهم مائة ألف وثمانين ألفاً، وحرق التوراة وأخرب بيت المقدس، ولم يزل على خرابه حتى بناه المسلمون.

﴿وليدخلوا المسجد كما دَخلوه أوّل مرّة﴾ يعني بيت المقدس.

﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أنه الهلاك والدمار.

الثاني: أنه الهدم والإخراب، قاله قطرب. ومنه قول لبيد:

وما النَّاسُ إلا عَامِلان فَعَامِلٌ يُتَبِّرُ مَا يَبْنِي وَآخَرُ رَافِعٌ

قوله عزوجل: ﴿عسى ربُّكم أن يرحمكم﴾ يعني مما حل بكم من الانتقام منكم.

﴿وإن عدتم عدنا﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام، فعادوا. قال ابن عباس وقتادة: فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة.

الثاني: إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى القبول، قاله بعض الصالحين.

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: يعني فراشاً ومهاداً، قاله الحسن: مأخوذ من الحصير المفترش.

الثاني: حبساً يحبسون فيه، قاله قتادة، مأخوذ من الحصر وهو الحبس. والعرب تسمي الملك حصيراً لأنه بالحجاب محصور، قال لبيد:[٣٨٤]

ومقامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

قوله عزوجل: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ فيها تأويلان:

(٣٨٢) وفي الدر المنثور (٥/٢٤٣) «ايطنا نحوس» وفي الطبري (١٥/٢٢) ابطيانحوس.

(٣٨٣) والتي منها نبي الله يونس على نبيناوعليه أفضل الصلاة والسلام كما أخبره بذلك الصادق المصدوق.

(٣٨٤) ديوانه (٢٩) وفيه «طرف الحصير» ومجاز القرآن ص ٣٧١ واللسان قوم والطبري (١٥/٤٥).

أحدهما: شهادة أن لا إله إلا الله، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: ما تضمه من الأوامر والنواهي التي هي أصوب، قاله مقاتل.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ويدعو الإنسان بالشر دُعاءَه بالخير﴾ فيه وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يطلب النفع في العاجل بالضر العائد عليه في الآجل.

الثاني: أن يدعو أحدهم على نفسه أو ولده بالهلاك، ولو استجاب دعاءه بهذا الشر كما استجاب له بالخير لهلك.

﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: عجولاً في الدعاء على نفسه وولده وما يخصه، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد.

الثاني: أنه عنى آدم حين نفخ فيه الروح، حتى بلغت الى سُرّته فأراد أن ينهض عجلاً، وهذا قول إبراهيم والضحاك.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها ظلمة الليل التي لا نبصر فيها الطرقات كما لا نبصر ما محي من الكتاب، وهذا من أحسن البلاغة، وهو معنى قول ابن عباس.

الثاني: أنها اللطخة السوداء التي في القمر، وهذا قول علي وقتادة ليكون ضوء القمر أقل من ضوء الشمس فيميز به الليل من النهار.

﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الشمس مضيئة للأبصار.

الثاني: موقظة.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ فيه قولان:

أحدهما: ألزمناه عمله من خير أو شر[٣٨٥] مثل ما كانت العرب تقوله سوانح الطير وبوارحه. والسانح: [٣٨٦] الطائر يمر ذات اليمين وهو فأل خير، والبارح: الطائر يمر ذات الشمال وهو فأل شر، وأضيف إلى العنق[*]..

الثاني: أن طائره حظه ونصيبه، من قول العرب: طار سهم فلان إذا خرج سهمه ونصيبه منه، قاله أبو عبيدة.

﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ يعني كتاب طائره الذي في عنقه من خير أو شر.

ويحتمل نشر كتابه الذي يلقاه وجهين:

أحدهما: تعجيلاً للبشرى بالحسنة، والتوبيخ بالسيئة.

الثاني: إظهار عمله من خير أو شر.

﴿اقرأ كتابك﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لما في قراءته من زيادة التقريع والتوبيخ.

والثاني: ليكون إقراره بقراءته على نفسه.

﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فيه قولان:

أحدهما: يعني شاهداً.

والثاني: يعني حاكماً بعملك من خير أو شر. ولقد أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك بعملك[٣٨٧].

---

(٣٨٥) وقد ورد حديث مرفوع في ذلك من حديث جابر مرفوعاً في تفسير قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «طائر كل إنسان في عنقه» رواه أحمد (٣/٣٤٢، ٣٤٩، ٣٦٠) وفي سنده ابن لهيعة وعنعنة ابن الزبير لكن توبع كما عند ابن جرير (١٥/٣٩) والحديث صححه الألباني في السلسلة برقم ١٩٠٧.

(٣٨٦) وكانوا يتشاءمون بها في الجاهلية.

(*) هنا عبارة مطموسة بالأصل.

(٣٨٧) هنا عبارة مطموسة في الأصل قلت ولعلها «قاله الحسن» فإن هذا القول الذي ساقه المؤلف هنا جزء من قول الحسن بل من أحسن كلام الحسن كما قال الحافظ ابن كثير (٣/٥٨).

﴿مَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾

قوله عزوجل: ﴿مَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ يعني لما يحصل له من ثواب طاعته.

﴿ومَن ضلّ فإنما يضل عليها﴾ يعني لما يحصل عليه من عقاب معصيته.

﴿ولا تزر وازِرةٌ وزر أخرى﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره.

الثاني: لا يجوز لأحد أن يعصى لمعصية غيره.

الثالث: لا يأثم أحد بإثم غيره.

ويحتمل رابعاً: أن لا يتحمل أحد ذنب غيره ويسقط مأثمه عن فاعله.

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كنا معذبين على الشرائع الدينية حتى نبعث رسولاً مبيناً، وهذا قول من زعم أن العقل تقدم الشرع(٣٨٨).

الثاني: وما كنا معذبين على شيء من المعاصي حتى نبعث رسولاً داعياً، وهذا قول من زعم أن العقل والشرع جاءا معاً(٣٨٩).

وفي العذاب وجهان:

أحدهما: عذاب الآخرة. وهو ظاهر قول قتادة.

الثاني: عذاب الاستئصال في الدنيا، وهو قول مقاتل(٣٩٠).

---

(٣٨٨) وهو قول المعتزلة وقد ترتب على هذا القول أن العبد معاقب قبل ورود الشرع استناداً إلى أن العقل يحسن ويقبح.

(٣٨٩) قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٩) والتحقيق أن سبب العذاب قائم قبل البعثة ولكن لا يلزم من وجود سبب العذاب حصوله لأن هذا السبب قد نصب الله تعالى له شرطاً وهو بعثه الرسل وانتفاء التعذيب قبل البعثة هو لانقضاء شرطه لا لعدم سببه ومقتضيه.

وقال في (٢/ ٨) «وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت للعقل في نفسه وأن لا يعذب عليه إلا الله بعد إقامة الحجة بالرسالة وهذه النكتة هي التي فاتت المعتزلة والكلابية كليهما فاستطالت كل طائفة منها على الأخرى لعدم جمعهما بين هذين الأمرين».

(٣٩٠) ولا مانع من حمل الآية على نفي العذاب الدنيوي والأخروي ونقله الشوكاني في فتح القدير عن طائفة =

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . .﴾ الآية في قوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه إذا أردنا أن نحكم بهلاك قرية.

والثاني: معناه وإذا أهلكنا قرية، وقوله ﴿أردنا﴾ صلة زائدة كهي في قوله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ [الكهف: ٧٧].

الثالث: أنه أراد بهلاك القرية فناء خيارها وبقاء شرارها.

﴿أمرنا مترفيها﴾ الذي عليه الأئمة السبعة من القراء أن أمرنا مقصور مخفف، وفيه وجهان:

أحدهما: أمرنا مترفيها بالطاعة[٣٩١]، لأن الله تعالى لا يأمر إلا بها، ﴿ففسقوا فيها﴾ أي فعصوا بالمخالفة، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه: بعثنا مستكبريها، قاله هارون، وهي في قراءة أبيٍّ: بعثنا أكابر مجرميها.

وفي قراءة[٣٩٢] ثانية ﴿أمّرنا مترفيها﴾ بتشديد الميم، ومعناه جعلناهم أمراء مسلطين، قاله أبو عثمان النهدي.

وفي قراءة ثالثة ﴿آمَرْنا مُترفيها﴾ ممدود، ومعناه أكثرنا عددهم، من قولهم آمر

= من أهل العلم (٣/٢١٤) وهاك نص عبارته «والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وبه قالت طائفة من أهل العلم وذهب الجمهور إلى أن المنفي هنا هو عذاب الدنيا لا عذاب الآخرة».

(٣٩١) وقد قدر بعضهم أمرنا بالطاعة فعصونا وفسقوا فيهـا لكن قال ابن القيم في شفاء العليل ص ٤٨ «لا حاجة إلى تكلف تقدير امرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر ههنـا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع لوجوه احدها أن المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول امرته فقام وأمرته فأكل كما لو صرح بلفظه افعل كقوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ وهذا كما تقول دعوته فأقبـل وقال تعالى ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ والثاني أن الأمر بالطاعة لا يخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط فائدة ذكر المترفين فإن جميـع المبعوث إليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين على إهلاك جميعهم الثالث.

(٣٩٢) وهي قراءة أبي العالية والنخعي والجحدري زاد المسير (١٩/٥).

القوم إذا كثروا، لأنهم مع الكثرة يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم. ومنه قول النبي ﷺ [٣٩٣]«خير المال مهرة مأمورة أو سُكة مأبورة». [٣٩٤] أي كثيرة النسل، وقال لبيد:

إن يغبطوا يهبطوا وإن أَمِروا　　يوماً يصيروا إلى الإهلاك والنكد

وهذا قول الحسن وقتادة.

وفي ﴿مترفيها﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: جباروها(*)، قاله الحسن.

الثاني: رؤساؤها، قاله علي بن عيسى.

الثالث: فساقها، قاله مجاهد. [٣٩٥]

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾

قوله عزوجل: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نُوح﴾ واختلفوا في مدة القرن على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مائة وعشرون سنة، قاله عبدالله بن أبي أوفى.

الثاني: أنه مائة سنة، قاله عبدالله بن بُسْر المازني [٣٩٦].

---

(٣٩٣) رواه أحمد (٤٦٨/٣) والبغوي (٣٨٧/١٠) والطبراني كما في المجمع (٢٥٨/٥) وحديث سويد بن هبيرة التابعي قال الهيثمي رجال أحمد ثقات وقد صحح الحديث العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة برقم. بل ضعفه في ضعيف الجامع لإرساله.

(٣٩٤) سكه مأبورة: هي الطريقة المصطفة المستوية من النخل والمأبورة التي قد أبرت ونقحت وسميت الأزقة سككاً لاصطفاف الدور فيها شرح السنة للبغوي (٣٨٧/١٠).

(٣٩٥) ديوانه ص ١٩ وفي الشطر الثاني «للملك والنكد» والطبري (٥٦/١٥) وفيه «للقل والنكد» وفي فتح القدير للشوكاني (٢١٤/٣) للهلاك والفند.

(*) وفي نسخه للمخطوطة قال الطبري.

(٣٩٦) وقد رواه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ كما رواه الطبري (٥٨/١٥).

الثالث: أنه أربعون سنة، روى ذلك محمد بن سيرين عن النبي ﷺ.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّكَ**﴾ يعني البر والفاجر من عطاء ربك في الدنيا دون الآخرة.

﴿**وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: منقوصاً، قاله قتادة.

الثاني: ممنوعاً، قاله ابن عباس.[٣٩٧]

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿**وقضى ربُّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه**﴾ معناه وأمر ربك، قاله ابن عباس والحسن وقتادة. وكان ابن مسعود وأبيّ بن كعب يقرآن ﴿**ووصى ربك**﴾ قاله الضحاك[٣٩٨]، وكانت في المصحف: ﴿**ووصى ربك**﴾ لكن ألصق الكاتب الواو فصارت ﴿**وقضى ربك**﴾.

---

(٣٩٧) وهو من مرسلات ابن سيرين رحمه الله رواه الطبري (١٥/٥٨)

(٣٩٨) ولكن هذا الأثر لم يصح عن الضحاك فقد رواه ابن جرير (١٥/٦٣) وفي سنده أبو إسحاق الكوفي وهو عبدالله بن ميسرة الحارثي ضعفه ابن معين وأحمد بن حنبل والنسائي والدارقطني وقال ابن أبي حاتم ليس بشيء وقال ابن حيان لا يحل الاحتجاج بخبره وهشيم الراوي عن ابن إسحاق ثقة مدلس وقد عنعن هنا. قلت وقد ورد عن ابن عباس مثل ما ورد عن الضحاك لكن قال العلامة الآلوسي في روح المعاني وهذا إن صح عجيب من ابن عباس ولاندفاع المحذور يحمل القضاء على الأمر ولا أقل... الخ (١٥/٢٧٤).

قال الحافظ في الفتح (٨/٣٨٩) وتفسير ﴿قضى ربك ألا تعبدوا﴾ بمعنى وصى منقول من مصحف =

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ معناه ووصى بالوالدين إحساناً، يعني أن يحسن إليهما بالبر بهما في الفعل والقول.

﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يبلغن كبرك وكمال عقلك.

الثاني: يبلغان كبرهما بالضعف والهرم.

﴿فلا تقل لهما أفٍّ﴾ يعني حين ترى منهما الأذى وتميط عنهما الخلا، وتزيل عنهما القذى فلا تضجر، كما كانا يميطانه عنك وأنت صغير من غير ضجر.

وفي تأويل ﴿أف﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كل ما غلظ من الكلام وقبح، قاله مقاتل.

الثاني: أنه استقذار الشيء وتغير الرائحة، قاله الكلبي.

الثالث: أنها كلمة تدل على التبرم والضجر، خرجت مخرج الأصوات المحكية. والعرب تقول أف وتف، فالأف وسخ الأظفار، والتُّف ما رفعته من الأرض بيدك من شيء حقير.

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليناً.

والآخر: حسناً. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ٢٥﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . إنه كان للأوّابين غفوراً﴾ فيهم خمسة(٣٩٩) أقاويل:

أحدها: أنهم المحسنون، وهذا قول قتادة.

= أبي بن كعب أخرجه الطبري أيضاً (١٥/ ٦٢) وأخرجه أيضاً (١٥/٦٢) من طريق قتادة قال هي في مصحف ابن مسعود ووصى ومن طريق مجاهد في قوله وقضى قال وأوصى ومن طريق الضحاك أنه قرأ ووصى قال ألصقت الواو بالصاد فصارت قافاً فقرئت وقضى كذا وقال واستنكروه منه.

(٣٩٩) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٢٦) خمسة أوجه أخرى.

والثاني: أنهم الذين يصلّون بين المغرب والعشاء،وهذا قول ابن المنكدر[٤٠٠] يرفعه.

الثالث: هم الذين يصلون الضحى، وهذا قول عون العقيلي.

والرابع: أنه الراجع عن ذنبه الذي يتوب، وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد.

والخامس: أنه الذي يتوب مرة بعد مرة، وكلما أذنب بادر بالتوبة وهذا قول سعيد بن المسيب.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

قوله عزوجل: **﴿وإما تعرضَنَّ عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربّك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** فيه تأويلان:

أحدهما: معناه إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكره لتعذره عندك **﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾** أي انتظاراً للرزق منه **﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** أي عِدْهم خيراً ورد عليهم رداً جميلاً، وهذا قول الحسن ومجاهد.

الثاني: معناه إذا أعرضت عمن سألك حذراً أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولاً ميسوراً، أي ليناً سهلاً، وهذا قول ابن زيد.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

قوله عزوجل: **﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** أي ويقتر ويقلل.

﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: خبيراً بمصالحهم بصيراً بأمورهم.

والثاني: خبيراً بما أضمروا بصيراً بما عملوا.

---

(٤٠٠) لكنه مرسل كما ترى ورواه ابن جرير (١٥/ ٦٩).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ﴾ يعني وأد البنات أحياء خيفة الفقر.

﴿نحن نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾.

والخِطءُ العدول عن الصواب بعمد، والخطأ العدول عنه بسهو، فهذا الفرق بين الخِطْءِ والخطأ، وقد قال الشاعر[٤٠١]:

الـخِطْءُ فـاحـشـةٌ والـبِـرُّ نـافِـلـةٌ   كعَجْـوةٍ غـرسَتْ في الأرض تـؤتَبـرُ

الثاني: أن الخطء ما كان إثماً، والخطأ ما لا إثم فيه، وقرأ الحسن خطاء بالمد[٤٠٢].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حَرَّم الله إلاّ بالحق﴾ يعني إلا بما تستحق به القتل.

﴿ومَن قُتِل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه القود، قاله قتادة.

الثاني: أنه الخيار بين القود أو الدية أو العفو، وهذا قول ابن عباس والضحاك.

الثالث: فقد جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه.

﴿فلا يُسْرِف في القَتل﴾ فيه قولان:

أحدهما: فلا يسرف القاتل الأول في القتل تعدياً وظلماً، إن وليّ المقتول كان منصوراً، قاله مجاهد.

الثاني: فلا يسرف وليّ المقتول في القتل.

---

(٤٠١) الطبري (١٥/٧٩) ولم ينسبه.

(٤٠٢) وهي قراءة ابن كثير كما في المبسوط ص ٤٦٨.

وفي إسرافه أربعة أوجه:

أحدها: أن يقتل غير قاتله، وهذا قول طلق بن حبيب.

الثاني: أن يمثل اذا اقتص، قاله ابن عباس.

الثالث: أن يقتل بعد أخذ الدية، قاله يحيى.

الرابع: أن يقتل جماعة بواحد، قاله سعيد بن جبير وداود.

﴿إنه كان منصوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الولي كان منصوراً بتمكينه من القود، قاله قتادة.

الثاني: أن المقتول كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن﴾ وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج، والطمع في ماله أكثر. وفي قوله ﴿إلاّ بالتي هي أحسن﴾ قولان:

أحدهما: حفظ أصوله وتثمير فروعه، وهو محتمل.

الثاني: أن التي هي أحسن التجارة له بماله.

﴿حتى يَبْلُغَ أشدَّه﴾ وفي الأشد وجهان:

أحدهما: أنه القوة.

الثاني: المنتهى.

وفي زمانه ها هنا قولان:

أحدهما: ثماني عشرة سنة.

والثاني: الاحتلام مع سلامة العقل وإيناس الرشد[٤٠٣].

﴿وأوفوا بالعهد﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

---

(٤٠٣) راجع تفسير قوله تعالى ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾.. الآية في سورة النساء.

أحدها: أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها، وهذا قول أبي[٤٠٤] جعفر الطبري.

الثاني: أنه العهد في الوصية بمال اليتيم يلزم الوفاء به.

الثالث: أنه كل ما أمر الله تعالى به أو نهى فهو من العهد الذي يلزم الوفاء به[٤٠٥].

﴿إن العهد كان مسئولاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن العهد كان مطلوباً، قاله السدي.

الثاني: أن العهد كان مسئولا عنه الذي عهد به، فيكون ناقض العهد هو المسئول.

الثالث: أن العهد نفسه هو المسئول بم نقِضت، كما تُسأل الموؤدة بأي ذنب قتلت.

قوله عزوجل: ﴿. . . وزِنُوا بالقسطاس المستقيم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه القبان. قاله الحسن.

الثاني: أنه الميزان صغر أو كبر، وهذا قول الزجاج.

الثالث: هو العدل.

واختلف من قال بهذا على قولين:

أحدهما: أنه رومي، قاله مجاهد.

الثاني: أنه عربي مشتق من القسط، قاله ابن درستويه.

﴿ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحسن باطناً فيكون الخير ما ظهر، وحسن التأويل ما بطن.

الثاني: أحسن عاقبة، تأويل الشيء عاقبته.

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

---

(٤٠٤) جامع البيان (١٥/٨٤).

(٤٠٥) وهذا القول أرجح لأنه أعم فيدخل فيه العهد بين الله وعباده وبين العباد وبعضهم من شراء وبيع وعقود ونكاح وأمانة وغير ذلك.

قوله عزوجل: ﴿ولا تقف ما ليس لك به عِلْمٌ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:
أحدها: معناه لا تقل ما ليس لك به علم فلا تقل رأيت، ولم تر، ولا سمعت، ولم تسمع، ولا علمت ولم تعلم[٤٠٦]. وهذا قول قتادة.
الثاني: معناه ولا ترم أحد بما ليس لك به علم، وهذا قول ابن عباس. ومنه قول النبي ﷺ: [٤٠٧] «نحن بني النضر بن كنانة لا نقْفُو أمنا ولا ننتفي من أبينا».
الثالث: أنه من القيافة وهو اتباع الأثر، وكأنه يتبع قفا المتقدم، قال الشاعر[٤٠٨]:

وِمِثْلُ الدُّمى شُمُّ العَرَانِينِ سَاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

أي التقاذف.
﴿إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أُولئك كان عنه مسئولاً﴾ يحتمل وجهين:
أحدهما: أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية.
الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد تُسأل عن الإنسان ليكونوا شهوداً عليه، وله، بما فعل من طاعة وما ارتكب من معصية. ويجوز أن يقال أولئك لغير الناس، كما قال جرير[٤٠٩]:

---

(٤٠٦) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/٢٢٧) «إن هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن كالعمل بالعام وبخبر الواحد والعمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة وفي جزاء الصيد ونحو ذلك... إلى أن قال.. وأما التوثب على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب والسنة ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فجاء برأيه فهو داخل تحت هذا النهي دخولاً أولياً لأنه محض رأي في شرع الله وبالناس عن غنى بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله ﷺ» اهـ.

(٤٠٧) رواه ابن ماجه (٢/٢٦) وأحمد (٥/٢١١، ٢١٢) والطيالسي (١٠٤٩) واللفظ الآتي له من حديث الأشعث بن قيس قال قلت يا رسول الله إنا نزعم أنامنكم أو أنكم منا فقال رسول الله ﷺ نحن بنو النضر ابن كنانة لا ننتفي من أبينا ولا نقفو أمنافقال الأشعث لا أجد أحداً أو أوتى بأحد نفى قريشاً من كنانة إلا جلدته الحد» قال العلامة البوصيري في الزوائد عن إسناد ابن ماجه هذا إسناد صحيح رجالة ثقات لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم.

(٤٠٨) هو النابغة الجعدي والبيت في مجاز القرآن (١/٣٧٩) واللسان (قفو) والطبري (١٥/٧٨).

(٤٠٩) ديوانه: ٥٥١، والطبري (١٥/٨٧) والنقائض (١/٢٥٦) والقرطبي (١٠/٢٦٠).

ذُمَّ المنازِلِ بَعْدَ منزلةِ اللِّوى والْعَيْشَ بَعْدَ أولئكَ الأَيَّامِ

وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

قوله عزوجل: ﴿ولا تمش في الأرض مَرَحاً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن المرح شدة الفرح بالباطل.

الثاني: أنه الخيلاء في المشي، قاله قتادة.

الثالث: أنه البطر والأشر.

الرابع: أنه تجاوز الإنسان قدره.

الخامس: التكبر في المشي.

﴿إنّك لن تخرِقَ الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال طولاً بتطاولك زجراً له عن تجاوزه الذي لا يدرك به غرضاً.

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى له، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك، ولن تبلغ الجبال طولاً فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك، إياساً له من بلوغ إرادته.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

قوله عز وجل: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال.

الثاني: غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها.

﴿ليذكروا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ليذكروا الأدلة.

الثاني: ليهتدوا إلى الحق.

﴿وما يزيدهم الا نفوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: نفوراً عن الحق والاتباع له.

الثاني: عن النظر والاعتبار. وفي الكلام مضمر محذوف، وتقديره ولقد صرفنا الأمثال في هذا القرآن.

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

قوله عزوجل: ﴿قل لو كان مَعَهُ آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لطلبوا إليه طريقاً يتصلون به لأنهم شركاء؛ قاله سعيد بن جبير.

الثاني: ليتقربوا إليه لأنهم دونه، قاله قتادة.

تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

قوله عزوجل: ﴿وإن من شيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وإن من شيء من الأحياء الا يسبح بحمده، فأما ما ليس بحي فلا، قاله الحسن.

الثاني: إن جميع المخلوقات تسبح له من حي وغير حي حتى صرير الباب(٤١٠)، قاله إبراهيم.

الثالث: أن تسبيح ذلك ما يظهر فيه من لطيف صنعته وبديع قدرته الذي يعجز الخلق عن مثله فيوجب ذلك على من رآه تسبيح الله وتقديسه، كما قال الشاعر:

تُلْقِي بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَيْثُما انْصَرَفَتْ ... وتَسْتَقِرُّ حَشَا الـرَّائِي بـإِرْعَـادِ

كَـأَنَّمَا خُلِقَتْ مِن قِشْـرِ لُؤْلُؤَةٍ ... فَكُـلُّ أَكْنَافِهـا وَجْـهٌ لِمِـرْصَـادِ

(٤١٠) وتسبيح كل شيء بحسبه وهو تسبيح حقيقي لا نفقه كما قال ربنا.

﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾** فيه وجهان:

أحدهما: أي جعلنا القرآن حجاباً ليسترك عنهم إذا قرأته.

الثاني: جعلنا القرآن حجاباً يسترهم عن سماعه إذا جهرت به. فعلى هذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لإعراضهم عن قراءتك كمن بينك وبينهم حجاباً في عدم رؤيتك. قاله الحسن.

والثاني: أن الحجاب المستور أن طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه، قاله قتادة.

الثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يؤذونه في الليل إذا قرأ، فحال الله بينه وبينهم من الأذى، قاله الزجاج.

﴿مستوراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه.

الثاني: أن الحجاب ساتر عنكم ما وراءه، ويكون مستور بمعنى ساتر، وقيل إنها نزلت في بني عبد الدار.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾** في هذه النجوى قولان:

أحدهما: أنه ما تشاوروا عليه في أمر النبي ﷺ في دار الندوة.

الثاني: أن هذا في جماعة من قريش منهم الوليد بن المغيرة كانوا يتناجون بما ينفّرون به الناس عن اتباعه ﷺ. قال قتادة: وكانت نجواهم أنه مجنون، وأنه ساحر، وأنه يأتي بأساطير الأولين.

﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجُلاً مسحوراً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه سحر فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك تنفيراً عنه.

الثاني: ان معنى مسحور مخدوع، قاله مجاهد.

الثالث: معناه أن له سحراً، أي رئة، يأكل ويشرب فهو مثلكم وليس بملك، قاله أبو عبيدة، ومنه قول لبيد (٤١١):

فَإنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هذَا الأَنَامِ الْمُسَحَّرِ

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

قوله عزوجل: ﴿وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: أن الرفات التراب، قاله الكلبي والفراء.

الثاني: أنه ما أرفت من العظام مثل الفتات، قاله أبو عبيدة، قال الراجز:

صُمَّ الصَّفَا رَفَتَ عَنْهَا أَصْلُهُ

قوله عزوجل: ﴿قل كونوا حجارةً أو حديداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: معناه إن عجبتم من إنشاء الله تعالى لكم عظاماً ولحماً فكونوا أنتم حجارة أو حديداً إن قدرتم، قاله(٤١٢) أبو جعفر الطبري.

---

(٤١١) اللسان: سحر، ديوانه ٥٦، مجاز القرآن (١/٣٨١)، البيان والتبيين (١/١٨٩)، الطبري(١٥/٩٦)، القرطبي (١٠/٣٧٣) الحيوان (٥/٣٢٩).

(٤١٢) جامع البيان (١٥/٩٧).

الثاني: معناه أنكم: لو كنتم حجارة أو حديداً لم تفوتوا الله تعالى إذا أرادكم إلا أنه أخرجه مخرج الأمر لأنه أبلغ من الإلزام، قاله علي بن عيسى.

الثالث: معناه لو كنتم حجارة أو حديداً لأماتكم الله ثم أحياكم.

﴿أو خَلْقاً ممّا يكبر في صدوركم﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنه عنى بذلك السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس، قاله مجاهد.

الثاني: أنه أراد الموت لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه وقد قال أمية بن أبي الصلت:

نادوا إلٰهَهُمُ ليسرع خلقهم ... وللموت خلق للنفوس فظيعُ

وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص.

الثالث: أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدورهم قاله الكلبي.

الرابع: ما يكبر في صدوركم من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى، فإن الله يميتكم ثم يحييكم ثم يبعثكم، قاله قتادة[٤١٣].

﴿... فسينغضون إليك رءُوسَهُم﴾ قال ابن عباس وقتادة، أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً، قال الشاعر[٤١٤]:

قلت لها صلي فقالت مِضِّ ... وحركت لي رأسها بالنغضِ

قوله عزوجل: ﴿يَوْمَ يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ في قوله تعالى يدعوكم قولان:

أحدهما: أنه نداء كلام يسمعه جميع الناس يدعوهم الله بالخروج فيه إلى أرض المحشر.

الثاني: أنها الصيحة التي يسمعونها فتكون داعية لهم إلى الاجتماع في أرض القيامة.

---

(٤١٣) فائدة: قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٥/٤٤) فإن قيل كيف قيل لهم ﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾ وهم لا يقدرون على ذلك ففيه جوابان أحدهما: إن قدرتم على تغيّر حالاتكم فكونوا حجارة أو أشدّ منها فإنا نميتكم وننفّذ أحكامنا فيكم ومثل هذا قولك للرجل اصعد إلى السماء فإني لاحقك والثاني تصوروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها فإنّا سنبيدكم.

(٤١٤) اللسان (مضض).

وفي قوله: ﴿فتستجيبون بحمده﴾ أربعة أوجه:

أحدهـا: فتستجيبون حامدين لله تعالى بألسنتكم.

الثاني: فتستجيبون على ما يقتضي حمد الله من أفعالكم.

الثالث: معناه فستقومون من قبوركم بحمد الله لا بحمد أنفسكم.

الرابع: فتستجيبون بأمره، قاله سفيان وابن جريج.

﴿وتظنون إن لبثتم إلاّ قليلاً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إن لبثتم إلا قليلاً في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة، قاله الحسن.

الثاني: معناه الاحتقار لأمر الدنيا حين عاينوا يوم القيامة، قاله قتادة.

الثالث: أنهم لما يرون من سرعة الرجوع يظنون قلة اللبث في القبور.

الرابع: أنهم بين النفختين يرفع عنهم العذاب فلا يعذبون، وبينهما أربعون سنة فيرونها لاستراحتهم قليلة؛ قاله الكلبي.

الخامس: أنه لقرب الوقت، كما قال الحسن كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾

قوله عزوجل: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه تصديق النبي ﷺ فيما جاء به.

﴿إنّ الشيطان ينزغُ بينهم﴾ في تكذيبه.

الثاني: أنه امتثال أوامر الله تعالى ونواهيه، قاله الحسن.

الثالث: أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابع: أن يرد خيراً على من شتمه.

وقيل إنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من بعض كفار قريش، فهم به عمر، فأنـزل الله تعالى فيـه ﴿وقل لعبـادي يقولـوا التي هي أحسن﴾.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ ﴿٥٤﴾

قوله عزوجل: ﴿إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: إن يشأ يرحمكم بالهداية أو يعذبكم بالإضلال.

الثاني: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أعدائكم أو يعذبكم بتسلطهم عليكم، قاله الكلبي.

الثالث: إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو يعذبكم بالإقامة(٤١٥)، قاله الحسن.

﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما وكلناك أن تمنعهم من الكفر بالله سبحانه، وتجبرهم على الإيمان به.

الثاني: ما جعلناك كفيلاً لهم تؤخذ بهم، قاله الكلبي، قال الشاعر:

ذكرت أبا أرْوَى فَبِتُّ كأنني ... بِرَدِّ الأمور الماضيات وكيلُ(٤١٦)

وكيل: أي كفيل.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقْرَبُ﴾ الآية فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في نفر من الجن كان يعبدهم قوم من الإنس، فأسلم الجن ابتغاء الوسيلة عند ربهم، وبقي الإنس على كفرهم؛ قاله عبد الله بن مسعود(٤١٧).

---

(٤١٥) أي بالإقامة والإصرار عليها.

(٤١٦) أورده في فتح القدير (٣/٢٣٥).

(٤١٧) قال الشوكاني رحمه الله (٣/٢٣٧) «وهذا رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على أنها =

الثاني: أنهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب، وهذا مروي عن ابن مسعود أيضاً.

الثالث: هم وعيسى وأُمُّهُ، قاله ابن عباس ومجاهد(*). وهم المعنيّون بقوله تعالى ﴿قلِ ادعُوا الذين زعمتم مِن دونه﴾.

وتفسيرها أن قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يدعون الله تعالى لأنفسهم.

الثاني: يدعون عباد الله الى طاعته.

وقوله تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ وهي القربة، وينبني تأويلها على احتمال الوجهين في الدعاء.

فإن قيل إنه الدعاء لأنفسهم كان معناه يتوسلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى ما سألوا.

وإن قيل دعاء عباد الله إلى طاعته كان معناه أنهم يتوسلون لمن دعوه إلى مغفرته.

﴿أيهم أقرَبُ﴾ تأويله على الوجه الأول: أيهم أقرب في الإجابة. وتأويله على الوجه الثاني: أيهم أقرب إلى الطاعة.

﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون هذا الرجاء والخوف في الدنيا.

الثاني: أن يكونا في الآخرة.

فإن قيل إنه في الدنيا احتمل وجهين:

أحدهما: أن رجاء الرحمة التوفيق والهداية، وخوف العذاب شدة البلاء[٤١٨].

= صور الملائكة وعلى طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بإلٰهية عيسى ابن مريم وعزير فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لهم أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله وقيل أراد بالذين زعمتم نفراً من الجن عبدهم ناس من العرب وإنما خصصت الآية عن ذكرنا لقوله ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ فإن هذا لا يليق بالجمادات اهـ قلت وروى البخاري في صحيحه (٣٠١/٨) ومسلم (٤٣٢/٤) عن ابن مسعود الاثر في ذلك فراجعه.

(*) وفي نسخة للمخطوطة: قاله الحسن ومجاهد.

(٤١٨) لم يذكر الوجه الثاني فتنبه.

وإن قيل إن ذلك في الآخرة احتمل وجهين:

أحدهما: أن رجاء الرحمة دوام النعم وخوف عذاب النار.

الثاني: أن رجاء الرحمة العفو، وخوف العذاب مناقشة الحساب.

ويحتمل هذا الرجاء والخوف وجهين:

أحدهما: أن يكون لأنفسهم إذا قيل إن أصل الدعاء كان لهم.

الثاني: لطاعة الله تعالى إذا قيل إن الدعاء كان لغيرهم. ولا يمتنع أن يكون على عمومه في أنفسهم وفيمن دعوه.

قال سهل بن عبدالله: الرجاء والخوف ميزانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر.

قال رسول الله ﷺ(٤١٩) «**لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا**».

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)﴾

قوله عزوجل: ﴿**وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الآيات معجزات الرسل جعلها الله تعالى من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذبين.

الثاني: أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي.

الثالث: أنها تقلُّبُ الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهُّل ثم إلى مشيب، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمْرك، وهذا قول أحمد بن حنبل رحمه الله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾

---

(٤١٩) هذا الحديث لم أظفر به مرفوعاً ولكن ظفرت به من قول مطر الوراق كما في حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٠٨/٢)(٧٦/٣).

قوله عزوجل: ﴿وإذ قلنا لك إنّ ربّك أحاط بالناس﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معناه أحاطت بالناس قدرته فهم في قبضته، قاله مجاهد وابن أبي نجيح.

الثاني: أحاط علمه بالناس، قاله الكلبي.

الثالث: أنه عصمك من الناس أن يقتلوك حتى تبلغ رسالة ربك، قاله الحسن وعروة وقتادة.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها رؤيا عينٍ ليلة(٤٢٠) الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس،قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن أبي نجيح وابن زيد، وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي ﷺ أنه أُسريَ به.

الثاني: أنها رؤيا نوم رأى فيها أنه يدخل مكة، فعجل النبي ﷺ قبل الوقت يوم الحديبية، فرجع فقال ناس قد كان قال إنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الثالث: أنها رؤيا منام رأى فيها قوماً يعلون على منابره ينزون نزو القردة، فساءه، وهذا قول سهل بن سعد(٤٢١). وقيل إنه ما استجمع ضاحكاً حتى مات ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها شجرة الزقوم طعام الأثيم(٤٢٢)، وقال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير وطاووس وابن زيد. وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وأشياعه: النار تأكل الشجر فكيف تنبتها.

---

(٤٢٠) وهذا القول هو الراجح رجحه ابن جرير (١١٣/١٥) وغيره.

(٤٢١) ولم يصح هذا الأثر وسنده ضعيف جداً (١١٢/١٥، ١١٣) ففي سنده محمد بن الحسن بن زياد وهو متروك وكذا شيخه عبد المهيمن بن عباس بن سهل ضعيف جداً وضعّف الأثر الشوكاني في فتح القدير (٢٣٨/٣).

(٤٢٢) وقد نقل الشوكاني في فتح القدير (٢٤٠/٣) عن ابن كثير إجماع أهل التأويل على ذلك فلا اعتبار بغيرهم معهم وقال الحافظ في الفتح (٣٦٩/٨) وهذا هو الصحيح ذكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين اهـ قلت وساق ابن جرير الإجماع فيه (١١٥/١٥).

الثاني: هي الكشوت(٤٢٣) التي تلتوي على الشجر، قاله ابن عباس(٤٢٤).

الثالث: أنهم اليهود تظاهروا على رسول الله ﷺ مع الأحزاب، قاله ابن بحر.

الرابع: أن النبي ﷺ رأى في منامه قوماً يصعدون المنابر، فشق عليه، فأنزل الله تعالى ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قاله سعيد بن المسيب.

والشجرة كناية عن المرأة، والجماعة أولاد المرأة كالأغصان للشجر.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿. . . لأحتنكن ذُرِّيته إلاّ قليلاً﴾ فيه ستة تأويلات:

أحدها: معناه لأستولين عليهم بالغلبة، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه لأضلنهم بالإغواء.

الثالث: لأستأصلنهم بالإغواء.

الرابع: لأستميلنهم، قاله الأخفش.

الخامس: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل يجذبها وهو افتعال من الحنك إشارة الى حنك الدابة.

السادس: معناه لأقطعنهم إلى المعاصي، قال الشاعر(٤٢٥):

أشْكــو إليــك سَنَــةً قــد أجحفت   جـهْـداً إلى جهــدٍ بنـا وأضعـفـت

واحتنكَتْ أمْوالَنا واجتلفت.

---

(٤٢٣) كذا هنا وفي المطبوعة والصواب الكشوث والتصويب من الطبري (١٥/١١٥) وزاد المسير (٥/٥٦) وقد مر تفسير هذه الشجرة في سورة إبراهيم.

(٤٢٤) قال الآلوسي (١٥/١٠٦) والمعول عليه عند الجمهور رواية الصحيح عن الحبر. قلت يعني قول ابن عباس وهو القول الأول.

(٤٢٥) والراجز هو عطاء بن أسيد والبيت من ملحق ديوان العجاج ص ٦٥ والبيتان الأولان.

نشكــو إليــك سنــة قــد جلفت   أمــوالــنــا مــن أصــلهــا وجــرفــت

ومجاز القرآن (١/٣٨٤) والطبري (١٥/١١٦).

وأورده في روح المعاني (١٥/١١٠) وفيه اجلفت بدلاً من اجتلفت ووقع في الرجز تحريف في فتح القدير للشوكاني (٣/٢٤١) فتنبه.

قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾

قوله عزوجل: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: واستخف، وهذا قول الكلبي والفراء.

الثاني: واستجهل.

الثالث: واستذل من استطعت، قاله مجاهد.

﴿**بصوتك**﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه صوت الغناء واللهو، قاله مجاهد.

الثاني: أنه صوت المزمار، قاله الضحاك.

الثالث: بدعائك إلى معصية الله تعالى وطاعتك، قاله ابن عباس.

﴿**وأجلب عليهم بخيلك ورجَلِك**﴾ والجلب هو السوْق بجلبه من السائق، وفي المثل: إذا لم تغلب فأجلب.

وقوله ﴿**بخيلك ورجلك**﴾ أي بكل راكب وماشٍ في معاصي الله تعالى.

﴿**وشاركهم في الأموال والأولاد**﴾ أما مشاركتهم في الأموال ففيها أربعة أوجه:

أحدها: أنها الأموال التي أصابوها من غير حلها، قاله مجاهد.

الثاني: أنها الأموال التي أنفقوها في معاصي الله تعالى، قاله الحسن.

الثالث: ما كانوا يحرّمونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، قاله ابن عباس.

الرابع: ما كانوا يذبحون لآلهتهم، قاله الضحاك.

وأما مشاركتهم في الأولاد ففيها أربعة أوجه:

أحدها: أنهم أولاد الزنى، قاله مجاهد.

الثاني: أنه قتل الموؤدة من أولادهم، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه صبغة أولادهم في الكفر حتى هوّدوهم ونصّروهم، قاله قتادة.

الرابع: أنه تسمية أولادهم عبيد آلهتهم كعبد شمس وعبد العزّى وعبد اللات، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

قوله عزوجل: ﴿ربُّكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ معناه يجريها ويسيرها، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد، قال الشاعر[٤٢٦]:

يا أيها الراكب المزجي مطيتُه   سائل بني أسدٍ ما هذه الصوت

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا مَسّكم الضُّرُّ في البحر ضَلَّ من تدعون إلا إياه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بطل من تدعون سواه، كما قال تعالى ﴿أضلَّ أعمالهم﴾ [محمد: ١] أي أبطلها.

الثاني: معناه غاب من تدعون[٤٢٧] كما قال تعالى ﴿أئذا ضَلَلْنا في الأرض﴾ [السجدة: ١٠] أي غِبْنا.

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ

---

(٤٢٦) هو رويشد بن كثير الطائي (اللسان) صوت.

(٤٢٧) ومن اللطائف أن بعض الناس قال لبعض الأئمة أثبت لي وجود الله ولا تذكر لي الجوهر والعرض فقال له هل ركبت البحر؟ قال نعم قال فهل عصفت الريح قال نعم قال فهل أشرفت بك السفينة على الغرق قال نعم قال فهل يئست من نفع من في السفينة ونحوهم من المخلوقين بك وإنجائهم مما أنت فيه إياك قال نعم قال فهل بقي قلبك متعلقاً بشيء غير أولئك قال نعم قال ذلك هو الله عز وجل راجع روح المعاني (١١٥/١٥).

ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

قوله عزوجل: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرِّ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يريد بعض البر وهو موضع حلولهم منه، فسماه جانبه لأنه يصير بعد الخسف جانباً.

الثاني: أنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر، وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر.

﴿أو يُرْسِلَ عليكم حاصباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يعني حجارة من السماء، قاله قتادة.

الثاني: إن الحاصب الريح العاصف سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمي بالحصباء. والقاصف الريح التي تقصف الشجر، قاله الفراء وابن قتيبة.

وقال غيرهما أن العاصف المهلكة في البر، والقاصف المغرقة في البحر.

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم. .﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: يعني كرمناهم بإنعامنا عليهم.

الثاني: كرمناهم بأن جعلنا لهم عقولاً وتمييزاً.

الثالث: بأن جعلنا منهم خير أمة أخرجت للناس.

الرابع: بأن يأكلوا ما يتناولونه من الطعام والشراب بأيديهم، وغيرهم يتناوله بفمه، قاله الكلبي ومقاتل.

الخامس: كرمناهم بالأمر والنهي.

السادس: كرمناهم بالكلام والخط.

السابع: كرمناهم بأن سخّرنا جميع الخلق لهم [٤٢٨].

---

(٤٢٨) وقيل كرمنا الرجال باللحى والنساء بالذوائب وفيها غير ذلك راجع زاد المسير (٥/٦٢، ٦٣) وقال الشوكاني (٣/٢٤٤) ولا مانع من حمل التكريم المذكور في الآية على جميع هذه الأشياء وأعظم =

﴿. . . ورزقناهُمْ من الطيبات﴾ فيه ثلاثة أوجه.

أحدها: ما أحله الله لهم.

الثاني: ما استطابوا أكله وشربه.

الثالث: أنه كسب العامل إذا نفع، قاله سهل بن عبد الله.

﴿وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: بالغلبة والاستيلاء.

الثاني: بالثواب والجزاء.

الثالث: بالحفظ والتمييز.

الرابع: بإصابة الفراسة.

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

قوله عزوجل: ﴿يوم ندعوا كل أناس بإمامِهِمْ﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: بنبيِّهم، قاله مجاهد.

الثاني: بكتابهم الذي أنزل عليهم أوامر الله ونواهيه، قاله ابن زيد.

الثالث: بدينهم، ويشبه أن يكون قول قتادة.

الرابع: بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر، قاله ابن عباس.

الخامس: بمن كانوا يأتمرون به في الدنيا فيتبعونه في خير أو شر، أو على حق، أو باطل، وهو معنى قول أبي عبيدة.

قوله عزوجل: ﴿ومن كان في هذه أعمى . . ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن الطاعة ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الثواب.

= خصال التكريم العقل فإن به تسلطوا على سائر الحيوانات وميزوا بين الحسن والقيح وتوسعوا في المطاعم والمشارب وكسبوا الأموال التي تسببوا بها الى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون وعلى تحصيل الأكسية التي تقيهم الحر والبرد اهـ.

الثاني: ومن كان في الدنيا أعمى عن الاعتبار ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الاعتذار.

الثالث: ومن كان في الدنيا أعمى عن الحق ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ عن الجنة.

الرابع: ومن كان في تدبير دنياه أعمى فهو في تدبير آخرته أعمى[٤٢٩] ﴿وأضل سبيلاً﴾.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما روى سعيد بن جبير أن النبي[٤٣٠] ﷺ كان يستلم الحجر في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال: «ما عليّ أن ألمَّ بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر والله يعلم أني لها كاره» فأبى الله تعالى وأنزل عليه هذه الآية، قاله مجاهد وقتادة.

الثاني: ما روى ابن عباس[٤٣١] أن ثقيفاً قالوا للنبي ﷺ: أجِّلْنا سنة حتى نأخذ

---

(٤٢٩) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/٦٦) فإن قيل لم قال ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ ولم يقل أشد عمى لأن العمى خلقة بمنزلة الحمرة والزرقة والعرب تقول ما أشد سواد زيد وما أبين زرقة عمرو وقلما يقولون ما أسود زيداً وما أزرق عمراً. .

فالجواب أن المراد بالعمى عمى القلب وذلك يزداد ويحدث منه شيء بعد شيء فيخالف الخلقة اللازمة التي لا تزيد نحو عمى العين والبياض والحمرة ذكره ابن الأنباري.

(٤٣٠) وهذا الخبر باطل إذ كيف يظن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هم بمس أصنام المشركين.

(٤٣١) ولم يصح هذا الخبر عن ابن عباس فقد رواه ابن جرير (١٥/ ١٣٠) وإسناده مسلسل بالضعفاء. ولهذا قال ابن الجوزي تعقيباً على القول الأول والثاني هنا (٥/٦٧/٦٨) وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن ينظرهم سنة وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه راجع روح المعاني (١٥/ ١٢٨).

ما نَهدي لآلهتنا، فإذا أخذناه كسرنا آلهتنا وأسلمْنا، فهمّ رسول الله ﷺ أن يطيعهم، فأنزل الله هذه الآية.

﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: لتدّعي علينا غير وحينا.

الثاني: لتعتدي في أوامرنا.

﴿وإذاً لاتخذوك خليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: صديقاً، مأخوذ من الخُلة بالضم وهي الصداقة لممالأته لهم.

الثاني: فقيراً، مأخوذ من الخلة بالفتح وهي الفقر لحاجته إليهم.

قوله عزوجل: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ فيه قولان:

أحدهما: لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، حكاه الطبري(٤٣٢):

وفي المراد بالضِّعف ها هنا وجهان:

أحدهما: النصيب، ومنه قوله تعالى ﴿لكل ضِعفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي نصيب.

الثاني: مثلان، وذلك لأن ذنبك أعظم.

وفيه وجه ثالث: أن الضعف هو العذاب يسمى ضعف لتضاعف ألمه، قاله أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر(٤٣٣):

لمقتل مالكٍ إذ بان مني أبيتُ الليل في ضعفٍ أليم

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»(٤٣٤).

---

(٤٣٢) جامع البيان (١٣٢/١٢).

(٤٣٣) أورده في روح المعاني (١٢٩/١٥).

(٤٣٤) هذا الأثر مرسل من مرسلات قتادة.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

قوله عزوجل: ﴿وإن كادوا ليستفزونَك مِنَ الأرض ليخرجوك منها﴾ في قوله ﴿ليستفزّونك﴾ وجهان:

أحدهما: يقتلونك، قاله الحسن.

الثاني: يزعجونك باستخفافك، قاله ابن عيسى. قال الشاعر:

يُطِيعُ سَفِيهَ القَوْمِ إذ يَسْتَفِزُّهُ ... ويَعْصِي حَكِيماً شَيَّبَتْهُ الْهَزَاهِزُ

وفي قوله ﴿ليخرجوك منها﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: أنهم اليهود أرادوا أن يخرجوا رسول الله ﷺ من المدينة، فقالوا: إن أرض الأنبياء هي الشام وإن هذه ليست بأرض الأنبياء[٤٣٥]، قاله سليمان التيمي.

الثاني: أنهم قريش هموا بإخراج النبي ﷺ من مكة قبل الهجرة، قاله قتادة.

الثالث: أنهم أرادوا إخراجه من جزيرة العرب كلها لأنهم قد أخرجوه من مكة.

الرابع: أنهم أرادوا قتله ليخرجوه من الأرض كلها، قاله الحسن.

﴿وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً﴾ يعني بعدك، يقال خلْفك وخلافك وقد قرئا جميعاً بمعنى بعدك، ومنه قول الشاعر[٤٣٦]:

عَفَتِ الدِّيَارُ خِلاَفَها فَكَأَنَّما ... بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُم حَصِيرا

وقيل خلفك بمعنى مخالفتك، ذكره ابن الأنباري.

﴿إلا قليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، وهذا قوله من ذكر أنهم قريش.

(٤٣٥) وقد ضعّف هذا القول العلامة ابن كثير في تفسيره (٥٣/٣) وقال: وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكن المدينة بعد ذلك.

(٤٣٦) مجاز القرآن (٣٨٧/١) واللسان (خلف) وفيه عقب الربيع والطبري (١٣٣/١٥).

الثاني: ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

قوله عزوجل: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾

أما دلوك الشمس ففيه تأويلان:

أحدهما: أنه غروبها، وأن الصلاة المأمور بها صلاة المغرب، ومنه قول ذي الرمة(٤٣٧):

مصابيح ليست باللواتي تقودها نجومٌ ولا بالآفلات الدوالك

قاله ابن مسعود(٤٣٨) وابن زيد، ورواه مجاهد عن ابن عباس، وهو مذهب أبي حنيفة.

الثاني: أنه زوالها، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه، وهو قول أبي بردة والحسن وقتادة ومجاهد، وهو مذهب الشافعي ومالك لرواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن ابن مسعود(٤٣٩) وعقبة بن عامر قالا: قال رسول الله ﷺ «أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر» وقال الشاعر(٤٤٠):

---

(٤٣٧) ديوانه (٥١١) واللسان (دلك) وغريب القرآن (٢٦٠) والقرطبي (٣٠٣/١٠).

(٤٣٨) رواه الطبري (١٣٤/١٥) والحاكم (٣٦٣/٢) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (١٩٥/٥) نسبته لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود. وقال الهيثمي في المجمع (٥١/٧) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤٣٩) كذا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب رواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبي مسعود عقبة بن عمرو والتصويب من الطبري (١٣٧/١٥) قلت قال الحافظ في تخريج الكشاف (ص١٠١) أخرجه البيهقي من طريق أيوب عن عتبة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عروة عن ابن مسعود.

(٤٤٠) مجاز القرآن (٣٨٧/١)، نوادر أبي زيد (ص ٨٨)، الطبري (١٣٦/١٥) اللسان (برح).

هـذا مُـقـام قَـدَمـي ربـاح ذَيَّبَ حـتـى دَلَـكـت بَـراح

وبـراح اسم الشمس، والباء التي فيـه من أصل الكلمـة، وذهب بعض أهل العربية إلى أن الباء التي فيها باء الجر، واسم الشمس راح.

فمن جعل الدلوك اسماً لغروبها فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبينها، ومن جعله اسماً لزوالها فلأنه يدلك عينيه براحته لشدة شعاعها. وقيل إن أصل الدلوك في اللغة هو الميل، والشمس تميل عند زوالها وغروبها فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما.

وأما ﴿غسق الليل﴾ ففيه تأويلان:

أحدهما: أنه ظهور ظلامه، قاله الفراء وابن عيسى، ومنه قول زهير:

ظَلَّت تَجُودُ يَدَاها وهِيَ لاَهِيَةٌ حتى إذا جَنَحَ الإظْلاَمُ والغَسَقُ

الثاني: أنه دنوّ الليل وإقباله، وهو قول ابن عباس وقتادة.قال الشاعر[٤٤١]:

إن هـذا الـلـيـل قـد غـسـقـا ....

وفي الصلاة المأمور بها قولان:

أحدهما: أنها صلاة المغرب، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك:

الثاني: هي صلاة العشاء الآخرة، قاله أبو جعفر الطبري[٤٤٢].

ثم قال ﴿وقرآن الفَجْر إنّ قرآن الفجْر كان مشهوداً﴾ في ﴿قرآن﴾ تأويلان:

أحدهما: أقم القراءة في صلاة الفجر، وهذا قول أبي جعفر[٤٤٣] الطبري:

الثاني: معناه صلاة الفجر، فسماها قرآناً لتأكيد القراءة في الصلاة، وهذا قول أبي اسحاق الزجاج.

﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن من الحكمة أن تشهده بالحضور إليه في المساجد، قاله ابن بحر.

الثاني: أن المراد به ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**تشهده ملائكة**

---

(٤٤١) هو عبدالله بن قيس وبقية البيت «واشتكيت الهم والأرقا»راجع الطبري(١٥/ ١٣٨) وفيه آب هذا الليل قد عسفا. ورواية البيت في اللسان (غسق) كما أورده المؤلف هنا.

(٤٤٢)-جامع البيان (١٥/ ١٣٩) ولكن الذي فيه (وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عن غسق الليل هي صلاة المغرب دون غيرها).

(٤٤٣) جامع البيان (١٥/ ٣٩).

الليل وملائكة النهار»(٤٤٤) وفي هذا دليل على أنها ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار.

قوله عزوجل: **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** أما الهجود فمن أسماء الأضداد، وينطلق على النوم وعلى السهر، وشاهد انطلاقه على السهر قول الشاعر(٤٤٥):

ألا زارت وأهْلُ مِنىً هُجُود ... ولَيْتَ خَيَالَهَا بِمِنىً يعُود

وشاهد انطلاقه على النوم قول الشاعر(٤٤٦):

ألا طَرَقَتْنَا والرِّفَاقُ هُجُود ... فَبَاتَتْ بِعُلَّات النَّوالِ تجود

أما التهجد فهو السهر، وفيه وجهان:

أحدهما: السهر بالتيقظ لما ينفي النوم، سواء كان قبل النوم أو بعده.

الثاني: أنه السهر بعد النوم، قاله الأسود(٤٤٧) بن علقمة.

وفي الكلام مضمر محذوف وتقديره: فتهجد بالقرآن وقيام الليل نافلة أي فضلاً وزيادة على الفرض.

وفي تخصيص النبي ﷺ بأنها نافلة له ثلاثة أوجه:

أحدها: تخصيصاً له بالترغيب فيها والسبق إلى حيازة فضلها، لاختصاصها بكرامته، قاله علي بن عيسى.

الثاني: لأنها فضيلة له، ولغيره كفارة، قاله مجاهد.

الثالث: لأنها عليه مكتوبة ولغيره مستحبة، قاله ابن عباس.

﴿عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

---

(٤٤٤) رواه الطبري واللفظ له (١٥/١٣٩) وأحمد (١٣/٢٣٨) وابن ماجه (١/٢٢٠) والنسائي (١/٢٤١) والترمذي (٢/١٤١) وقال حسن صحيح. وبلفظ آخر قريب رواه البخاري (٨/٣٠٢) ومسلم (١/٤٥٠) عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة قال وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾. قلت وقد روى ابن جرير (١٥/١٤١) الجزء الأخير من حديث البخاري.

(٤٤٥) فتح القدير (٣/٢٥١).

(٤٤٦) الطبري (١٥/١٤١).

(٤٤٧) أخشى أن يكون الأسود وعلقمة فإن الطبري رواه عنهما معاً في (١٥/١٤٢).

أحدها: أن المقام المحمود الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله حذيفة بن اليمان(٤٤٨).

الثاني: أنه إجلاسه على عرشه يوم القيامة(٤٤٩)، قاله مجاهد.

---

(٤٤٨) رواه الطبري (١٥/١٤٥) وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٢٥) نسبته لابن أبي شيبة والنسائي والبزار وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وأبي نعيم في الحلية وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور والخطيب في المتفق والمفترق وقد صحح الأثر الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/٣٩٩) من رواية النسائي وهذا القول هو الصحيح لأن الخبر يؤيده ورجحه ابن جرير (١٥/١٤٥) وغيره وقال الواحدي وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وقال الشوكاني والأحاديث الصحيحة الواردة في تعيين هذا المقام المحمود متواترة فالمصير إليها فتح القدير (٣/٢٢).

(٤٤٩) وقول مجاهد هذا سنفصل القول فيه. فنقول بالله المستعان ورد هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً.

فمرفوعاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أورده الذهبي في العلو ص ٥٥ من طريق سلمة بن الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود قال الذهبي وهذا حديث منكر لا يفرح به وسلمة هذا متروك الحديث وأشعث لم يلحق ابن مسعود ا هـ وقال الألباني عن هذا الخبر باطل السلسلة الضعيفة ٨٦٥ ثم أشار إلى أن الحديث موصول من طريق آخر عن ابن مسعود ولا يصح أيضاً ثم أحال عليه برقم ٥١٦٠ ورواه الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً كما في الدر (٥/٣٢٨) ولا أدري حال سنده.

ورواه الطبراني عن ابن عباس موقوفاً كما في المجمع (٤/٥١) وقال الهيثمي فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير وله طريق آخر عن ابن عباس أشار إليه الذهبي في العلو وفي سنده عمرو بن مدرك الرازي وهو متروك وجويبر المفسر وهو متروك ولذلك قال الذهبي إسناده ساقط ويروى مرفوعاً وهو باطل.

وورد من قول عبد الله بن سلام وقال الذهبي عن أثر ابن سلام «موقوف ولا يثبت» إنما هذا شيء قاله مجاهد.

وأما أثر مجاهد فقال الذهبي في العلو ص ٧٣.

لهذا القول طرق خمسة وأخرجه ابن جرير (١٥/١٤٥) في تفسيره وعمل فيه المروزي مصنفاً ا هـ قلت وفي سند ابن جرير ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مخلط.

قال الإمام ابن عبد البر كما نقله الشوكاني في فتح القدير (٣/٢٥٢) «مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم. أحدهما هذا والثاني تأويل وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. قال معناه تنتظر الثواب وليس من النظر ا هـ

قلت يشير رحمه الله بقوله هذا إلى تفسير المقام المحمود بإجلاسه ﷺ على العرش.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة مجاهد في الميزان (٣/٤٢٩) ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال يجلسه معه على العرش ا هـ. وقد نسب إلى الإمام الدارقطني أنه قال:

حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده
فأما حديث أتى بإقعاده ... على العرش فلا نجحده =

الثالث: أنه إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة.

ويحتمل قولاً رابعاً: أن يكون المقام المحمود شهادته على أمته بما أجابوه من تصديق أو تكذيب، كما قال تعالى ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١].

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قوله عزوجل: ﴿وقل ربِّ أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مُخرج صدق﴾ فيه سبعة أقاويل:

أحدها: أن مدخل الصدق دخوله إلى المدينة حين هاجر إليها، ومخرح صدق بخروجه من مكة حين هاجر منها، قاله قتادة وابن زيد.

الثاني: أدخلني مدخل صدق إلى الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة إلى المدينة، قاله الحسن.

الثالث: أدخلني مدخل صدق فيما أرسلتني به من النبوة، وأخرجني منه بتبليغ الرسالة مخرج صدق، وهذا قول مجاهد.

الرابع: أدخلني في الإسلام مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا مخرج صدق، قاله أبو صالح.

الخامس: أدخلني مكة مدخل صدق وأخرجني منها مخرج صدق آمناً، قاله الضحاك.

= أقول لم يصح نسبته القول إلى الدارقطني كما أشار إلى ذلك العلامة الألباني (٢/٢٥٦) ونقل الشوكاني (٣/٢٥٢) عن النقاش قوله عن أبي داود السجستاني أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا الحديث ا هـ.

قلت وهذا إن ثبت الحديث فإنه لم يثبت هذا الحديث فلا داعي للتمسك به فضلاً عن اتهام منكره في دينه ومن الغلو الفاحش قول بعض المحدثين لو أن حالفاً حلف بالطلاق أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني لقلت له صدقت وبررت قال الحافظ الذهبي رحمه الله متعقباً هذا القول: «فابصر حفظك الله من الهوى كيف آل الغلو بهذا المحدث الى وجوب الأخذ بأثر منكر واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ا هـ. وقول الذهبي في العلو أي الذي يليق بكمال الله من غير مكان ولا جهة.

السادس: أدخلني في قبري مدخل صدق، وأخرجني منه مخرج صدق، قاله ابن عباس.

السابع: أدخلني فيما أمرتني به من طاعتك مدخل صدق، وأخرجني مما نهيتني عنه من معاصيك مخرج صدق، قاله بعض المتأخرين.

والصدق ها هنا عبارة عن الصلاح وحسن العاقبة.

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة، قاله قتادة.

الثاني: حجة بيّنة، قاله مجاهد.

الثالث: أن السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود قاله الحسن.

ويحتمل رابعاً: أن يجمع له بين القلوب بالدين وبين قهر الأبدان بالسيف.

قوله عزوجل: **﴿وقُلْ جاء الحق وزهق الباطل﴾** فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن الحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان، قاله قتادة.

الثاني: أن الحق عبادة الله تعالى والباطل عبادة الأصنام، قاله مقاتل بن سليمان.

الثالث: أن الحق الجهاد، والباطل الشرك، قاله ابن جريج.

﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ أي ذاهباً هالكاً، قال الشاعر:

ولقدْ شفَى نفسي وأبرأ سُقْمَهَا ‏ ‏ ‏ إقْـدامُـهُ قهْـراً لـه لَمْ يَـزْهَق

وحكى قتادة(٤٥٠) أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة ورأى فيها التصاوير أمر بثوب قُبُل بالماء وجعل يضرب به تلك التصاوير ويمحوها ويقول **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾

(٤٥٠) وقد روى البخاري (٨/٣٠٣) ومسلم (٣/١٤٠٨) والترمذي (٢/١٤٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

قوله عز وجل ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى.

الثاني: شفاء من السقم،[٤٥١] لما فيه من البركة.

الثالث: شفاء من الفرائض والأحكام، لما فيه من البيان.

وتأويل الرحمة ها هنا على الوجوه الأُوَلِ الثلاثة:

أحدها: أنها الهدى.

الثاني: أنها البركة.

الثالث: أنها البيان.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يزيدهم خساراً لزيادة تكذيبهم.

الثاني: يزيدهم خساراً لزيادة ما يرد فيه من عذابهم.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

قوله عزوجل: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: إذا أنعمنا عليه بالصحة والغنى أعرض ونأى وبعد من الخير.

الثاني: إذا أنعمنا عليه بالهداية أعرض عن السماع وبعُد من القبول وفي قوله ﴿ونأى بجانبه﴾ وجهان:

أحدهما: أعجب بنفسه، لأن المعجب نافر من الناس متباعد عنهم.

الثاني: تباعد من ربه.

﴿وإذا مَسّهُ الشر كان يئوساً﴾ يحتمل إياسه من الفرج إذا مسه الشر وجهين:

أحدهما: بجحوده وتكذيبه.

الثاني: بعلمه بمعصيته أنه معاقب على ذنبه.

وفي ﴿الشر﴾ ها هنا ثلاثة تأويلات:

(٤٥١) ولا مانع من حمل الآية على الشفاعتين راجع تفسير الشوكاني (٣/٢٥٢).

أحدها: أنه الفقر، قاله قتادة.

الثاني: أنه السقم، قاله الكلبي.

الثالث: السيف، وهو محتمل.

قوله عزوجل: **﴿قُلْ كلٌّ يعمل على شاكلته﴾** فيه ستة تأويلات:

أحدها: على حِدّته، قاله مجاهد.

الثاني: على طبيعته، قاله ابن عباس.

الثالث: على بيته، قاله قتادة.

الرابع: على دينه، قاله ابن زيد.

الخامس: على عادته.

السادس: على أخلاقه.

﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أحسن ديناً.

الثاني: أسرع قبولاً.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله عزوجل: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾** فيها خمسة أقاويل:

أحدها: أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس. كما قال تعالى **﴿نزل به الروح الأمين﴾** [الشعراء: ١٩٣].

الثاني: ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك، قاله علي بن أبي طالب[٤٥٢] رضي الله عنه.

الثالث: أنه القرآن، قاله الحسن، كما قال تعالى **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً**

---

(٤٥٢) رواه ابن جرير(١٥/١٥٦) وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٣١) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات وإسناده ضعيف ففي سنده مجهول.

قال الألوسي في روح المعاني (١٥/١٥٢) ولا يصح عن علي كرم الله وجهه.

من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢] فيكون معناه أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني.

الرابع: أنه عيسى ابن مريم [٤٥٣] هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة.

الخامس: أنه روح الحيوان، [٤٥٤] وهي مشتقة من الريح. قال قتادة سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبيٍّ فقال الله تعالى **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** فلم يجبهم عنها فاحتمل ذلك ستة أوجه:

أحدها: **تحقيقاً** لشيء إن كان في كتابهم.

الثاني: أنهم قصدوا بذلك الإعنات كما قصدوا اقتراح الآيات.

الثالث: لأنه قد يتوصل إلى معرفته بالعقل دون السمع.

الرابع: لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سؤال ما لا يعني.

الخامس: قاله بعض المتكلمين، أنه لو أجابهم عنها ووصفها؛ بأنها جسم [٤٥٥] رقيق تقوم معه الحياة؛ لخرج من شكل كلام النبوة، وحصل في شكل كلام الفلاسفة. فقال **﴿من أمر ربي﴾** أي هو القادر عليه.

السادس: أن المقصود من سؤالهم عن الروح أن يتبين لهم أنه محدث أو قديم، فأجابهم بأنه محدث لأنه قال: **﴿من أمر ربي﴾** أي من فعله وخلقه، كما قال تعالى **﴿إنما أمرنا لشيء﴾**.

---

(٤٥٣) وقد نقل ابن الجوزي رحمه الله قول أبي الحسن الماوردي هذا في تفسيره زاد المسير (٥/٨٢) ثم عقبه بكلام لأبي سليمان الدمشقي قال [القائل أبوسليمان] «وقد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن فغالب الظن أن الناقلين نقلوا تفسيره [أي تفسير الماوردي للروح] من موضعه إلى موضع لا يليق به وظنوه مثله وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم.

(٤٥٤) وهو القول المشهور وقد اختاره ابن جرير (١٥/١٥٥) واستظهره الشوكاني (٣/٢٥٤) ورجحه ابن حجر في الفتح (٨/٤٠٣) وحكاه الآلوسي في روح المعاني عن الجمهور (١٥/١٥١) وجنح ابن القيم في كتابه الروح الى تفسير الروح بأن الروح الذي يقوم مع الملائكة عليهم السلام كما في قوله﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون﴾ونقل ابن القيم عن بعض السلف هذا القول لكن الحافظ ابن حجر تعقبه في (٨/٤٠٣) الفتح والآلوسي في روح المعاني (١٥/١٥٢).

(٤٥٥) ومن فضول الاقوال البحث في ماهيتها وقد استأثر الله تعالى بعلم كنهها وحقيقتها فلا طائل تحت الأقوال التي أوصلها بعض المفسرين إلى مائة وثمانية عشر قولاً.

فعلى هذا الوجه يكون جواباً لما سألوه، ولا يكون على الوجوه المتقدمة جواباً.

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إلا قليلاً من معلومات الله.

الثاني: إلا قليلاً بحسب ما تدعو الحاجة إليه حالاً فحالاً.

وفيمن أريد بقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قولان:

أحدهما: أنهم اليهود خاصة[٤٥٦]، قاله قتادة.

الثاني: النبي ﷺ وسائر الخلق.

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

قوله عز وجل ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأذهبناه من الصدور والكتب حتى لا يقدر عليه[٤٥٧].

الثاني: لأذهبناه بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك.

﴿ثم لا تجدُ لك به علينا وكيلاً﴾ فيه وجهان:

---

(٤٥٦) وهو قول الأكثرين كما قال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٨٢) ولا تنس أن الخطاب يراد به جميع الخلق واختاره ابن جرير (١٥/١٥٧) وعلى هذا يكون القول الراجح الثاني دون الاول.

(٤٥٧) وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) وصححه البوصيري والحاكم (٤/٤٧٣، ٥٤٥). على شرط مسلم وقواه ابن حجر في الفتح (١٣/٨٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليُسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية. . . الحديث وصححه الالباني في السلسلة الصحيحة وانت تعلم ايها القارىء أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وقد فسر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قول السلف وإليه يعود برفع القرآن الوارد في هذا الحديث السابق فراجعه في الفتاوى. وقد وردت أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة في رفع القرآن من الصدور قبل قيام الساعة راجعها في الدر (٥/٣٣٤ ـ ٣٣٦) وروح المعاني (١٥/١٦٥).

أحدهما: أي لا تجد من يتوكل في رده إليك، وهو تأويل من قال بالوجه الأول.

الثاني: لا تجد من يمنعنا منك، وهو تأويل من قال بالوجه الثاني.

﴿إلاّ رحمة من ربك﴾ أي لكن رحمة من ربك أبقاك له وأبقاه عليك.

﴿إنّ فضله كان عليك كبيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: جزيلاً لكثرته.

الثاني: جليلاً لعظيم خطره.

وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ التفجير تشقيق الأرض لينبع الماء منها، ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود الصبح، ومنه سمي الفجور لأنه شق الحق بالخروج إلى الفساد.

والينبوع: العين التي ينبع منها الماء، قال قتادة ومجاهد: طلبوا عيوناً ببلدهم.

﴿أو تكون لك جنةٌ من نخيلٍ وعنب﴾ سألوا ذلك في بلد ليس ذلك فيه.

﴿أو تسقط السماء كمَا زعمت علينا كسفاً﴾ أي قطعاً. قرىء[٤٥٨] بتسكين السين وفتحها، [٤٥٩] فمن قرأ بالتسكين أراد السماء جميعها، ومن فتح السين جعل المراد به بعض السماء، وفي تأويل ذلك وجهان:

أحدهما: يعني حيزاً، حكاه ابن الأنباري، ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء.

(٤٥٨) وهي قراءة ابن كثير وابن عمرو وحمزة والكسائي، زاد المسير (٨٧/٥) والمبسوط في القراءات ص ٢٧٢.

(٤٥٩) وهي قراءة أبي عامر، زاد المسير (٨٧/٥) المبسوط ص (٢٧٢).

الثاني: يعني قطعاً، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة. والعرب تقول: أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة منه. ومن هذا الكسوف لانقطاع النور منه، وعلى الوجه الثاني لتغطيته بما يمنع من رؤيته.

﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: يعني كل قبيلة على حدتها، قاله الحسن.

الثاني: يعني مقابلة، نعاينهم ونراهم[٤٦٠]، قاله قتادة وابن جريج.

الثالث: كفيلاً، والقبيل الكفيل، من قولهم تقبلت كذا أي تكفلت به، قاله ابن قتيبة.

الرابع: مجتمعين، مأخوذ من قبائل الرأس لاجتماع بعضه إلى بعض ومنه سميت قبائل العرب لاجتماعها، قاله ابن بحر.

قوله عزوجل: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الزخرف النقوش، وهذا قول الحسن.

الثاني: أنه الذهب، وهذا قول ابن عباس وقتادة، قال مجاهد: لم أكن أدري ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبدالله: بيت من ذهب.

وأصله من الزخرفة وهو تحسين الصورة، ومنه قوله تعالى ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾ [يونس: ٢٤].

والذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك نفر من قريش قال ابن عباس: هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان والأسود بن عبد المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أمية والعاص بن وائل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

---

(٤٦٠) وشاهده قول الأعشى في ديوانه ٢٥٦.

لصالحكم حتى تبوأوا بمثلها ... كصرخة حبلى يسرتها قبيلها =

قوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ يعني برسول الله ﷺ.

﴿إذ جاءهم الهُدى﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: القرآن.

الثاني: الرسول.

﴿إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وهذا قول كفار قريش أنكروا أن يكون البشر رُسُل الله تعالى، وأن الملائكة برسالاته أخص كما كانوا رسلاً إلى أنبيائه، فأبطل الله تعالى عليهم ذلك بقوله:

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ يعني أن الرسول إلى كل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربته ولما أنسوا به ولداخلهم من الرهب منه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه ويمنعهم من سؤاله، فلا تعمّ المصلحة. ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وعادوا إلى مثل حالهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿ومن يهد الله فهو المهتدِ﴾ معناه من يحكم الله تعالى بهدايته فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته.

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ومن يحكم بضلاله فلن تجد له أولياء من دونه في هدايته.

الثاني: ومن يقض الله تعالى بعقوبته لم يوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن ذلك عبارة عن الإسراع بهم إلى جهنم، من قول العرب: قدم القوم على وجوههم إذا أسرعوا.

الثاني: أنهم يسحبون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم[٤٦١] كمن يفعل في الدنيا بمن يبالغ في هوانه وتعذيبه.

﴿عُمْياً وبكماً وصماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم حشروا في النار عُمي الأبصار بُكم الألسن صُمّ الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم، ثم أبصروا لقوله تعالى ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ [الكهف: ٥٣] وتكلموا لقوله تعالى ﴿دَعوا هنالك ثبوراً﴾ [الفرقان: ١٣] وسمعوا، لقوله تعالى ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ [الفرقان: ١٢].

وقال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٨] صاروا عمياً لا يبصرون، صُمّاً لا يسمعون، بكماً لا يفقهون.

الثاني: أن حواسهم على ما كانت عليه، ومعناه عمي عما يسرّهم، بكم عن التكلم بما ينفعهم، صم عما يمتعهم، قاله ابن عباس والحسن.

﴿مأواهم جهنم﴾ يعني مستقرهم جهنم.

﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: كلما طفئت أوقدت، قاله مجاهد.

الثاني: كلما سكن التهابها زدناهم سعيراً والتهاباً، قاله الضحاك، قال الشاعر[٤٦٢]:

وكُنّا كَالحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً فَيَخْبُو سَاعَةً ويَهُبُّ سَاعَا

وسكون التهابها من غير نقصان في آلامهم ولا تخفيف من عذابهم.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ

---

(٤٦١) ويؤيده ما رواه البخاري (٣٧٨/٨) ومسلم (٢١٦١/٤) من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال «إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة».

(٤٦٢) هو القطامي والبيت في ديوانه: ٣٩ واللسان (سرع) ومجاز القرآن (٣٩١/١) والطبري (١٦٨/١٥) وقد اقتصر على عجز البيت.

أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

قوله عزوجل: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خزائن الأرض الأرزاق، قاله الكلبي.

الثاني: خزائن النعم، وهذا أعم.

﴿إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لأمسكتم خشية الفقر، والإنفاق الفقر، قاله قتادة وابن جريج.

الثاني: يعني أنه لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله تعالى لما جاد بها كجود الله تعالى لأمرين:

أحدهما: أنه لا بدّ أن يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته.

الثاني: أنه يخاف الفقر ويخشى العدم، والله عز وجل يتعالى في جوده عن هاتين الحالتين.

﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مقتراً، قاله قطرب والأخفش.

الثاني: بخيلاً، قاله ابن عباس وقتادة.

واختلف في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في المشركين خاصة، قاله الحسن.

الثاني: أنها عامة، وهو قول الجمهور.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى تسْع آيات بيناتٍ﴾ فيها أربعة أقاويل:

أحدها: أنها يده وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها نحو من ذلك إلا آيتين منهن إحداهما الطمس، والأخرى الحجر، قاله محمد بن كعب القرظي.

الثالث: أنها نحو من ذلك، وزيادة السنين ونقص من الثمرات، وهو قول الحسن.

الرابع: ما روى صفوان بن عسال[٤٦٣] عن النبي ﷺ أن قوماً من اليهود سألوه عنها فقال: «**لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء الى السلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفرُّوا من الزحف. وأنتم يا يهود خاصة لا تعدُوا في السبت**» فقبلوا يده ورجله.

﴿فاسأل بني إسرائيل..﴾ وفي أمره بسؤالهم وإن كان خبر الله أصدق من خبرهم ثلاثة أوجه:

أحدها: ليكون ألزم لهم وأبلغ في الحجة عليهم.

الثاني: فانظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل فهو سؤالهم، قاله الحسن.

الثالث: إنه خطاب لموسى عليه أن يسأل فرعون في إطلاق بني إسرائيل قاله ابن عباس.

وفي قوله **﴿.. إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾** أربعة أوجه:

---

(٤٦٣) رواه ابن جرير (١٥/١٧٢، ١٧٣) والترمذي (٢٧٣٤) وصححه وأحمد (٤/٢٣٩) وابن ماجه (٣٧٠٥) وقال الحافظ في تخريج الكشاف رواه الحاكم وأحمد وإسحاق وأبي يعلى والطبراني كلهم من رواية عبدالله بن مسلمة عن صفوان وعبدالله بن سلمة كبر فساء حفظه فالسند ضعيف اهـ وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٢٤) نسبته للطيالسي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن قانع وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل وبعد ما تقدم من تضعيف الحافظ للحديث رأيت أن الإمام النووي في رياض الصالحين ص ٣٨٥ قال «رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة وقال الحافظ ابن كثير (٣/٦٧) وهو حديث مشكل وعبدالله بن سلمة أحد الرواة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم.

أحدهـا: قد سُحرت لما تحمل نفسك عليه من هذا القول والفعل المستعظمين.

الثاني: يعني ساحراً لغرائب أفعالك.

الثالث: مخدوعاً.

الرابع: مغلوباً: قاله مقاتل.

﴿. . . وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: مغلوباً، قاله الكلبي ومقاتل. وقال الكميت[٤٦٤]:

وَرَأَتْ قُضَاعَةُ فِي الأَيَا مِنِ رَأْيَ مَثْبُورٍ وَثَابِرِ

الثاني: هالك، وهو قول قتادة.

الثالث: مبتلى، قاله عطية.

الرابع: مصروفاً عن الحق، قاله الفراء.

الخامس. ملعوناً، قاله أبان بن تغلب وأنشد[٤٦٥]:

يا قَوْمَنَا لاَ تَرُومُوا حَرْبَنَا سَفَهاً إنّ السَّفَاهَ وإنَّ البَغْيَ مَثْبُورُ

قوله عز وجل: ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: يزعجهم منها بالنفي عنها، قاله الكلبي.

الثاني: يهلكهم فيها بالقتل. ويعني بالأرض أرض مصر وفلسطين والأردن.

قوله عزوجل: ﴿. . . فإذا جاءَ وعد الآخرة﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة، قاله مقاتل.

الثاني: وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام.

الثالث: نزول عيسى عليه السلام من السماء، قاله قتادة.

﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: مختلطين لا تتعارفون، قاله رزين.

الثاني: جئنا بكم جميعاً من جهات شتى، قاله ابن عباس وقتادة. مأخوذ من لفيف الناس.

---

(٤٦٤) اللسان «ثبر».

(٤٦٥) أورده في فتح القدير (٣/٢٦٣) لم ينسبه وشطره الأول فيه.

وسا قومنا لا ترموا حزيناً سفهاً ....

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نَزَل﴾ يحتمل وجهين.

أحدهما: أن إنزاله حق.

الثاني: أن ما تضمنه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد حق.

﴿وبالحق نزل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وبوحينا نزل.

الثاني: على رسولنا نزل.

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ يعني مبشراً بالجنة لمن أطاع الله تعالى، ونذيراً بالنار لمن عصى الله تعالى.

قوله عزوجل: ﴿وقرآناً فرقناه﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: فرقنا فيه بين الحق والباطل، قاله الحسن.

الثاني: فرّقناه بالتشديد[٤٦٦] وهي قراءة ابن عباس أي نزل مفرّقاً آية آية وهي كذلك في مصحف ابن مسعود وأُبيٍّ بن كعب: فرقناه عليك.

الثالث: فصّلناه سُوَراً وآيات متميزة، قاله ابن بحر.

﴿لتقرأه على الناس على مُكْثٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني على تثبت وترسّل، وهو قول مجاهد.

الثاني: أنه كان ينزل منه شيء، ثم يمكثون بعده ما شاء الله، ثم ينزل شيء آخر.

الثالث: أن يمكث في قراءته عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء، قاله أبو مسلم.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

(٤٦٦) وهي أيضاً قراءة علي بن أبي طالب وسعد بن أبـي وقاص وأبي رزين ومجاهـد والشعبي وقتادة والأعرج وابن رجاء وابني محيصن زاد المسير (٥/٩٦).

سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

قوله عزوجل: **﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾** يعني القرآن، وهذا من الله تعالى على وجه التبكيت لهم والتهديد، لا على وجه التخيير.

﴿إن الذين أوتوا العلم من قَبله﴾ فيهم وجهان:

أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله الحسن.

الثاني: أنهم أناس من اليهود، قاله مجاهد.

﴿إذا يتلى عليهم يخرُّون للأذقان سُجّداً﴾ فيه قولان:

أحدهما: كتابهم إيماناً بما فيه من تصديق محمد ﷺ.

الثاني: القرآن كان أناس من أهل الكتاب إذا سمعوا ما أنزل منه قالوا: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، وهذا قول مجاهد.

وفي قوله **﴿يخرُّون للأذقان﴾** ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الأذقان مجتمع اللحيين.

الثاني: أنها ها هنا الوجوه، قاله ابن عباس وقتادة.

الثالث: أنها اللحى، قاله الحسن.(٤٦٧)

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

قوله عزوجل: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** في سبب نزولها قولان:

أحدهما: قاله الكلبي. أن ذكر الرحمن كان في القرآن قليلاً وهو في التوراة كثير، فلما أسلم ناس من اليهود منهم ابن سلام وأصحابه ساءَهم قلة ذكر الرحمن في القرآن، وأحبوا أن يكون كثيراً فنزلت.

---

(٤٦٧) رواه الطبري (١٥/١٨٢).

الثاني: ما قاله ابن عباس أنه كان النبي ﷺ ساجداً يدعو «**يا رحمن يا رحيم**»، فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهاً واحداً وهو يدعو مثنى، فنزلت الآية.

﴿**ولا تجهر بصوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عنى بالصلاة الدعاء، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به، وهذا قول عائشة رضي الله عنها ومكحول. قال إبراهيم: لينتهين أقوام يشخصون بأبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم.

الثاني: أنه عنى بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلو ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول الله ﷺ بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله تعالى عن شدة الجهر، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله ابن عباس[٤٦٨].

الثاني: أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها وعن الإسرار بها في جميعها وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار.

الثالث: أنه نهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين.

الرابع: أنه نهي عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته، بمكة فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر، فأمره الله ألاّ يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله عكرمة.

الخامس: يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائياً بها في العلانية، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة، قال الحسن: تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها.

وقيل: لا تصلّها رياءً ولا تتركها حياء. والأول أظهر.

روي أن أبا بكر الصديق[٤٦٩] كان إذا صلى خفض من صوته فقال له النبي ﷺ «**لم تفعل هذا؟**» قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، فقال ﷺ **أحسنت**. وكان

(٤٦٨) رواه البخاري (٨/٤٠٤) وأحمد (١/٢١٥) والطبري (١٥/١٨٤).

(٤٦٩) رواه ابن جرير (١٥/١٨٦) وزاد في الدر (٥/٣٥٠) نسبته لسعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر وفيه قال ابن سيرين نبئت أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ. . الحديث، وهومنقطع كما ترى بين ابن سيرين وأبي بكر.

عمر بن الخطاب يرفع صوته فقال له النبي ﷺ: **لم تفعل هذا؟** فقال أُوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال النبي ﷺ: **أحسنت**. فلمانزلت هذه الآية قال لأبي بكر: **ارفع شيئا**، وقال لعمر: **أخفض شيئاً**.

قوله تعالى: **﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾** يحتمل وجهين:

أحدهما: أمره بالحمد لتنزيه الله تعالى عن الولد.

الثاني: لبطلان ما قرنه المشركون به من الولد.

﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملك ولا عبادة.

﴿ولم يكن له وليٌّ من الذل﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: لم يحالف أحداً.

الثاني: لا يبتغي نصر أحد.

الثالث: لم يكن له وليٌّ من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس، قاله الكلبي.

﴿وكبره تكبيراً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: صِفه بأنه أكبر من كل شيء.

الثاني: كبّره تكبيراً عن كل ما لا يجوز في صفته.

الثالث: عظِّمْه تعظيماً والله أعلم.



مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى ﴿واصبر نفسك﴾ [الكهف: ٢٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

قوله عزوجل: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ يعني على محمد القرآن، فتمدح بإنزاله لأنه أنعم عليه خصوصاً، وعلى الخلق عموماً.

﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ في ﴿عوجاً﴾ ثلاثة تأويلات:

أحدها: يعني مختلفاً، قاله مقاتل، ومنه قول الشاعر:

أدوم بودي للصديق تكرُّماً ولا خير فيمن كان في الود أعوجا

الثاني: يعني مخلوقاً، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه العدول عن الحق الى الباطل، وعن الاستقامة إلى الفساد، وهو قول علي بن عيسى.

والفرق بين العوج بالكسر والعوج بالفتح أن العوج بكسر العين ما كان في الدين وفي الطريق وفيما ليس بقائم منتصب، والعوج بفتح العين ما كان في القناة والخشبة وفيما كان قائماً منتصباً.

﴿قيّماً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه المستقيم المعتدل، وهذا قول ابن عباس والضحاك.

الثاني: أنه قيم على سائر كتب الله تعالى يصدقها وينفي الباطل عنها.

الثالث: أنه المعتمد عليه والمرجوع إليه كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها، وفيه تقديم وتأخير في قول الجميع وتقديره: أنزل الكتاب على عبده قيماً ولم يجعل له عوجاً ولكن جعله قيماً.

﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه عذاب الاستئصال في الدنيا.

الثاني: أنه عذاب جهنم في الآخرة.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم﴾** فيه وجهان:

أحدهما: قاتل نفسك، ومنه قول ذي الرُّمَّـةِ (٤٧٠):

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه ... بشيء نحته عن يديك المقادِرُ

الثاني: أن الباخع المتحسر الأسِف، قاله ابن بحر.

﴿على آثارهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: على آثار كفرهم.

الثاني: بعد موتهم.

---

(٤٧٠) ديوانه ٣٣٨، مجاز القرآن (٣٩٣/١) اللسان بخع، الطبري ١٩٤/١٥ القرطبي (٣٤٨/١٠) فتح الباري (٣٠٨/٨).

﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يريد إن لم يؤمن كفار قريش بهذا الحديث يعني القرآن.

﴿أسفاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أي غضباً، قاله قتادة.

الثاني: جزعاً، قاله مجاهد.

الثالث: أنه غمّاً، قاله السدي.

الرابع: حزناً، قاله الحسن، وقد قال الشاعر(٤٧١):

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما ... تضُمُّ إلى كشحيه كفّاً مخضّبا

قوله عزوجل: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنها الأشجار والأنهار التي زين الله الأرض بها، قاله مقاتل.

الثاني: أنهم الرجال لأنهم زينة الأرض، قاله الكلبي.

الثالث: أنهم الأنبياء والعلماء(٤٧٢)، قاله القاسم.

الرابع: أن كل ما على الأرض زينة لها، قاله مجاهد(٤٧٣).

الخامس: أن معنى ﴿زينة لها﴾ أي شهوات لأهلها تزين في أعينهم وأنفسهم.

﴿لنبلوهم أيهم أحْسَنُ عملاً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أيهم أحسن إعراضاً عنها وتركاً لها، قاله ابن عطاء.

الثاني: أيهم أحسن توكلاً علينا فيها، قاله سهل بن عبدالله.

الثالث: أيهم أصفى قلباً وأهدى سمتاً.

ويحتمل رابعاً: لنختبرهم أيهم أكثر اعتباراً بها.

---

(٤٧١) هو الأعشى الكبير والبيت في ديوانه ١١٥ واللسان أسف.

(٤٧٢) قال العلامة الآلوسي (٢٠٦/١٥) روح المعاني «الظاهر عموم جميع ما لا يغفل أي سواء كان حيواناً أو نباتاً أو معدناً أي جعلنا جميع ما عليها من غير ذوي العقول. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١٠٦/٥) عن قول مجاهد» وقول مجاهد أعم يدخل فيه النبات والماء والمعادن وغير ذلك.

(٤٧٣) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (١٠٦/٥) «فإن قيل ترى بعض ما على الأرض سمجاً وليس بزينة فالجواب أنا إن قلنا إن المراد به شيء مخصوص فالمعنى أنا جعلنا بعض ما على الأرض زينة لها فخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وإن قلنا هـم الرجال أو العلماء قلنا فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم وإن قلنا النبات والشجر فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية وإن قلنا إنه عام في كل ما عليها فلكونه دالاً على خالقه فكان زينة الأرض من هذه الجهة.

ويحتمل خامساً: لنختبرهم في تجافي الحرام منها.

قوله عزوجل: ﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ في الصعيد ثلاثة أقاويل:

أحدها: الأرض المستوية، قاله الأخفش ومقاتل.

الثاني: هو وجه الأرض لصعوده، قاله ابن قتيبة.

الثالث: أنه التراب، قاله أبان بن تغلب.

وفي الجُرُز أربعة أوجه:

أحدها: بلقعاً، قاله مجاهد.

الثاني: ملساء، وهو قول مقاتل.

الثالث: محصورة، وهو قول ابن بحر.

الرابع: أنها اليابسة التي لا نبات بها ولا زرع قال الراجز[٤٧٤]:

قد جرفتهن السُّنون الأجراز

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

قوله عزوجل: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ أما الكهف فهو غار في الجبل الذي أوى إليه القوم. وأما الرقيم ففيه سبعة أقاويل:

أحدها: أنه اسم القرية التي[٤٧٥] كانوا منها، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه اسم الجبل، قاله الحسن.

الثالث: أنه اسم الوادي، قاله الضحاك. قال عطية العوفي[٤٧٦]: هو واد

---

(٤٧٤) الطبري (١٥/١٩٧) ومجاز القرآن (١/٣٩٤) واللسان جرز وهو غير منسوب في هذه المصادر.

(٤٧٥) قال الحافظ في الفتح (٨/٤٠٧) وقد روى ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال ما كنت أعرف الرقيم ثم سألت عنه فقيل لي هي القرية التي خرجوا منها وإسناده ضعيف.

(٤٧٦) وقد روي مثله عن ابن عباس بسند ضعيف رواه الطبري (١٥/١٩٨) كما في الفتح (٦/٥٠٣) قلت وسنده مسلسل بالضعفاء.

بالشام نحو إيلة[٤٧٧] وقد روي أن اسم جبل الكهف بناجلوس، واسم الكهف ميرم[٤٧٨] واسم المدينة أفسوس، واسم الملك وفيانوس[٤٧٩].

الرابع: أنه اسم كلبهم. قاله سعيد بن جبير، وقيل هو اسم لكل كهف.

الخامس: أن الرقيم الكتاب الذي كتب فيه شأنهم، قاله مجاهد. مأخوذ من الرقم في الثوب. وقيل كان الكتاب لوحاً من رصاص[٤٨٠] على باب الكهف، وقيل في خزائن الملوك لعجيب أمرهم.

السادس: الرقيم الدواة بالرومية، قاله أبو صالح.

السابع: أن الرقيم قوم من أهل الشراة كانت حالهم مثل[٤٨١] حال أصحاب الكهف، قاله سعيد بن جبير.

﴿كانوا مِنْ آياتنا عجباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: معناه ما حسبت أنهم كانوا من آياتنا عجباً لولا أن أخبرناك وأوحينا إليك.

الثاني: معناه أحسبت أنهم أعجب آياتنا وليسوا بأعجب خلقنا، قاله مجاهد.

قوله عزوجل: **﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾** اختلف في سبب إيوائهم إليه على قولين:

أحدهما: أنهم قوم هربوا بدينهم إلى الكهف، قاله الحسن. **﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمةوهيىء لنا من أمْرِنا رشداً﴾**[٤٨٢]

الثاني: أنهم أبناء عظماء وأشراف خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال أسَنُّهم: إني أجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، إن ربي رب السموات والأرض، **﴿فقالوا﴾** جميعاً **﴿ربُّنا ربُّ السموات والأرض لن ندعوامن دونه**

---

(٤٧٧) وفي مكان الكهف أقوال أخرى راجعها في الفتح (٥٠٣/٦).

(٤٧٨) وفي الطبري (١٩٩/١٥) «جيزم».

(٤٧٩) وفي زاد المسير (١٢١/٥) «دقسوس».

(٤٨٠) وفي الطبري (٢٠١/١٥) «دقينوس» وفي الفتح (٥٠٥/٦) دقيانوس.

(٤٨١) وذكره البخاري معلقاً (٤٠٧/٨) وقال الحافظ وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وقد لخصته في أحاديث الأنبياء وإسناده على شرط البخاري.

(٤٨٢) قال الحافظ في الفتح (٥٠٤/٦) «وليس كذلك بل السياق يقضي أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم والله أعلم».

إلهاً لقد قلنا إذاً شَطَطَاً﴾ ثم دخلوا الكهف فلبثوا فيه ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعاً، قاله مجاهد.

قال ابن قتيبة: هم أبناء الروم دخلوا الكهف قبل عيسى، وضرب الله تعالى على آذانهم فيه، فلما بعث الله عيسى أخبر بخبرهم، ثم بعثهم الله تعالى بعد عيسى في الفترة التي بينه وبين النبي ﷺ (٤٨٣).

وفي ﴿شططاً﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: كذباً، قاله قتادة.

الثاني: غلوّاً، قاله الأخفش.

الثالث: جوراً، قاله الضحاك.

قوله عزوجل: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ والضرب على الآذان هو المنع من الاستماع، فدل بهذا على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً، ﴿سنين عدداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: إحصاء.

الثاني: سنين كاملة ليس فيها شهور ولا أيام.

وإنما ضرب الله تعالى(٤٨٤) على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم لئلا يسمعوا ما يوقظهم من نومهم.

قوله عزوجل: ﴿ثم بعثناهم﴾ الآية. يعني بالبعث إيقاظهم من رقدتهم.

﴿لنِعلَم﴾ أي لننظر ﴿أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: عدداً، قاله مجاهد.

الثاني: أجلاً، قاله مقاتل.

الثالث: الغاية، قاله قطرب.

وفي الحزبين أربعة أقاويل:

---

(٤٨٣) وقد ورد حديث بسند واه أنهم يحجون مع عيسى ابن مريم وورد آخر بسند ضعيف أنهم أعوان المهدي راجع الفتح (٦/٥٠٤).

(٤٨٤) راجع تفصيل قصتهم في زاد المسير (٥/١٠٩ ـ ١١٣) والطبري (١٥/٢٠٠ ـ ٢٠٥) وخير سند للقصة ما رواه عبد بن حميد بسند صحيح عن ابن عباس كما أشار الحافظ إلى ذلك في الفتح (٦/٥٠٥).

أحدها: أن الحزبين هما المختلفان في أمرهم من قوم الفتية، قاله مجاهد.

الثاني: أن أحد الحزبين الفتية، والثاني من حضرهم من أهل ذلك الزمان.

الثالث: أن أحد الحزبين مؤمنون، والآخر كفار.

الرابع: أن أحد الحزبين الله تعالى، والآخر الخلق، وتقديره: أنتم أعلم أم الله.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وربطنا على قلوبهم..﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ثبتناها.

الثاني: ألهمناها صبراً، قاله اليزيدي.

﴿... لقد قلنا إذاً شططاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: غُلواً.

الثاني: تباعداً.

قوله تعالى: ﴿... لولا يأتون عليهم بسلطان بيّنٍ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: بحجة بينة، قاله مقاتل.

الثاني: بعذر بيّن، قاله قتادة.

الثالث: بكتاب بيّن، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿... ويهيىءلكم من أمركم مرفقاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: سعة.

الثاني: معاشاً.

ويحتمل ثالثاً: يعني خلاصاً، ويقرأ ﴿مِرْفقاً﴾ بكسر الميم وفتح(٤٨٥) الفاء ﴿ومَرفِقاً﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، والفرق بينهما أنه بكسر الميم وفتح الفاء إذا وصل إليك من غيرك، وبفتح الميم وكسر الفاء إذا وصل منك إلى غيرك.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿وترى الشمس إذا طَلَعَتْ تزاور عن كهفهم ذاتَ اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ فيه وجهان:

أحدهما: تعرض عنه فلا تصيبه.

الثاني: تميل عن كهفهم ذات اليمين.

﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معنى تقرضهم تحاذيهم، والقرض المحاذاة، قاله الكسائي والفراء.

الثاني: معناه تقطعهم ذات الشمال أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك قرضته بالمقراض أي قطعته.

الثالث: معناه تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذه بانصرافها، مأخوذ من قرض الدراهم التي ترد لأنهم كانوا في مكان موحش، وقيل لأنه لم يكن عليهم سقف يظلهم ولو طلعت عليهم لأحرقتهم.

وفي انحرافها عنهم في الطلوع والغروب قولان:

أحدهما: لأن كهفهم كان بإزاء بنات نعش فلذلك كانت الشمس لا تصيبه في وقت الشروق ولا في وقت الغروب، قاله مقاتل.

الثاني: أن الله تعالى صرف الشمس عنهم لتبقى أجسامهم وتكون عبرة لمن يشاهدهم أو يتصل به خبرهم(٤٨٦).

---

(٤٨٥) وهي قراءة الجمهور والقراءة الثانية التي ذكرها المؤلف هي قراءة نافع وابن عامر. زاد المسير (١١٦/٥).

(٤٨٦) ومن الغرائب ما ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره ونقله الحافظ في الفتح (٥٠٥/٦) عن شهر بن =

﴿وهم في فجوة منه﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها: يعني في فضاء منه، قاله قتادة.

الثاني: داخل منه، قاله سعيد بن جبير.

الثالث: أنه المكان الموحش.

الرابع: أنه ناحية متسعة، قاله الأخفش، ومنه قول الشاعر:

ونحن ملأنا كلَّ وادٍ وفجوةٍ　　　رجالاً وخيلاً غير ميلٍ ولا عُزْلِ

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

قوله عزوجل: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾ الأيقاظ: المنتبهون.

قال الراجز[٤٨٧]:

قد وجدوا إخوانهم أيقاظا　　　والسيف غياظ لهم غياظا

والرقود: النيام. قيل إن أعينهم كانت مفتوحة ويتنفسون ولا يتكلمون.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ يعني تقلب النيام لأنهم لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض لطول مكثهم. وقيل إنهم كانوا يقلبون في كل عام مرتين، ستة أشهر على جنب. وستة أشهر على جنبٍ آخر، قاله ابن عباس.

قال مجاهد: إنما قلبوا تسع سنين بعد ثلاثمائة[٤٨٨] سنة لم يقلبوا فيها.

وفيما تحسبهم من أجله أيقاظاً وهم رقود قولان:

أحدهما: لانفتاح أعينهم.

الثاني: لتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال.

= حوشب قال كان لي صاحب قوي النفس فمر بالكهف فأراد أن يدخل فنهي فأبى فأشرف عليهم فأبيضت عيناه وتغير شعره.

(٤٨٧) هو العجاج والبيت في ديوانه ٨١ ـ ٨٢ ومجاز القرآن (١/٣٩٧) والطبري (١٥/٢١٣).

(٤٨٨) وقد وردت تقديرات أخرى راجعها في روح المعاني (١٥/٢٢٥) وقال الألوسي عقبها: «وتعقب الإمام ذلك بأن هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها لفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيها خبر صحيح ا هـ.

﴿وكلبهم باسِطٌ ذِراعيه بالوصيد﴾ في ﴿كلبهم﴾ قولان:

أحدهما: أنه كلب من الكلاب كان معهم، وهو قول الجمهور[٤٨٩]. وقيل إن اسمه كان حمران.

الثاني: أنه إنسان من الناس كان طباخاً لهم تبعهم، وقيل بل كان راعياً.

وفي ﴿الوصيد﴾ خمسة تأويلات:

أحدها: أنه العتبة[٤٩٠].

الثاني: انه الفناء قاله ابن عباس.

الثالث: أنه الحظير، حكاه اليزيدي.

الرابع: أن الوصيد والصعيد التراب[٤٩١]، قاله سعيد بن جبير.

الخامس: أنه الباب، قاله عطية، وقال الشاعر[٤٩٢]:

بأرض فضاءَ لا يُسَدُّ وَصيدها ... عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنْكَرِ

وحكى جرير بن عبيد أنه كان كلباً ربيباً صغيراً. قال محمد بن إسحاق كان أصفر اللون.

﴿لو اطّلعت عليهم لوليت منهم فِراراً ولملِئت منهم رُعباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لطول أظفارهم وشعورهم يأخذه[٤٩٣] الرعب منهم فزعاً.

---

(٤٨٩) وهو الصواب من القولين وظاهر القرآن يدل عليه كما في روح المعاني (٢٢٥/١٥) وقال «وأبعد من هذا من زعم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم أو أحدهم وقعد على الباب طليعة لهم نعم حكى أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب أنه قرىء «وكالئهم» بهمزة مضمومة بدل الباء وألف بعد الكاف من كلأ إذا حفظ ولا يبعد فيه أن يراد الرجل الربيئة لكن ظاهر القراءة المتواترة يقتضي إرادة الكلب المعروف منه أيضاً وإطلاق ذلك عليه لحفظه ما استحفظ عليه وواسقه اياه وقيل في هذه القراءة أنها تفسير أو تحريف».

(٤٩٠) وتعقب هذا القول بأن الكهف لا يكون له عتبة ولا باب فتح القدير (٢٧٥/٣).

(٤٩١) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (٢٢٦/١٥) «وليس بذاك» قلت وقد روى مثله عن ابن عباس لكن بسند ضعيف اخرجه الطبري (٩٤/١٠) والأولى تفسير الوصيد بالفناء كما هو منقول عن أكثر المفسرين وأهل اللغة راجع زاد المسير (١١٩/٥).

(٤٩٢) هو عبيد بن وهب العبسي والبيت في غريب القرآن (٢٦٥) والبحر المحيط (٩٣/٦) والقرطبي (٣٥١/١٠، ٣٧٣)، روح المعاني (٢٢٦/١٥).

(٤٩٣) وتعقب الشوكاني هذا القول في فتح القدير (٢٧٥/٣) بقوله «ويدفعه قوله تعالى ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئاً ولا وجدوا من أظفارهم وشعورهم ما يدل على طول المدة أ. هـ.

الثاني: لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة التي ترد عنهم الأبصار لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله.

حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزوت مع معاوية رضي الله عنه في بحر الروم فانتهينا إلى الكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية أريد أن أدخل عليهم فأنظر إليهم، فقلت ليس هذا لك فقد منعه الله من هو خير منك، قال تعالى ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾ الآية. فأرسل جماعة إليهم دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم.

وقيل إن هذه المعجزة من قومهم كانت لنبي قيل إنه كان أحدهم وهو الرئيس الذي اتبعوه وآمنوا به.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا (٢٠)

قوله عزوجل: ﴿وكذلك بعثناهم﴾ يعني به إيقاظهم من نومهم.

قال مقاتل: وأنام الله كلبهم معهم.

﴿ليتساءلوا بينهم قال قائلٌ منهم كم لبثتم﴾ ليعلموا قدر نومهم.

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ كان السائل منهم أحدهم، والمجيب له غيره، فقال لبثنا يوما لأنه أطول مدة النوم المعهود، فلما رأى الشمس لم تغرب قال ﴿أو بعض يوم﴾ لأنهم أنيموا أول النهار ونبهوا آخره.

﴿قالوا ربُكم أعْلمُ بما لبثتم﴾ وفي قائله قولان.

أحدهما: أنه حكاية عن الله تعالى أنه أعلم بمدة لبثهم.

الثاني: أنه قول كبيرهم مكسلمينا حين رأى الفتية مختلفين فيه فقال ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فنطق بالصواب ورد الأمر إلى الله عالمه، وهذا قول ابن عباس.

﴿فابعثوا أحدكم[٤٩٤] بورقكم هذه الى المدينة﴾ قرىء بكسر الراء[٤٩٥] وبتسكينها،[٤٩٦] وهو في القراءتين جميعاً الدراهم، وأما الورَق بفتح الراء فهي الإبل والغنم، قال الشاعر:

إياك أدعو فتقبل مَلَقي كَفِّرْ خطاياي وثَمِّرْ ورقي

يعني إبله وغنمه.

﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أيها أكثر طعاماً، وهذا قول عكرمة.

الثاني: أيها أحل طعاماً[٤٩٧] وهذا قول قتادة.

الثالث: أطيب طعاماً، قاله الكلبي.

الرابع: أرخص طعاماً.

﴿فليأتكم برزق مِنْه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما ترزقون أكله.

الثاني: بما يحل لكم أكله.

﴿وليتلطف . . .﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: وليسترخص.

الثاني: وليتلطف في إخفاء أمركم. وهذا يدل على جواز اشتراك الجماعة في طعامهم وإن كان بعضهم أكثر أكلاً وهي المناهدة، وكانت مستقبحة في الجاهلية

---

(٤٩٤) فائدة: قال ابن الأنباري انما قال «أحدكم» ولم يقل واحدكم لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم فإن العرب تقول رأيت أحد القوم ولا يقولون: رأيت واحد القوم إلا إذا أرادوا المعظَّم فأراد بأحدهم بعضهم ولم يُرد شريفهم ا هـ زاد المسير (١٢١/٥).

(٤٩٥) وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم. زاد المسير (١٢١/٥).

(٤٩٦) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وأبي بكر عن عاصم زاد المسير (١٢١/٥) وذكر فيها قراءات أخرى راجع فتح القدير (٢٧٥/٣).

(٤٩٧) وذلك لأن أهل المدينة على عهدهم على ما قيل كانوا يذبحون للطواغيت على ما جاء عن ابن عباس وقيل إنهم كانوا يذبحون للخنازير وقيل إن أكثر أموالهم كانت مغصوبة راجع روح المعاني (٢٣٠/١٥).

فجاء الشرع بإباحتها.

قوله عزوجل: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يرجموكم بأيديهم استنكاراً لكم، قاله الحسن.

الثاني: بألسنتهم غيبة لكم وشتماً، قاله ابن جريج.

الثالث: يقتلوكم. والرجم القتل لأنه أحد أسبابه.

﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ يعني في كفرهم.

﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ إن أعادوكم في ملتهم.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

قوله عزوجل: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أظهرنا أهل بلدهم عليهم.

الثاني: أطلعنا برحمتنا إليهم.

﴿وليعلموا أنّ وعْدَ اللهِ حقٌّ. . . ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ليعلم أهل بلدهم أن وعد الله حق في قيام الساعة وإعادة الخلق أحياء، لأن من أنامهم كالموتى هذه المدة الخارجة عن العادة ثم أيقظهم أحياء قادر على إحياء من أماته وأقبره.

الثاني: معناه ليرى أهل الكهف بعد علمهم أن وعد الله حق في إعادتهم.

﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ ذلك أنهم لما بعثوا أحدهم بورقهم إلى المدينة ليأتيهم برزق منها وطعام، استنكروا شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل إلى الملك وكان صالحاً قد آمن ومن معه، فلما نظر إليه قال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد كنت أدعو الله أن يريناهم، وسأل الفتى فأخبره فانطلق والناس معه إليهم، فلما دنوا من أهل الكهف وسمع الفتية كلامهم خافوهم ووصى بعضهم بعضاً بدينهم فلما دخلوا عليهم أماتهم الله ميتة الحق، فحينئذ كان التنازع الذي ذكره الله تعالى فيهم.

وفي تنازعهم قولان:

أحدهما: أنهم تنازعوا هل هم أحياء أم موتى؛

الثاني: أنهم تنازعوا بعد العلم بموتهم هل يبنون عليهم بنياناً يعرفون به أم يتخذون عليهم مسجداً(٤٩٨).

وقيل: إن الملك أراد أن يدفنهم في صندوق من ذهب، فأتاه آت منهم في المنام فقال: أردت أن تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل فإنا من التراب خلقنا وإليه نعود فدعْنا.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

---

(٤٩٨) المسجد له في الإسلام مكانة عظمى فهو المعبد الذي يرتاده المسلمون كل المسلمين من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين كانوا يدينون بدين الإسلام لأن كل الأنبياء كانوا مسلمين وأتباعهم الذين اتبعوهم بالحق كانوا مسلمين وكانت الصلاة لا تجوز في شرائع الأنبياء السالفين إلا في المساجد وكانوا كلهم يتجهون في صلاتهم إلى الكعبة والصحابة في مكة اتجهوا إلى الكعبة ولما هاجروا إلى المدينة ولحكمة يقتضيها ربنا أمروا بالتوجه إلى البيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أمر بالتحول إلى جهة الكعبة زادها الله شرفاً ولم يتخذ نبيّ من الأنبياء كنيسة على الإطلاق وإن الكنيسة هي من صنع النصارى الذين حرفوا شريعة سيدنا عيسى عليه السلام وقد زعم البعض ممن ينتسبون إلى العلم محاباة للنصارى بأن الكنيسة هي بيت الله فهذا ضلال.

فالمساجد لها تعظيم في قلوب المسلمين قال رسول الله ﷺ: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال المساجد وقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. لذا فإن المسجد له حرمته في قلب المسلم فلا يجوز أن يدخله حائض ولا جنب ولا نفساء ولا يلتفت إلى قول بعض من ينتسب إلى العلم زوراً بأنه يجوز للجنب أن يدخل المسجد فهذا باطل وقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «إني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب».

فمن استخف بالمسجد أو سخر به أو الحق به ما يشعر الاستخفاف فقد ضل. ولا يجوز تصغير إسم المسجد وكذلك يحرم فيه إضاءة الشموع لغير منفعة معتبرة وأفضل مساجد الدنيا ثلاثة المسجد الحرام في مكة والحرم النبوي الشريف والمسجد الأقصى والصلاة في هذه المساجد الثلاثة فيها من الأجر والثواب ما ليس في غيرها فلا تشد الرحال من أجل الصلاة إلا لها.

قوله عزوجل: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فأدخل الواو على انقطاع القصة لأن الخبر قد تم.

﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ في المختلفين في عددهم قولان:

أحدهما: أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم.

الثاني: أنهم أهل الكتاب بعد طول العهد بهم.

وقوله تعالى: ﴿رجماً بالغيب﴾ قال قتادة قذفاً بالظن، قال زهير[٤٩٩]:

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجّم[٥٠١]

وقال ابن عباس[٥٠٠]: أنا من القليل الذي استثنى الله تعالى: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

وقال ابن جريج ومحمدبن إسحاق: كانوا ثمانية، وجعلا قوله تعالى: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ أي صاحب كلبهم.

وكتب قومهم أسماءهم حين غابوا، فلما بان أمرهم كتبت أسماؤهم على باب الكهف. قال ابن جريج: أسماؤهم مكسلمينا[٥٠٢] ويمليخاوهو الذي مضى بالورق يشتري به الطعام، ومطرونس[٥٠٣]، ومحسيميلنينا، وكشوطوش، وبطلنوس[٥٠٤] ويوطونس وبيرونس.

---

(٤٩٩) شرح المعلقات السبع لأبي بكر الأنباري، ديوانه: ١٨ والطبري ٢٢٦/١٥ والقرطبي (٣٨٣/١٠) اللسان رجم.

(٥٠٠) أخرجه الطبراني عن ابن عباس كما في الدرر (٣٧٥/٥) وصححه السيوطي.

(٥٠١) قال الحافظ ابن كثير (٧٨/٣) يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال... ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله ﴿وثامنهم كلبهم﴾ فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر اهـ.

(٥٠٢) قال القرطبي (٣٦٠/١٠) وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسند في معرفتها واه «قلت ولكن صحح السيوطي سند الأثر الوارد عن ابن عباس وكذا ابن حجر في الفتح. نعم هناك اختلاف كثير في ضبط الأسماء كما قال الحافظ في الفتح بحيث لا يقع الوثوق بضبطها.

(٥٠٣) وفي الطبري (٢٠١/١٥) مرطوس».

(٥٠٤) وفي الطبري (٢٠١/١٥) «دينموس» بدلاً من «بطلنوس».

وقد ظن بعضهم أن أسماء أهل الكهف لها أسرار في دفع البلاء والمرض والصداع.. الخ وحفظ المال اعتماداً على ما ورد عن ابن عباس ولم يصح هذا الأثر وقد أبطله غاية الإبطال العلامة الألوسي رحمه الله فراجع ما كتب حوله في روح المعاني (٣٤٧/١٥).

قال مقاتل: وكان الكلب لمكسلمينا وكان أسنهم وكان صاحب غنم.

﴿فلا تمار فيهم إلاّ مراءً ظاهراً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: إلا ما قد أظهرنا لك من أمرهم، قاله مجاهد.

الثاني: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم، فلا تسألني عن إظهار غيره، قاله قتادة.

الثالث: إلا مِراء ظاهراً يعني بحجة واضحة وخبر صادق، قاله علي بن عيسى.

الرابع: لا تجادل فيهم أحداً ألا أن تحدثهم به حديثاً، قاله ابن عباس.

الخامس: هو أن تشهد الناس عليهم.

﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا تستفت يا محمد فيهم أحداً من أهل الكتاب، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ ونهي لأمته.

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

قوله عزوجل: **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً﴾ ﴿إلا أن يشاء الله﴾** قال الأخفش: فيه إضمار وتقديره: إلا أن تقول إن شاء الله، وهذا وإن كان أمراً فهو على وجه التأديب والإرشاد أن لا تعزم على أمر إلا أن تقرنه بمشيئة الله[٥٠٥] تعالى لأمرين:

أحدهما: أن العزم ربما صد عنه بمانع فيصير في وعده مخلفاً وفي قوله كاذباً، قال موسى عليه السلام **﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾**[الكهف: ٧٠] ولم يصبر ولم يكن كاذباً لوجود الاستثناء في كلامه.

الثاني: إذعاناً لقدرة الله تعالى، وإنه مدبر في أفعاله بمعونة الله وقدرته.

---

(٥٠٥) وفي هذه الآية رد على القدرية.

الثالث: يختص بيمينه إن حلف وهو سقوط الكفارة عنه إذا حنث[٥٠٦].

﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنك إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليذكرك إياه، فإن فعل فقد أراد منك ما ذكرك، وإلا فسيدلك على ما هو أرشد لك مما نسيته، قاله بعض المتكلمين.

الثاني: واذكر ربك إذا غضبت[٥٠٧]، قاله عكرمة، ليزول عنك الغضب عند ذكره.

الثالث: واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله في يمينك.

وفي الذكر المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ما ذكره في بقية الآية ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾.

الثاني: أنه قول إن شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه.

واختلفوا في ثبوت الاستثناء بعد اليمين على خمسة أقاويل:

أحدها: أنه يصح الاستثناء بها إلى سنة، فيكون كالاستثناء بها مع اليمين في سقوط الكفارة ولا يصح بعد السنة، قاله ابن عباس.

الثاني: يصح الاستثناء بها في مجلس يمينه، ولا يصح بعد فراقه، قاله الحسن وعطاء.

الثالث: يصح الاستثناء بها ما لم يأخذ في كلام غيره.

الرابع: يصح الاستثناء بها مع قرب الزمان، ولا يصح مع بعده.

الخامس: أنه لا يصح الاستثناء بها إلا متصلاً بيمينه وهو الظاهر من مذهب مالك والشافعي رحمهما الله.

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

---

(٥٠٦) لاحظ أن المؤلف هنا أورد ثلاثة أمور بينما نص في الابتداء على أمرين فلعله أراد ثلاثة أمور.

(٥٠٧) قال ابن الأنباري عن قول عكرمة «وليس ببعيد لأن الغضب ينتج النسيان». زاد المسير (١٢٨/٥).

قوله عزوجل: **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾** في قراءة ابن مسعود قالوا لبثوا في كهفهم. وفيه قولان:

أحدهما: أن هذا قول اليهود، وقيل بل نصارى نجران أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فرد الله تعالى عليهم قولهم وقال لنبيه **﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾**.

والقول الثاني: أن هذا إخبار من الله تعالى بهذا العدد عن مدة بقائهم في الكهف من حين دخلوه إلى أن ماتوا فيه.

﴿وازدادوا تسعاً﴾ هو ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية.

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بما لبثوا بعد مدتهم إلى نزول القرآن فيهم.

الثاني: الله أعلم بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها عن اليهود إذ ذكروا زيادة ونقصاناً.

قوله عز وجل: **﴿... أبصر به وأسمع﴾** فيه تأويلان:

أحدهما: أن الله أبصر وأسمع، أي أبصر، بما قال وأسمع لما قالوا.

الثاني: معناه أبصرهم وأسمعهم ما قال الله فيهم.

﴿ما لهم من دونه من وَليّ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: من ناصر.

الثاني: من مانع.

﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ولا يشرك في علم غيبه أحداً.

الثاني: أنه لم يجعل لأحد أن يحكم بغير حكمه فيصير شريكاً له في حكمه.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿. . . ولن تجد من دونه مُلتحداً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ملجأ، قاله مجاهد، قال الشاعر:

لا تحفيا يا أخانا من مودّتنا ... فما لنا عنك في الأقوام مُلتحد

الثاني: مهرباً، قاله قطرب، قال الشاعر[٥٠٨]:

يا لهف نفسي ولهفٌ غير مغنيةٍ ... عني وما مِنْ قضاء الله ملتحدُ

الثالث: معدلاً، قاله الأخفش.

الرابع: ولياً، قاله قتادة. ومعانيها متقاربة.

قوله عز وجل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: يريدون تعظيمه.

الثاني: يريدون طاعته. قال قتادة[٥٠٩]: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ بالمدينة فلما نزلت عليه قال: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم».

﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: يدعونه رغبة ورهبة.

الثاني: أنهم المحافظون على صلاة الجماعة، قاله الحسن.

الثالث: أنها الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس ومجاهد.

ويحتمل وجهاً رابعاً: أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق، ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة.

﴿يريدون وجهه﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: بدعائهم.

الثاني: بعمل نهارهم. وخص النهار بذلك دون الليل لأن عمل النهار إذا كان لله تعالى فعمل الليل أولى أن يكون له.

﴿ولا تعد عيناك عنهم. .﴾ فيه وجهان:

---

(٥٠٨) روح المعاني (١٥/٢٥٧) والبيت لخصيب العمري.

(٥٠٩) هذا أثر مرسل رواه الطبري (١٥/٢٣٥) بسنده عن قتادة قال ذكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبي الله ﷺ. . .

أحدهما: ولا تتجاوزهم بالنظر إلى غيرهم من أهل الدنيا طلباً لزينتها، حكاه اليزيدي.

الثاني: ما حكاه ابن جريج أن عيينة بن حصن قال للنبي ﷺ قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي وأصحابه فاجعل لنا مجلساً منك لا يجامعونا فيه، واجعل لهم مجلساً لا نجامعهم فيه، فنزلت.

﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذِكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾

قوله **﴿أغفلنا﴾** فيه وجهان:

أحدهما: جعلناه غافلاً عن ذكرنا.

الثاني: وجدناه غافلاً عن ذكرنا.

وفي هذه الغفلة لأصحاب الخواطر ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها إبطال الوقت بالبطالة، قاله سهل بن عبد الله.

الثاني: أنها طول الأمل.

الثالث: أنها ما يورث الغفلة.

﴿واتبع هواه﴾ فيه وجهان:

أحدهما: في شهواته وأفعاله.

الثاني: في سؤاله وطلبه التمييز عن غيره.

﴿وكان أمرُه فُرُطاً﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: ضيقاً، وهو قول مجاهد.

الثاني: متروكاً، قاله الفراء.

الثالث: ندماً، قاله ابن قتيبة.

الرابع: سرفاً وإفراطاً، قاله مقاتل.

الخامس: سريعاً. قاله ابن بحر. يقال أفرط إذا أسرف وفرط إذا قصر.

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وإن كان خارجاً مخرج التخيير فهو على وجه التهديد والوعيد، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لا ينفعون الله بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم.

الثاني: فمن شاء الجنة فليؤمن، ومن شاء النار فليكفر، قاله ابن عباس.

الثالث: فمن شاء فليعرِّض نفسه للجنة بالإيمان، ومن شاء فليعرض نفسه للنار بالكفر.

﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أن سرادقها حائط من النار يطيف بهم، قاله ابن عباس.

الثاني: هو دخانها ولهيبها قبل وصولهم إليها، وهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿إلى ظلٍّ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ [المرسلات: ٣٠ ـ ٣١] قاله قتادة.

الثالث: أنه البحر المحيط بالدنيا. روى يعلى بن أمية[٥١٠] قال: قال رسول الله ﷺ «البحر هو جهنم» ثم تلا ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ ثم قال «والله لا أدخلها أبداً ما دمت حياً ولا يصيبني منها قطرة» والسرادق فارسي معرب، وأصله سرادر.

﴿وإن يستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالمهل. . .﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: أنه القيح والدم، قاله مجاهد.

الثاني: دردي الزيت، قاله ابن عباس.

الثالث: أنه كل شيء أذيب حتى انماع؛ قاله ابن مسعود.

الرابع: هو الذي قد انتهى حره، قاله سعيد بن جبير، قال الشاعر:

شاب بالماء منه مهلاً كريهاً ثم علّ المتون بعد النهال

وجعل ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الاستغاثة.

﴿. . . بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾ في المرتفق أربعة تأويلات:

أحدها: معناه مجتمعاً، قاله مجاهد، كأنه ذهب إلى معنى المرافقة.

---

(٥١٠) رواه ابن جرير (١٥/ ٢٣٩) وأحمد (٤/ ٢٢٣). والحاكم (٤/ ٥٦٩) وصححه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٨٤) نسبته لابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والبخاري في التاريخ.

الثاني: منزلاً قاله الكلبي، مأخوذ من الارتفاق.

الثالث: أنه من الرفق.

الرابع: أنه من المتكأ مضاف إلى المرفق، ومنه قول أبي ذؤيب[٥١١]:

نَـامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللّيْـلَ مُـرْتَفِقـاً   كَأَنَّ عَيْنِي فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

قوله عزوجل: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجْر من أحسن عملاً﴾** روى البراء بن عازب[٥١٢] أن أعرابياً قام إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: إني رجل متعلم فأخبرني عن هذه الآية **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾** الآية فقال رسول الله ﷺ **«يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك، هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت فيهم»**.

قوله عز وجل: **﴿... ويلبسون ثياباً خُضْراً مِن سندس وإستبرق﴾** أما السندس: ففيه قولان:

أحدهما: أنه من ألطف من الديباج، قاله الكلبي.

الثاني: ما رَقَّ من الديباج، واحده سندسة، قاله ابن قتيبة.

وفي الاستبرق قولان:

أحدهما: أنه ما غلظ من الديباج، قاله ابن قتيبة، وهو فارسي معرب، أصله استبره وهو الشديد، وقد قال المرقش[٥١٣]:

---

(٥١١) ديوان الهذليين (١/١٠٤) وشرح أشعار الهذليين (١/١٢٠) مجاز القرآن (١/٤٠٠) والطبري (٢٤١/١٥) والقرطبي (١٠/٣٩٥) الكشاف (٢/٢٨٣) اللسان صوب، شواهد المغني (٧٢).

(٥١٢) ولم اهتد إلى تخريجه ولكن قد ورد في فضائل الخلفاء الأربعة أحاديث كثيرة منها أحاديث صحيحة انظر على سبيل المثال السنة لابن أبي عاصم (٢/٥٣٩ ـ ٥٥١) وكذلك في مجمع الزوائد (٩/٥١ ـ ٦٠).

(٥١٣) الطبري (١٥/٢٤٣) ولم ينسبه، وفي فتح القدير (٣/٢٨٣) اقتصر على الشطر الثاني منه.

تـراهُنَّ يَلبسْنَ المشـاعِـرَ مـرة وإسْتَبْـرَقَ الديبـاج طوراً لبـاسُها

الثاني: أنه الحرير المنسوج بالذهب، قاله ابن بحر.

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها الحجال، قاله الزجاج.

الثاني: أنها الفُرُش في الحجال.

الثالث: أنها السرر في الحجال، وقد قال الشاعر[٥١٤]:

خدوداً جفت في السير حتى كأنما يباشرْن بالمعزاء مَسَّ الأرائكِ

۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: **﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾** الجنة: البستان، فإذا جمع العنب والنخل وكان تحتها زرع فهي أجمل الجنان وأجداها نفعاً، لثمر أعاليها وزرع أسافلها، وهو معنى قوله **﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾**.

﴿كلتا الجَنتيـن آتت أُكُلها﴾ أي ثمرها وزرعها، وسماه أُكلاً لأنه مأكول.

﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي استكمل جميع ثمارها وزرعها.

﴿وفجرنا خِلالهما نهراً﴾ يعني أن فيهما أنهاراً من الماء، فيكون ثمرها وزرعها بدوام الماء فيهما أوفى وأروى، وهذه غاية الصفات فيما يجدي ويغل.

وفي ضرب المثل في هاتين الجنتين قولان:

أحدهما: ما حكاه مقاتل بن سليمان أنه إخبار الله تعالى عن أخوين كانا في

(٥١٤) هو ذو الرمة والبيت في ديوانه: ٤٢٢ والطبري (١٥/٢٤٣).

بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً جزيلاً، قال ابن عباس ثمانية آلاف دينار. فأخذ أحدهما حقه وهو مؤمن فتقرب به إلى الله تعالى، وأخذ الآخر حقه منه وهو كافر فتملك به ضياعاً منها هاتان الجنتان، ولم يتقرب إلى الله تعالى بشيء منه، فكان من حاله ما ذكره الله من بعد، فجعله الله تعالى مثلاً لهذه الأمة . .

والقول الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لهذه الأمة، وليس بخبر عن حال متقدمة، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، وجعله زجراً وإنذاراً.

قوله عزوجل: ﴿وكان له ثمرٌ﴾ قرأ عاصم بفتح الثاء[٥١٥] والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون ثُمُر بضم الثاء والميم. وفي اختلاف هاتين القراءتين بالضم والفتح قولان:

أحدهما: معناهما واحد، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الذهب والفضة، قاله قتادة،لأنها أموال مثمرة.

الثاني: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس، لأن تثميره أكثر.

الثالث: أنه الأصل الذي له نماء، قاله ابن زيد، لأن في النماء تثميراً.

والقول الثاني: أن معناهما بالضم وبالفتح مختلف، فعلى هذا في الفرق بينهما، أربعة أوجه:

أحدها: أنه بالفتح جمع ثمرة، وبالضم جمع ثمار.

الثاني: أنه بالفتح ثمار النخيل خاصة، وبالضم جميع الأموال، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله، وبالضم ما كان ثماره من غيره.

الرابع: أن الثمر بالضم الأصل، وبالفتح الفرع، قاله ابن زيد.

وفي هذا الثمر المذكور قولان:

أحدهما: أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنه ثمر ملكه من غير جنتيه، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصولها، قاله ابن عباس، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله فيكون أعم مِلكا.

﴿فقال لصاحبه﴾ يعني لأخيه المسلم الذي صرف ماله في القُرب طلباً للثواب

---

(٥١٥) راجع زاد المسير (٥/ ١٤٠، ١٤١).

في الآخرة، وصرف هذا الكافر ماله فيما استبقاه للدنيا والمكاثرة.

﴿وهو يحاوره﴾ أي يناظره. وفيما يحاوره فيه وجهان:

أحدهما: في الإيمان والكفر.

الثاني: في طلب الدنيا وطلب الآخرة، فجرى بينهما ما قصه الله تعالى من قولهما.

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فعسى ربّي أن يؤتين خيراً مِنْ جنتك﴾ فيه وجهان:

أحدهما: خيراً من جنتك في الدنيا فأساويك فيها.

الثاني: وهو الأشهر خيراً من جنتك في الآخرة، فأكون أفضل منك فيها.

﴿ويرسل عليها حُسْباناً من السماء﴾ فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني عذاباً، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني: ناراً.

الثالث: جراداً.

الرابع: عذاب حساب بما كسبت يداك، قاله الزجاج، لأنه جزاء الآخرة والجزاء من الله تعالى بحساب.

الخامس: أنه المرامي الكثيرة، قاله الأخفش وأصله الحساب وهي السهام التي يرمى بها في طلق واحد، وكان من رَمي الأساورة.

﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾ يعني أرضاً بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم، وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض.

﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ يعني ويصبح ماؤها غوراً، فأقام أو مقام الواو. و﴿غوراً﴾ يعني غائراً ذاهباً فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كان فيها.

﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: **فلن** تستطيع رد الماء الغائر.

الثاني: فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه وإلى هذا الحد انتهت مناظرة أخيه وإنذاره.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾

قوله عزوجل: ﴿وأحيط بثمرِهِ﴾ أي أهلك ماله، وهذا أول ما حقق الله به إنذار أخيه.

﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾ ويحتمل وجهين:

أحدهما: يقلب كفيه ندماً على ما أنفق فيها وأسفاً على ما تلف.

الثاني: يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك، لأن الملك قد يعبر عنه باليد، من قولهم في يده مال، أي في ملكه.

﴿وهي خاويةٌ على عروشِها﴾ أي منقلبة على عاليها فجمع عليه بين هلاك الأصل والثمر، وهذا من أعظم الجوائح مقابلة على بغيه.

قوله عزوجل: ﴿ولم تكُنْ له فِئة ينصرونه منْ دونِ الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفئة الجند، قاله الكلبي.

الثاني: العشيرة، قاله مجاهد.

﴿وما كان منتصراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما كان ممتنعاً، قاله قتادة.

الثاني: وما كان مسترداً بدل ما ذهب منه.

قال ابن عباس: هما الرجلان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات حيث يقول:

﴿إني كان لي قرين﴾ إلى قوله ﴿في سواء الجحيم﴾ وهذا مثل قيل إنه ضرب لسلمان وخباب وصهيب مع أشراف قريش من المشركين.

قوله تعالى: ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾ يعني القيامة. وفيه أربعة أوجه:

أحدها: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة فلا يبقى مؤمن ولا كافر إلا تولاه، قاله الكلبي.

الثاني: أن الله تعالى يتولى جزاءهم، قاله مقاتل.

الثالث: أن الولاية مصدر الولاء فكأنهم جميعاً يعترفون بأن الله تعالى هو الوليّ قاله الأخفش.

الرابع: أن الولاية النصر، قاله اليزيدي.

وفي الفرق بين الولاية بفتح الواو وبين الولاية بكسرها وجهان:

أحدهما: أنها بفتح الواو: للخالق، وبكسرها: للمخلوقين، قاله أبو عبيدة.

الثاني: أنها بالفتح في الدين، وبكسرها في السلطان.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

قوله عزوجل: ﴿**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض**﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الماء اختلط بالنبات حين استوى.

الثاني: أن النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء حتى نما.

﴿**فأصبح هشيماً تذروهُ الرياحُ**﴾ يعني بامتناع الماء عنه، فحذف ذلك إيجازاً لدلالة الكلام عليه، والهشيم ما تفتت بعد اليبس من أوراق الشجر والزرع، قال الشاعر:

فأصبحت نيّماً أجسادهم   يشبهها من رآها الهشيما

واختلف في المقصود بضرب هذا المثل على قولين:

أحدهما: أن الله تعالى ضربه مثلاً للدنيا ليدل به على زوالها بعد حسنها وابتهاجها:

الثاني: أن الله تعالى ضربه مثلاً لأحوال أهل الدنيا أن مع كل نعمة نقمة ومع كل فرحة ترحة.

قوله عزوجل: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ لأن في المال جمالاً ونفعاً وفي ﴿البنين﴾ قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا.

﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾ فيها أربعة تأويلات:

أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس(٥١٦) وسعيد بن جبير.

الثاني: أنها الأعمال الصالحة، قاله ابن زيد.

الثالث: هي الكلام الطيب. وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وقاله عطية العوفي.

الرابع: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قاله عثمان بن عفان(٥١٧) رضي الله عنه.

وروى أبو هريرة(٥١٨) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات».

وفي ﴿الصالحات﴾ وجهان:

أحدهما: أنها بمعنى الصالحين لأن الصالح هو فاعل الصلاح.

الثاني: أنها بمعنى النافعات فعبر عن المنفعة بالصلاح لأن المنفعة مصلحة.

وروي عن النبي(٥١٩) ﷺ أنه قال: «لما عُرج بي إلى السماء أريت إبراهيم

---

(٥١٦) رواه الطبري (١٥/١٦٥) وزاد ابن الجوزي في زاد المسير (٥/١٤٩) وقال: وبه قال ابن مسعود ومسروق وإبراهيم.

(٥١٧) الطبري (١٥/٢٥٤) وزاد السيوطي في الدر (٥/٣٩٨) نسبته لابن المنذر وأحمد قال الشوكاني (٣/٢٩٠) «والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير فلا وجه لقصرها على الصلاة كما قال البعض ولا لقصرها على نوع من أنواع الذكر كما قال بعض آخر ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبهذا تعرف ان تفسير الباقيات الصالحات في الأحاديث مما سيأتي لا ينافي هذا اللفظ على ما هو عمل صالح من غيرها ا هـ. قلت وقد اختار القول بالعموم ابن جرير (١٥/٢٥٦).

(٥١٨) رواه الطبري (١٥/٢٢٥) وذكر السيوطي في الدر (٥/٣٩٦) روايات له متقاربة من حديث أبي هريرة.

(٥١٩) رواه الطبري (١٥/٢٥٥) من حديث أبي أيوب الأنصاري وبنحوه رواه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب.

فقال: مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقلت وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

﴿خير عند ربك ثواباً﴾(٥٢٠) يعني في الآخرة، **﴿وخير أملاً﴾** يعني عند نفسك في الدنيا، ويكون معنى قوله **﴿وخيرٌ أملاً﴾** يعني أصدق أملاً، لأن من الأمل كواذب وهذا أمل لا يكذب.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

قوله عزوجل: **﴿ويوم نُسَيِّر الجبال﴾** فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يسيرها من السير حتى تنتقل عن مكانها لما فيه من ظهور الآية وعظم الإعتبار.

الثاني: يسيرها أي يقللها حتى يصير كثيرها قليلاً يسيراً.

الثالث: بأن يجعلها هباء منثوراً(٥٢١).

﴿وترى الأرض بارزة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه بروز ما في بطنها من الأموات بخروجهم من قبورهم(٥٢٢).

الثاني: أنها فضاء لا يسترها جبل ولا نبات.

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ فيه ثلاثة تأويلات.

---

(٥٢٠) وللعلامة الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بني كيكلدي العلائي الدمشقي جزء في تفسير الباقيات الصالحات وفضلها فراجعه فإنه اشتمل على فوائد ممتعة.

(٥٢١) قال العلامة الآلوسي في روح المعاني (١٥/٢٨٨) وقد ذكر بعض المحققين أخذاً من الآيات أنه أولاً تنفصل الجبال عن الأرض وتسير في الجو ثم تسقط فتصير كثيباً مهيلاً ثم هباءاً منثوراً.

(٥٢٢) قال الآلوسي (١٥/٢٨٨) «وهو خلاف الظاهر» وقال العلامة ابن الجوزي في زاد المسير (٥/١٥٠) عن القول الثاني وهو قول الأكثرين.

أحدها: يعني فلم نخلف منهم أحداً، قاله ابن قتيبة، قال ومنه سمي الغدير لأنه ما تخلفه[٥٢٣] السيول.

الثاني: فلم نستخلف منهم أحداً، قاله الكلبي.

الثالث: معناه فلم نترك منهم أحداً، حكاه مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿وعُرِضوا على ربِّك صَفّاً﴾ قيل إنهم يُعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة، وقيل إنهم يحشرون عراة حفاة غرلاً، فقالت[٥٢٤] عائشة رضي الله عنها فما يحتشمون يومئذ؟ فقال النبي ﷺ «﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾» [عبس: ٣٧].

قوله عزوجل: ﴿ووضع الكتابُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها كتب الأعمال[٥٢٥] في أيدي العباد، قاله مقاتل.

الثاني: أنه وضع الحساب، قاله الكلبي، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة.

﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ لأنه أحصاه الله ونسوه.

﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها﴾.

وفي الصغيرة[٥٢٦] تأويلان:

أحدهما: أنه الضحك، قاله ابن عباس[٥٢٧].

الثاني: أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرها.

(٥٢٣) كذا في المطبوعة وهو خطأ فاحش والصواب لأنه ماءٌ تخلفه السيول والتصويب من زاد المسير (١٩١/٥) وروح المعاني (٢٨٩/١٥).

(٥٢٤) رواه البخاري (٣٣٤/١١) ومسلم (٢٨٥٩) والنسائي (١١٤/٤) وأحمد (٢٢٣/١).

(٥٢٥) وهو القول الصواب واختاره ابن جرير وغيره ويدل عليه قوله ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ وقوله ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر فنسأل الله الحساب اليسير والستر في الدنيا والآخرة.

(٥٢٦) وقد فصل ابن الجوزي رحمه الله هنا في معنى الكبيرة والصغيرة المراد في الآية فراجعه (١٥٣/٥) زاد المسير.

(٥٢٧) قال العلامة الآلوسي (٢٩١/١٥) «وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في الآية الصغيرة التبسم والاستهزاء بالمؤمنين والكبيرة القهقهة بذلك وعلى هذا يحمل إطلاق ابن مردويه في الآية عنه رضي الله تعالى عنه تفسير الصغيرة بالتبسم والكبيرة بالضحك ويندفع استشكال بعض الفضلاء ذلك ويعلم من أن الضحك على الناس من الذنوب».

وأما الكبيرة[٥٢٨] ففيها قولان:

أحدهما: ما جاء النص بتحريمه.

الثاني: ما قرن بالوعيد والحَـدِّ.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الصغيرة الشهوة، والكبيرة العمل.

قال قتادة: اشتكى القوم الإحْصاء وما اشتكى أحد ظلماً، وإياكم والمحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

﴿ووجَدوا ما عَملوا حاضِراً﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضراً في الكتاب.

الثاني: ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلاً في القيامة.

﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ يعني من طائع في نقصان ثوابه، أو عاص في زيادة عقابه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله عزوجل: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجُدوا لآدم فسجـدوا إلا إبليس كان من الجنِّ﴾** فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه كان من الجن على ما ذكره الله تعالى. ومنع قائل هذا بعد ذلك أن يكون من الملائكة لأمرين:

أحدهما: أن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم.

الثاني: أن الملائكة رسل الله سبحانه ولا يجوز عليهم الكفر، وإبليس قـد كفر، قال الحسن[٥٢٩]: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس.

---

(٥٢٨) وقد تقدم في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم﴾ الآية معنى الكبيرة وأمثلة منها.

(٥٢٩) تقدم قول الحسن في سورة البقرة والحجر عن أصل إبليس ورواه ابن جرير عنه وصححه ابن كثير.

الثاني: أنه من الملائكة، ومن قالوا بهذا اختلفوا في معنى قوله تعالى **﴿كان من الجن﴾** على ثلاثة أقاويل:

أحدها: ما قاله قتادة أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجن.

الثاني: ما قاله ابن عباس، أنه كان من الملائكة من خزان الجنة ومدبر أمر السماء الدنيا فلذلك قيل من الجن لخزانة الجنة، كما يقال مكي وبصري.

الثالث: أن الجن سبط من الملائكة[٥٣٠] خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور، قاله سعيد بن جبير، قاله الحسن: خلق إبليس من نار وإلى النار يعود.

الثالث: أن إبليس لم يكن من الإنس ولا من الجن[٥٣١]، ولكن كان من الجان، وقد مضى من ذكره واشتقاق اسمه ما أغنى.

﴿ففسق عن أمر ربه. . .﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن الفسق الاتساع ومعناه اتسع في محارم الله تعالى.

الثاني: أن الفسق الخروج أي خرج من طاعة ربه، من قولهم فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من حجرها قال رؤبة بن العجاج[٥٣٢]:

يهوين من نجدٍ وغورٍ غائرا   فواسقاً عن قصدها جوائرا

وفي قوله تعالى: **﴿. . . بئس للظالمين بدلاً﴾** وجهان:

أحدهما: بئس ما استبدلوا بطاعة الله طاعة إبليس، قاله قتادة.

الثاني: بئس ما استبدلوا بالجنة النار.

۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾

---

(٥٣٠) لكن الحديث الوارد الصحيح يقول «خلقت الملائكة من نور وهذا المعنى عام لم يأت ما يخصه والأولى أن يقال إن ابليس دخل معهم في الصورة والخطاب وخرج منهم بجنسه» وهو قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى.

(٥٣١) وقد تعقب هذا القول راجع سورة الحجر آية ٢٧.

(٥٣٢) ديوانه: ١٩٠ اللسان فسق مجاز القرآن (١/٤٠٦) الطبري (١٥/٢٦١) روح المعاني (١٥/٢٩٣).

قوله عزوجل: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما أشهدت إبليس وذريته.

الثاني: ما أشهدت جميع الخلق خلق السموات والأرض.

وفيه وجهان:

أحدهما: ما أشهدتهم إياها استعانة بهم في خلقها.

الثاني: ما أشهدتهم خلقها فيعلموا من قدرتي ما لا يكفرون معه.

ويحتمل ثالثاً: ما أشهدتهم خلقها فيحيطون علماً بغيبها لاختصاص الله بعلم الغيب دونه خلقه.

﴿ولا خلق أنفسهم﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ما استعنت ببعضهم على خلق بعض.

الثاني: ما أشهدت بعضهم خلق بعض.

ويحتمل ثالثاً: ما أعلمتم خلق أنفسهم[٥٣٣] فكيف يعلمون خلق غيرهم.

﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني أولياء.

الثاني: أعواناً[٥٣٤]، ووجدته منقولاً عن الكلبي.

وفيما أراد أنه لم يتخذهم فيه أعواناً وجهان:

أحدهما: أعواناً في خلق السموات والأرض.

الثاني: أعواناً لعبدة الأوثان، قاله الكلبي.

---

(٥٣٣) وهذه الآية من أكبر الأدلة بل من الصادعات الرادعات لكل من أصابته عدوى وهوس نظرية تشالز دارون التي تمحض عنها بأن الانسان أصله قرد ولقد انتشرت هذه النظرية في مدارسنا وجامعاتنا انتشار النار في الهشيم ويدرسها قوم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وبعضهم والعياذ بالله يشرحها على أنها حقيقة مسلّم بها ونسي هؤلاء أو تناسوا قول الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾. والتكريم يقتضي رفعه عن هذه الحيوانات في المراتب الخلقية والعقلية والبدنية وكذلك قوله ﴿الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾ وكذلك قوله «وصوركم فأحسن صوركم» وقوله ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾.

ألا تدل هذه الآيات وغيرها كثير وكثير وكذا الأحاديث الواردة في خلق الإنسان ألا يدل هذا كله على إبطال هذه النظرية التي قالها هذا اليهودي قاتله الله»؟

(٥٣٤) وهو قول قتادة رواه الطبري (١٥/٢٦٣).

وفي هؤلاء المضلين قولان[٥٣٥]:

أحدهما: إبليس وذريته.

الثاني: كل مضل من الخلائق كلهم.

قال بعض السلف: إذا كان ذنب المرء من قبل الشهوة فارْجُه، وإذا كان من قبل الكبر فلا ترْجه، لأن إبليس كان ذنبه من قبل الكبر فلم تقبل توبته، وكان ذنب آدم من قبل الشهوة فتاب الله عليه. وقد أشار بعض الشعراء إلى هذا المعنى فقال:

إذا ما الفتى طاح في غيّه فَرَجٌ الفتى للتُّقى رَجّه
فقد يغلط الركب نهج الطريق ثم يعود إلى نهجه

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزوجل: ﴿... وجعلنا بينهم موبقاً﴾ فيه ستة أقاويل:

أحدها: مجلساً، قاله الربيع.

الثاني: مهلكاً، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، قال الشاعر:

استغفر الله أعمالي التي سلفت من عثرةٍ إن تؤاخذني بها أبق

أي أهلك، ومثله قول زهير:

ومن يشتري حسن الثناء بماله يصن عرضَه من كل شنعاء موبق

قال الفراء: جعل تواصلهم في الدنيا مهلكاً في الآخرة.

الثالث: موعداً، قاله أبو عبيدة.

الرابع: عداوة، قاله الحسن.

الخامس: أنه واد في جهنم، قاله أنس بن مالك.

---

(٥٣٥) راجع روح المعاني فقد توسع في ذلك (١٥/٢٩٦ ـ ٢٩٧): وقال «واستدل بها (أي بالآية) على أنه لا ينبغي الاستعانة بالكافر. في أمور الدين كجهاد الكفار وقتال أهل البغي كما ذهب اليه بعض الائمة ولبعضهم في ذلك تفصيل وأما الإستعانة بهم في أمور الدنيا فالذي يظهر أنه لا بأس بها سواء كانت في أمر ممتهن كنزح الكنف أو غيره.... الخ.

السادس: أنه واد يفصل بين الجنة والنار، حكاه بعض المتأخرين.

قوله عزوجل: ﴿ورأى المجرمون النّار﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم عاينوا في المحشر.

الثاني: أنهم علموا بها عند العرض.

﴿فظنّوا أنهم مُواقعوها﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنهم أمّلوا العفو قبل دخولها فلذلك ظنوا أنهم مواقعوها.

الثاني: علموا أنهم مواقعوها لأنهم قد حصلوا في دار اليقين وقد يعبر عن العلم بالظن لأن الظن مقدمة العلم.

﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: ملجأ، قاله الكلبي.

الثاني: معدلاً ينصرفون إليه، قاله ابن قتيبة، ومنه قول أبي كبير الهذلي(٥٣٦):

أزهيـر هـل عن شيبـةٍ من مصـرِفِ ... أم لا خـلـود لـبـاذل مـتـكـلـفِ

وفي المراد وجهان:

أحدهما: ولم يجد المشركون عن النار مصرفاً.

الثاني: ولم تجد الأصنام مصرفاً للنار عن المشركين.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كلِّ مثَل﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ما ذكره لهم من العبر في القرون الخالية.

الثاني: ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية. فيكون على الوجه الأول جزاء، وعلى الثاني بياناً.

﴿وكان الإنسان أكثر شيءٍ جَدلاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: عناداً، وهو مقتضى الوجه الأول.

(٥٣٦) ديوان الهذليين: ١٠٤ مجاز القرآن (٤٠٧/١) الطبري (٢٢٦/١٥) روح المعاني (٢٩٩/١٥) ووقع فيه تحريف والكشاف (٣٩٤/٢).

الثاني: حجاجاً وهو مقتضى القول الثاني.

روي أن النبي ﷺ(٥٣٧) دخل على عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال: «**الصلاة، ألا تصليان؟** فقال علي رضي الله عنه: إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف النبي ﷺ وهو يقول﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾ [الكهف: ٥٤].

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

قوله عزوجل: ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءَهم الهُدى**﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وما منع الناس أنفسهم أن يؤمنوا.

الثاني: ما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا.

وفي هذا الهدي وجهان:

أحدهما: حجج الله الدالة على وحدانيته ووجوب طاعته.

الثاني: رسول الله ﷺ المبعوث لهداية الخلق.

﴿**إلاّ أن تأتيهم سنةُ الأولين**﴾ أي عادة الأولين في عذاب الإستئصال.

﴿**أو يأتيهم العذاب قبلاً**﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿**قُبُلاً**﴾ بضم القاف(٥٣٨) والباء وفيه وجهان:

أحدهما: تجاه، قاله مجاهد.

الثاني: أنه جمع قبيل معناه ضروب العذاب.

ويحتمل ثالثاً: أن يريد: من أمامهم مستقبلاً لهم فيشتد عليهم هول مشاهدته.

---

(٥٣٧) رواه البخاري (٤٠٨/٨) ومسلم (٧٧٥) والنسائي (٣،٢٠٥، ٢٠٦) وزاد السيوطي في الدر (٤٠٦/٥) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥٣٨) انظر زاد المسير (١٥٨/٥) الحجة في القراءات ٤٢٠.

وقرأ الباقون قِبَلاً[٥٣٩] بكسر القاف، وفيه وجهان:

أحدهما: مقابلة.

الثاني: معاينة.

ويحتمل ثالثاً: من قبل الله تعالى بعذاب من السماء، لا من قبل المخلوقين، لأنه يعم ولا يبقى فهو أشد وأعظم.

قوله عزوجل: ﴿. . لِيُدحضوا به الحقَّ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: ليذهبوا به الحق، ويزيلوه، قاله الأخفش.

الثاني: ليبطلوا به القرآن ويبدلوه، قاله الكلبي.

الثالث: ليهلكوا به الحق. والداحض الهالك، مأخوذ من الدحض وهو الموضع المزلق من الأرض الذي لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم، قال الشاعر[٥٤٠]:

رَدِيت ونجّى اليشكري حِذارُه وحادَ كما حادَ البعير عن الدحض

﴿واتخذوا آياتي وما أنذروا هُزُواً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الآية البرهان، وما أنذروا القرآن.

الثاني: الآيات القرآن وما أنذروا الناس.

ويحتمل قوله: ﴿هزواً﴾ وجهين:

أحدهما: لعباً.

الثاني: باطلاً.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ

---

(٥٣٩) انظر زاد المسير (١٥٨/٥) الحجة في القراءات ٤٢٠.

(٥٤٠) قيل هو طرفة بن العبد والبيت في اللسان (دحض) وأساس البلاغة(دحض) الطبري (٢٦٨/١٥) ومجاز القرآن (٤٠٨/١).

أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

قوله عزوجل: ﴿وربُّكَ الغفور﴾ يعني للذنوب وهذا يختص به أهل الإيمان دون الكفرة[٥٤١].

﴿ذو الرّحمة . . .﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها: ذو العفو.

الثاني: ذو الثواب، وهو على هذين الوجهين مختص بأهل الإيمان[٥٤٢] دون الكفرة.

الثالث: ذو النعمة.

الرابع: ذو الهدى، وهو على هذين الوجهين يعم أهل الإيمان وأهل الكفر لأنه ينعم في الدنيا على الكافر كإنعامه على المؤمن، وقد أوضح هداه للكافر كما أوضحه للمؤمن، وإن اهتدى به المؤمن دون الكافر.

﴿بل لهم موعدٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجل مقدر يؤخرون إليه.

الثاني: جزاء واجب يحاسبون عليه.

﴿لن يجدوا مِن دونه مَوْئلاً﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: ملجأ، قاله ابن عباس وابن زيد.

الثاني: محرزاً، قاله مجاهد.

الثالث: ولياً، قاله قتادة.

الرابع: منجى، قاله أبو عبيدة. قال والعرب تقول: لا وألَت نفسه، أي لا نجت، ومنه قول الشاعر[٥٤٣]:

لا وألت نفسك خلّيتها للعامريّين ولم تُكْلَمِ

قوله عزوجل: ﴿وتلك القُرى أهلكناهم لمّا ظلموا﴾ فيه وجهان:

---

(٥٤١) بدليل قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقاً﴾ سورة النساء.

(٥٤٢) بدليل قوله تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ سورة الأعراف.

(٥٤٣) اللسان (وأل) والطبري (١٥/٢٦٩) والقرطبي (١١/٨) زاد المسير (٥/١٦٠) فتح القدير (٣/٢٩٦) فتح الباري (٨/٤٠٦).

أحدهما: أهلكناهم بالعذاب لما ظلموا بالكفر.

الثاني: أهلكناهم بأن وكلناهم إلى سوء تدبيرهم لما ظلموا بترك الشكر.

﴿وجعلنا لمهلكهم مَوْعِداً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أجلا يؤخرون إليه، قاله مجاهد.

الثاني: وقتاً يهلكون فيه. وقرىء بضم الميم[٥٤٤] وفتحها[٥٤٥]، فهي بالضم من أُهلك وبالفتح من هَلَك.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

قوله عزوجل: **﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾** يعني يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وسمي فتاهُ لملازمته إياه، قيل في العلم، وقيل في الخدمة. وهو خليفة موسى على قومه من بعده.

وقال محمد بن إسحاق: إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن منشى بن يوسف[٥٤٦]، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران.

والذي عليه جمهور المسلمين أنه موسى بن عمران[٥٤٧].

---

(٥٤٤) وهي قراءة الأكثرين كما قاله ابن الجوزي (١٦١/٥) زاد المسير.

(٥٤٥) وهي قراءة أبي بكر عن عاصم بفتح الميم واللام وهناك روايات أخرى عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام ومعناه لوقت اهلاكهم زاد المسير (١٦١/٥).

(٥٤٦) والذي في زاد المسير (١٦٤/٥) «موسى بن ميشا».

(٥٤٧) ويدل عليه خبر الصحيحين من حديث سعيد بن جبير قلت لابن عباس إن نوفاً البكالي يزعم أن =

﴿لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: يعني بحر الروم وبحر فارس، أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب وحكى الطبري أنه ليس في الأرض مكان أكثر ماء منه.

والقول الثاني: هو بحر أرمينية مما يلي الأبواب.

الثالث: الخضرُ وإلياس(٥٤٨)، وهما بحران في العلم، حكاه السدي.

﴿أو أمضي حُقباً﴾ فيه خمسة أوجه:

أحدها: أن الحقب ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمر.

الثاني: سبعون سنة، قاله مجاهد.

الثالث: أن الحقب الزمان، قاله قتادة.

الرابع: أنه الدهر، قاله ابن عباس، ومنه قول امرىء القيس(٥٤٩):

نحن الملوك وأبناء الملوك، لنا ... مِلكٌ به عاش هذا الناس أحقابا

الخامس: أنه سنة بلغة قيس، قاله الكلبي.

وفي قوله **﴿لا أبْرحُ﴾** تأويلان:

أحدهما: لا أفارقك، ومنه قول الشاعر(٥٥٠):

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً ... وتحمل أُخرى أثقلتك الودائع

= موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر قال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب.. الحديث.

ونقل الشوكاني قول ابن إسحاق في فتح القدير (٢٩٧/٣) وقال وهذا باطل قد ردّه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم» وقال ابن الجوزي (١٦٣/٥) عن قول ابن إسحاق ليس بشيء».

(٥٤٨) وفي قول آخر «الخضر وموسى» قال الشوكاني في فتح القدير (٢٩٨/٣) معقباً على القول الذي هنا وهو من الضعف بمكان وقد حكي عن ابن عباس ولا يصح قال الحافظ في الفتح (٤١٠/٨) «وأغرب من ذلك ما نقله القرطبي عن ابن عباس قال المراد بمجمع البحرين اجتماع موسى والخضر لأنهما بحران والله أعلم وهذا غير ثابت ولا يقتضيه اللفظ وإنما يحسن أن يذكر في مناسبة اجتماعهما بهذا المكان المخصوص كما قال السهيلي اجتمع البحران بمجمع البحرين» اهـ وقال العلامة الألوسي (٣١٢/١٥) تعقيباً على هذا التفسير. «هو تأويل صوفي والسياق ينبو عنه».

(٥٤٩) ديوانه: ٢٧٩ من قصيدة له أولها:

بأن الملوك وأمسي القلب مرتابا ... من هؤلاء الناس عاشوا بعد أحزاب

(٥٥٠) هو بهيس العذري والبيت في اللسان «برح».

الثاني: لا أزال، قاله الفراء، ومنه قول الشاعر[٥٥١]:

وأبرح ما أدام اللهُ قومي بحمد الله منتطقاً مجيداً

أي لا أزال. وقيل إنه قال﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ لأنه وعد أن يلقى عنده الخضر عليه السلام.

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حُوتَهما﴾ قيل إنهما تزودا حوتاً مملوحاً وتركاه حين جلسا، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه ضل عنهما حتى اتخذ سبيله في البحر سرباً، فسمي ضلاله عنهما نسياناً منهما.

الثاني: أنه من النسيان له والسهو عنه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الناسي له أحدهما وهو يوشع بن نون وحده وإن أضيف النسيان إليهما، كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه أحدهم.

الثاني: أن يوشع نسي أن يحمل الحوت ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فصار كل واحد منهما ناسياً لغير ما نسيه الآخر.

﴿فاتّخذ سبيله في البحر سَرَباً﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: مسلكاً، قاله مجاهد وابن زيد.

الثاني: يبساً، قاله الكلبي.

الثالث: عجباً، قاله مقاتل.

قوله عزوجل: ﴿فلما جاوَزا﴾ يعني مكان الحوت.

﴿قال لفَتاهُ﴾ يعني موسى قال لفتاه يوشع بن نون.

﴿آتِنا غداءَنا﴾ والغداء الطعام بالغداة كما أن العشاء طعام العشي والإنسان إلى الغداء أشد حاجة منه إلى العشاء.

﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه التعب.

الثاني: الوهن.

---

(٥٥١) هو خداش بن زهير والبيت في اللسان «نطق» وفيه «على الأعداء» بدلاً من بحمد الله.

﴿قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة﴾ فيه قولان:

أحدهما: قاله مقاتل، إن الصخرة بأرض تسمى شره ان على ساحل بحر أيلة، وعندها عين تسمى عين الحياة.

الثاني: أنها الصخرة التي دون نهر الزيت على الطريق.

﴿فإني نسيت الحُوت﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فإني نسيت حمل الحوت.

الثاني: فإني نسيت أن أخبرك بأمر الحوت.

﴿وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن اذكُره﴾ أي أنسانية بوسوسته إليّ وشغله لقلبي.

﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ فيه قولان:

أحدهما:[٥٥٢] انه كان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار ماؤه صخراً فلما رآه موسى عجب من مصير الماء صخراً.

الثاني: أن موسى لما أخبره يوشع بأمر الحوت رجع الى مكانه فرأى أثر الحوت في البحر ودائرته التي يجري فيها فعجب من عود الحوت حياً.

﴿قال ذلك ما كُنّا نبغِ﴾ أي نطلب، وذلك أنه قيل لموسى إنك تلقى الخضر في موضع تنسى فيه متاعك، فعلم أن الخضر بموضع الحوت.

﴿فارتدّا على آثارهما قَصصاً﴾ أي خرجا إلى آثارهمايقصان أثر الحوت ويتبعانه.

﴿فَوَجدا عَبْداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: النبوة،[٥٥٣] قاله مقاتل.

الثاني: النعمة.

الثالث: الطاعة.

الرابع: طول الحياة.

﴿وعلّمناه من لدُنا عِلْماً﴾ قال ابن عباس لما اقتفى موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل راقد وقد سجي عليه ثوبه، فسلم عليه موسى، فكشف ثوبه عن وجهه وردّ عليه

---

(٥٥٢) وهو قول ابن عباس رواه الطبري (١٥/٢٧٤) وإسناده ضعيف.

(٥٥٣) ولعله أقرب إلى الصواب فإن الله تعالى سمى النبوة رحمة كما في سورة الزخرف ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ على أن القول الثاني لا ينافي الأول فإن النبوة نعمة وهبة من الله تعالى لعبد من عباده».

السلام وقال: من أنت؟ قال: موسى. قال صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: وما لك في بني إسرائيل شغل، قال: أمرت أن آتيك وأصحبك.

واختلفوا في الخضر هل كان مَلَكاً أو بشراً على قولين:

أحدهما: أنه كان ملكاً(٥٥٤) أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه مما حمّله إياه من علم الباطن.

الثاني: أنه كان بشراً من الإنس(٥٥٥).

واختلف من قال هذا على قولين:

أحدهما: كان نبياً(٥٥٦) لأن الإنسان لا يتعلم ولا يتبع إلا من هو فوقه؛ ولا يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، قال مقاتل: هو اليسع لأنه وسع علمه ست سموات وست أرضين.

الثاني: أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أودعه الله تعالى مِن علْم باطن الأمور ما لم يودع غيره، لأن النبي هو الداعي، والخضر كان مطلوباً ولم يكن داعياً طالباً، وقد ذكر أن سبب تسميته بالخضر لأنه كان إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله(٥٥٧).

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ

---

(٥٥٤) وهو الصواب بلا مرية ولا دليل على القول الأول.

(٥٥٥) وهذا القول لا دليل عليه ومن ثم قال الألوسي (٣١٩/١٥) وهاه ابن الجوزي وأنت تعلم أنه باطل... ومثله القول بأن اسمه الياس.

(٥٥٦) وهو الصواب إن شاء الله ونقله القرطبي عن الجمهور. والقول بنبوته يقطع الطريق على الطغام الذين يجعلون الولي أفضل من النبي ويزعمون أن الولاية درجه أعلى من النبوة حتى قال أحدهم.

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال الألوسي (٣٢٠/١٥) والتصور ما عليه الجمهور» أي القول بنبوة الخضر.

(٥٥٧) وهو قول مجاهد كما في الفتح (٤٣٣/٦).

وقد روى البخاري (٣٠٩/٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء قال الحافظ في الفتح (٤٣٣/٦) وزاد عبد الرزاق في مصنفه بعد أن أخرجه بهذا الإسناد الفرو الحشيش الأبيض وما أشبهه اهـ وقد نبه الحافظ رحمه الله على أن هذا التفسير من قول عبد الرزاق فيما نقله عن أحمد، رحمه الله.

ان شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾

قوله عزوجل: **﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رُشْداً﴾** في الرشد هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه العلم، قاله مقاتل ويكون تقديره على أن تعلمني مما علمت علماً.

الثاني: معناه على أن تعلمني مما علمت لإرشاد الله لك.

الثالث: ما يرى في علم الخضر رشداً يفعله وغياً يجتنبه، فسأله موسى أن يعلمه من الرشد الذي يفعله، ولم يسأله أن يعلمه الغيّ الذي يجتنبه لأنه عرف الغي الذي يجتنبه ولم يعرف ذلك الرشد.

﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: صبراً عن السؤال.

الثاني: صبراً عن الإنكار.

﴿وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبراً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: لم تجد له سبباً.

الثاني: لم تعرف له علماً، لأن الخضر علم أن موسى لا يصبر إذا رأى ما ينكر ظاهره.

﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ فوعد بالصبر والطاعة ثم استثنى بمشيئة الله تعالى حذراً مما يلي فأطاع ولم يصبر.

وفي قوله: **﴿ ولا أعصي لك أمراً﴾** وجهان:

أحدهما: لا ابتدىء بالإنكار حتى تبدأ بالإخبار.

الثاني: لا أفشي لك سراً ولا أدل عليك بشراً. فعلى الوجه الأول يكون مخالفاً. وعلى الوجه الثاني يكون موافقاً.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا

نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

قوله عزوجل: ﴿**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**﴾ لأنه أراد أن يعبر في البحر إلى أرض أخرى فركب في السفينة وفيها ركاب، فأخذ الخضر فأساً ومنقاراً فخرق السفينة حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع منها لوحين فضج ركابها من الغرق.

فـ ﴿**قال**﴾ له موسى ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها**﴾ وإن كان في غرقها غرق جميعهم لكنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه لأنها عادة الأنبياء.

ثم قال بعد تعجبه وإكباره ﴿**لقد جئت شيئاً إمْراً**﴾ فأكبر ثم أنكر، وفي الإمر ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني منكراً، قاله مجاهد،

الثاني: عجباً، قاله مقاتل.

الثالث: أن الإمر الداهية العظيمة، قاله أبو عبيدة وأنشد(٥٥٨):

قد لقي الأقران مِنّي نُكْرا داهيةً دهياء إدّاً إمْرا

وهو مأخوذ من الإمر وهو الفاسد الذي يحتاج إلى الصلاح، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه، ومنه أمِر القومُ إذا أكثروا لأنهم يحتاجون إلى من يأمرهم وينهاهم.

قوله عزوجل: ﴿**قال لا تؤاخذني بما نسيتُ**﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بما نسيته وغفلت عنه فلم أذكره، وقد رفعه أبي بن كعب(٥٥٩).

الثاني: بما كأني نسيته، ولم أنسه في الحقيقة. حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: لم ينس ولكنها معاريض الكلام.

الثالث: بما تركته من عهدك، قاله ابن عباس، مأخوذ من النسيان الذي هو الترك لا من النسيان الذي هو من السهو.

﴿**ولا تُرهقني مِنْ أمري عُسْراً**﴾ فيه أربعة أوجه:

---

(٥٥٨) مجاز القرآن (١/٤٠٩) واللسان (امرا) والطبري (١٥/٢٨٤).

(٥٥٩) وهو قوله في الحديث «فكانت الأولى من موسى نسياناً».
رواه البخاري (٨/٣١٠) ومسلم (٤/١٧٤٨).

أحدها: لا تعنفني على ما تركت من وصيتك، قاله الضحاك.

الثاني: لا يغشني منك العسر، من قولهم غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه البلوغ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال [٥٦٠] «ارهقوا القبلة» أي اغشوها واقربوا منها.

الثالث: لا تكلفني ما لا أقدر عليه من التحفظ عن السهو والنسيان، وهو معنى قول مقاتل:

الرابع: لا يلحقني منك طردي عنك.

قوله تعالى: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ يعني انطلق موسى والخضر فاحتمل أن يكون يوشع تأخر عنهما، لأن المذكور انطلاق اثنين وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر عن وحي، واحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تابع لموسى، فاقتصر على ذكر المتبوع دون التابع لقول موسى: ﴿ذلك ما كنا نبغي﴾ فكان ذلك منه إشارة إلى فتاه يوشع.

واختلف في الغلام المقتول هل كان بالغاً، فقال ابن عباس: كان رجلاً شاباً قد قبض على لحيته لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل، وقد يسمى الرجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية في الحجّاج [٥٦١]:

شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غُلامٌ إذا هزَّ القَناةَ سقاها

وقال الأكثرون: كان صغيراً غير بالغ وكان يلعب مع الصبيان، حتى مر به الخضر فقتله.

وفي سبب قتله قولان:

أحدهما: لأنه طبع على الكفر [٥٦٢].

---

(٥٦٠) رواه ابو يعلى (٧/٣٥٠، ٨/٢٥٣) والبزار في الزوائد (٢/٥٩) مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها وفي سنده مصعب بن ثابت قال البوصيري في إتحاف الخيرة (٤/٣٤٨) إسناده ضعيف لضعف مصعب بن ثابت.

وقال الهيثمي في المجمع (٢/٥٩) رواه أبو يعلى والبزار ورجاله موثقون ا هـ. قلت ومصعب وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وأما قول الهيثمي رحمه الله رجاله موثوقون فلا يعني صحة الحديث كما هو معلوم عند أهل الحديث. والحديث أورده ابن حجر في المطالب (١/٨٩).

(٥٦١) الأغاني (١١/٢٤٨) والقرطبي (١١/٢٨) روح المعاني (١٥/٣١٠) البحر المحيط (٦/١٥٠).

(٥٦٢) ويؤيده الحديث الصحيح الوارد أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً وانظر تأويله باستفاضة في كتاب ابن القيم: شفاء العليل ص.

الثاني: لأنه أصلح بقتله حال أبويه.

وفي صفة قتله قولان:

أحدهما: أنه أخذه من بين الصبيان فأضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبير.

الثاني: أنه أخذ حجراً فقتل به الغلام، قاله مقاتل فاستعظم موسى ما فعله الخضر من قتل الغلام من غير سبب.

فـ ﴿قال أقتلت نَفْساً زكيةً بغير نفْسٍ﴾ فاختلف هل قاله استخباراً أوإنكاراً على قولين:

أحدهما: أنه قال ذلك استخباراً عنه لعلمه بأنه لا يتعدى في حقوق الله تعالى.

الثاني: أنه قاله إنكاراً عليه لأنه قال ﴿لقد جئت شيئاً نُكراً﴾.

قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير ﴿زاكية﴾ وقرأ حمزة وابن عامر وعاصم والكسائي زكيّة[٥٦٣] بغير ألف.

واختلف في زاكية ـ وزكية على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أن معناهما واحد، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على ستة أوجه:

أحدها: أن الزاكية التائبة، قاله قتادة.

الثاني: أنها الطاهرة، حكاه ابن عيسى.

الثالث: أنها النامية الزائدة، قاله كثير من المفسرين، قال نابغة بني ذبيان:

وما أخرتَ من دُنياك نقص ... وإن قدّمْتَ عادَ لَك الزّكاءُ

يعني الزيادة.

الرابع: الزاكية المسلمة، قاله ابن عباس لأن عنده أن الغلام المقتول رجل.

الخامس: أن الزاكية التي لم يحل دمها، قاله أبو عمرو بن العلاء.

السادس: أنها التي لم تعمل الخطايا، قاله سعيد بن جبير.

والقول الثاني: أن بين الزاكية والزكية فرقاً، وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الزاكية في البدن، والزكية في الدين، وهذا قول أبي عبيدة.

(٥٦٣) زاد المسير (١٧٢/٥).

الثاني : أن الزكية أشد مبالغة من الزاكية ، قاله ثعلب .

الثالث : أن الزاكية التي لم تذنب ، والزكية التي أذنبت ثم تابت فغفر لها ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : شيئاً منكراً ، قاله الكلبي .

الثاني : أمراً فظيعاً قبيحاً ، وهذا معنى قول مقاتل .

الثالث : أنه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل .

الرابع : أنه أشد من الإمْر ، قاله قتادة .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : فلا تتابعني .

الثاني : فلا تتركني أصحبك ، قاله الكسائي .

الثالث : فلا تصحبني .

الرابع : فلا تساعدني على ما أريد .

﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذراً ﴾ قد اعتذرت حين أنذرت .

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴾

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ آسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ اختلف في هذه القرية على ثلاثة أقاويل

أحدها : أنها أنطاكية، قاله الكلبي .

الثاني : أنها الأبُلة ، قاله قتادة .

الثالث : أنها باجروان بإرمينية ، قاله مقاتل .

﴿ فَأَبَوْا إن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ يقال أضفت الرجل إذا نزل عليك فأنت مضيف . وضفت الرجل إذا نزلت عليه فأنت ضيف . وكان الطلب منهما الفاقة عُذراً فيهما . والمنع من أهل القرية لشحٍ أثموا به .

﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ أي كاد أن ينقض ؛ ذلك على التشبيه بحال من يريد أن يفعل في التالي ، كقول الشاعر (٥٦٤) :

يريد الرمح صدر أبي براءٍ ... ويرغب عن دماءِ بني عقيل

ومعنى ينقض يسقط بسرعة ، وينـاقض ينشق طولاً .وقرأ يحيى بن يعمر (٥٦٥) ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَصَّ ﴾ بالصاد غير المعجمة ، من النقصان .

﴿فَأَقَامَهُ﴾ قال سعيد بن جبير : أقام الجدار بيده فاستقام ، وأصل الجدر الظهور ومنه الجدري لظهوره .

وعجب موسى عليه السلام وقد ﴿ آسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ فأقام لهم الجدار فـ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ قال قتادة : شر القرى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه .

قوله عزوجل: ﴿ قَالَ هَذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هذا الذي قلته ﴿ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

الثاني : هذا الوقت ﴿ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لم تستطع على المشاهدة له صبراً .

الثاني : لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنه صبراً . فروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال (٥٦٦) : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَىٰ لَو صَبَرَ لاقْتَبَسَ مِنْهُ أَلْفَ بَابٍ » .

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

(٥٦٤) هو الحارثي والبيت في مجاز القرآن (١ /٤١٠) واللسان «رود» والطبري (١٥ /٢٨٩) .

(٥٦٥) وفيها قراءات أخرى راجع زاد المسير (٥ /١٧٦) والحجة في القراءات ص ٤٢٤ .

(٥٦٦) والذي في البخاري (٦ /٤٣٣) وغيره من حديث ابن عباس « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » وأما هذا اللفظ الذي أورده المؤلف فلم أهتد إلى تخريجه والله أعلم .

قوله عز وجل : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ وفي تسميتهم مساكين أربعة أوجه :

أحدها : لفقرهم وحاجتهم .

الثاني : لشدة ما يعانونه في البحر ، كما يقال لمن عانى شدة قد لقي هذا المسكين جهداً .

الثالث : لزمانة كانت بهم وعلل .

الرابع : لقلة حيلتهم وعجزهم عن الدفع عن أنفسهم ، كما قال النبي ﷺ « مِسْكِينٌ رَجُلٌ لاَ امرأة له » فسماه مسكيناً لقلة حيلته وعجزه عن القيام بنفسه لا لفقره ومسكنته .

وقرأ بعض أئمة القراء « لِمَسَّاكِينَ » بتشديد السين ، والمساكون هم الممسكون ، وفي تأويل ذلك وجهان :

أحدهما : الممسكون لسفينتهم للعمل فيها بأنفسهم .

الثاني : الممسكون لأموالهم شحاً فلا ينفقونها .

﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أي أن أُحْدِثَ فيها عيباً [٥٦٧] .

﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ في قوله ﴿ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه خلفهم ، وكان رجوعهم عليه ولم يعلموا به ، قاله الزجاج .

الثاني : أنه كان أمامهم . وكان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَكَانَ أَمَامَهُم مَّلِكٌ ﴾

واختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقاويل :

أحدها : يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد ، قال الله تعالى ﴿ مِن وَرَائِهِم جَهَنَّمُ ﴾ أي من أمامهم وقدامهم جهنم قال الشاعر[٥٦٨] :

---

(٥٦٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤٥٢/٤) وسعيد بن منصور (١٣٨/١) والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٢٥٢/٤) وقال الهيثمي رجاله ثقات إلا أن أبا نجيم لا صحبة له . .

(٥٦٨) هو سوار بن المضرب والبيت في مجاز القرآن (٤١٢/١) واللسان « ورى » والطبراني (١/١٦) وروح المعاني (٩/١٦) والبيت في اللسان « أيرجو بنو مروان . . . .

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني أمامي .

الثاني : أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها .

الثالث : أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ، ولا يجوز في غيره قاله ابن عيسى .

﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ قرأ ابن مسعود : يأخذ كل سفينة صالحة غصباً . وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصباً ، فلذلك عابها الخضر لتسلم من الملك . وقيل إن اسم الملك هُدَد بن بُدَد ، وقال مقاتل : كان اسمه مندلة بن جلندى بن سعد الأزدي .

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ قال سعيد بن جبير : وجد الخضر غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه وذبحه ، وقيل كان الغلام سداسياً وقيل أنه أراد بالسداسي ابن ست عشرة سنة ، وقيل بل أراد أن طوله ستة أشبار . قاله الكلبي : وكان الغلام لصاً يقطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القريتين ويمنعون منه .

قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما . قيل كان اسم الغلام جيسور . قال مقاتل وكان اسم أبيه كازير ، واسم أمه سهوى .

﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : علم الخضر أن الغلام يرهق أبويه طغياناً وكفراً[٥٦٩] لأن الغلام كان كافراً

---

(٥٦٩) وقد استشكل قتل الخضر للغلام قال الشوكاني رحمه الله (٣٠٤/٣) الحاصل أنه لا إشكال في قتل الخضر له إذا كان بالغاً كافراً أو قاطعاً للطريق هذا فيما تقتضيه الشريعة الإسلامية ويمكن أن يكون =

قال قتادة : وفي قراءة أُبي ﴿ وَأَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ كَافِراً وَكَـانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ فعبـر عن العلم بالخشية .

الثـاني : معناه فخـاف ربك أن يـرهق الغلام أبـويه طغيـاناً وكفـراً ، فعبر عن الخـوف بالخشيـة قال مقـاتل : في قـراءة أبي ﴿ فَخَافَ رَبُّـكَ ﴾ والخـوف هـا هنـا استعارة لانتفائه عن الله تعالى .

الثالث : وكره الخضر أن يرهق الغلام أبوبه بطغيـانه وكفـره إثماً وظلمـاً فصار في الخشية ها هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها العلم[٥٧٠] .

الثاني : أنها الخوف .

الثالث : الكراهة .

وفي ﴿ يُرْهِقَهُمَا ﴾ وجهان :

أحدهما : يكفلهما ، قاله ابن زيد .

الثاني : يحملهما على الرهق وهو الجهد .

﴿ فَأَرَدْنَا أن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خيراً منه إسلاماً . قاله ابن جريح .

الثاني : خيراً منه علماً ، قاله مقاتل .

الثالث : خيراً منه ولداً .

وكانت أمه حبلى فولدت ، وفي الذي ولدته قولان :

أحدهما : ولدت غلاماً صالحاً مسلماً ، قاله ابن جريج .

= للخضر شريعة من عند الله سبحانه تسوّغ له ذلك وأما إذا كان الغـلام صبياً غيـر بالـغ فقيل إن الخضر علم بإعلام الله له أنه لو صار بالغاً لكان كافراً يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهمـا وهذا وإن كـان ظاهر الشريعة الإسلامية يأباه فإن قتل من لا ذنب له ولا قد جرى عليه قلم التكليف لخشية أن يقع منه بعد بلوغه ما يجوز قتله لا تحل في الشريعة المحمدية ولكنه حلّ في شريعة أخرى فلا إشكال.

(٥٧٠) أي علمنا أنه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر فيحبانه ويدخلان معه في دينه لفرط حبهما إياه راجع روح المعاني (١١/١٦) وقد نقله عن بعض شراح البخاري .

الثاني : ولدت جارية تزوجها نبي فولدت نبياً هدىٰ الله على يديه أمة من الأمم .

﴿ وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني أكثر براً بوالديه من المقتول ، قاله قتادة ، وجعل الرحم البر ، ومنه قول الشاعر (٥٧١) :

طـريدٌ تـلافاه يـزيـد بـرحمـةٍ ... فـلم يُلْف مـن نعمـائـه يتعـذَّرُ

الثاني : أعجل نفعاً وتعطفاً ، قال أبو يونس النحوي وجعل الرحم المنفعة والتعطف ، ومنه قول الشاعر (٥٧٢) :

وكيف بظلم جارية . . . ومنها اللين والرحم

الثالث : أقرب أن يرحما به ، والرُّحم الرحمة ، قاله أبوعَمْرو بن العلاء ، ومنه قول الشاعر :

أحنى وأرحمُ مِن أمٍّ بـواحـدِهـا ... رُحْماً وأشجع من ذي لبدةٍ ضاري

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ زعم مقاتل أن اسم الغلامين (٥٧٣) صرم وصريم ،واسم أبيهما كاشخ ، واسم أمهما رهنا ، وأن المدينة قرية تسمى عيدشى .

وحقيقة الجدار ما أحاط بالدار حتى يمنع منها ويحفظ بنيانها ، ويستعمل في غيرها من حيطانها مجازاً .

(٥٧١) هو الأحوص بن محمد الأنصاري والبيت في اللسان « عذر » .

(٥٧٢) البيت غير منسوب وهو في مجاز القرآن (١/ ٤١٣) واللسان «رحم» والقرطبي (١١/ ٣٧) .

(٥٧٣) وفي زاد المسير (٥/ ١٨١) « أصرم وصريم » .

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ وفي هذا الكنز ثلاثة أقاويل :

أحدها : صحف علم ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد .

الثاني : لوح من ذهب مكتوب فيه حِكَم ، قاله الحسن ، وروى ابن الكلبي(٥٧٤) عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ ، **كَانَ الكنزُ لَوحاً مِن ذَهَبٍ مَكْتُوباً فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ عَجَبٌ لِّمَن يُؤْمِنُ بِالمَوتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ ، عَجَبٌ لِّمَن يُوقِنُ بِزَوالِ الدُّنيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا كَيفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيهَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** » .

الثالث : كنز : مال مذخور(٥٧٥) من ذهب وفضة ، قاله عكرمة وقتادة .

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ قيل إنهما حفظا لصلاح أبيهما السابع ، قال محمد بن المنكدر : إن الله تعالى يحفظ عبده المؤمن في ولده وولد ولده وفي ذريته وفي الدويرات حوله . وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ مثله(٥٧٦) .

واختلف أهل العلم في بقاء الخضر عليه السلام إلى اليوم ، فذهب قوم إلى بقائه لأنه شرب من عين الحياة(٥٧٧) . وذهب آخرون إلى أنه غير باقٍ(٥٧٨) لأنه لو كان

(٥٧٤) وقد روى نحوه ابن مردويه من حديث علي مرفوعاً كما في الدر (٥/ ٤٢١) ونحوه من حديث أبي ذر مرفوعاً رواه بن أبي حاتم وابن مردوية والبزار كما في الدر (٥/ ٤٢١) كما ورد نحوه موقوفاً من قول ابن عباس أخرجه الخرائطي في قمع الحرص وابن عساكر كما في الدر (٥/ ٤٢١) أما حديث أنس الذي أورده الفريق هنا فلم اهتد إليه والله أعلم .

(٥٧٥) وقد رجحه الطبري (١٦/ ٦) وقال«وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أصله صرفه إلى غير ذلك .

(٥٧٦) وقد ورد من حديث جابر أخرجه ابن مردويه كما في الدر (٥/ ٤٢٢) ولفظه إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده وأهل دويرات حوله. فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم .
وأخرجه ابن المبارك وابن أبي شيبة عن محمد بن المنكدر موقوفاً .

(٥٧٧) لم نعلم لذلك أثراً صحيحاً .

(٥٧٨) وهو الصواب وقد ساق الأدلة على ذلك ابن الجوزي رحمه الله من الكتاب والسنة والعقل والنظر وهو قول الحقيقة والعلماء كالبخاري وأبي يعلى الحنبلي وأبي بكر بن العربي. وابن تيمية وابن القيم وابن حجر وإبراهيم الحربي وغيرهم .

باقياً لعرف ، ولأنه لا يجوز أن يكون بعد نبينا ﷺ نبي وهذا قول من زعم أن الخضر نبي .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ اختلف فيه هل كان نبياً ؟ فذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث فتح الله على يده الأرض وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن نبياً ولا ملكاً ، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله ، وناصح لله فناصحه الله ، وضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله ثم دعاهم إلى الهدى فضربوه على قرنه الآخر ، ولم يكن له قرنان كقرني الثور .

واختلف في تسميته بذي القرنين على أربعة أقاويل :

أحدها : لقرنين في جانبي رأسه على ما حكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : لأنه كانت له ضفيرتان فَسُمِّيَ بهما ذو القرنين ، قاله الحسن .

الثالث : لأنه بلغ طرفي الأرض من المشرق والمغرب ، فَسُمِّيَ لاستيلائه على قرني الأرض ذو القرنين ، قاله الزهري .

الرابع : لأنه رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه فَسُمِّيَ ذو القرنين ، قاله وهب بن منبه (٥٧٩) .

وحكى ابن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد ، وحكى محمد بن إسحاق أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة (٥٨٠) اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح . وقال معاذ بن جبل : كان رومياً اسمه الاسكندروس . قال ابن هشام : هو الإسكندر وهو الذي بنىٰ الإسكندرية .

---

(٥٧٩) وما ورد في سبب التسمية الذي ساقه المؤلف هنا قال الألوسي (٢٤/١٦) وأما الوجوه المذكورة في وجه التسمية ففيها ما لا يكاد يصح ولعله لا يخفى عليك .

(٥٨٠) وفي فتح القدير (٣٠٧/٣) مرزبان بن مردبة وفي الطبري (١٧/١٦) مرزبا بن مرذبة كما هنا .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : باستيلائه على ملكها .

الثاني : بقيامه بمصالحها .

﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من كل شيء علماً ينتسب به إلى إرادته ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : ما يستعين به على لقاء الملوك وقتل الأعداء وفتح البلاد .

ويحتمل وجهاً ثالثاً : وجعلنا له من كل أرض وليها سلطاناً وهيبة .

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَباً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : منازل الأرض ومعالمها .

الثاني : يعني طرقاً بين المشرق والمغرب ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثالث : طريقاً إلى ما أريد منه .

الرابع : قفا الأثر ، حكاه ابن الأنباري(٥٨١) .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحفص ﴿ حَمِئَةٍ ﴾(٥٨٢) وفيها وجهان :

أحدهما : عين ماء ذات حمأة ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثاني : يعني طينة سوداء ، قاله كعب .

---

(٥٨١) هذا التفسير على قراءة من قرأ ﴿فاتَّبع سبباً﴾ كما حكاه ابن الجوزي عن ابن الأنباري زاد المسير (٥/ ١٨٥) .

(٥٨٢) حجة القراءات ص ٤٢٩ وزاد المسير (٥/ ١٨٥) .

وقرأ ابن الزبير، والحسن : ﴿ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ ﴾ وهي قراءة الباقين(٥٨٣) يعني حارة .

فصار قولاً ثالثاً : وليس بممتنع أن يكون ذلك صفة للعين أن تكون حمئة سوداء حامية ، وقد نقل مأثوراً في شعر تُبَّع وقد وصف ذا القرنين بما يوافق هذا فقال(٥٨٤) :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً . . ملكاً تدين له الملوك وتسجد .

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خُلُبٍ وثاطٍ حرمد

الخُلُب : الطين . والثأط : الحمأة . والحرمد : الأسود .

ثم فيها وجهان :

أحدهما : أنها تغرب في نفس العين .

الثاني : أنه وجدها تغرب وراء العين حتى كأنها تغيب في نفس العين(٥٨٥) .

﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه خيره في عقابهم أو العفو عنهم .

الثاني : إما أن تعذب بالقتل لمقامهم على الشرك وإما أن تتخذ فيهم حُسناً بأن تمسكهم بعد الأسر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العَمَى ، فحكى مقاتل أنه لم يؤمن منهم إلا رجل واحد .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

---

(٥٨٣) حجة القراءات ص ٤٢٨ وزاد المسير (٥/١٨٥)

(٥٨٤) روح المعاني (١٦/٢٧) واللسان خلب ، حرمد، ثأط ونسبه إلى أمية بن أبي الصلت .

(٥٨٥) قال العلامة الألوسي في روح المعاني (١٦/٣٢) «والمراد وجدها في نظر العين كذلك إذا لم ير هناك الماء لا أنها كذلك حقيقة وهذا كما أن راكب البحر يراها (أي الشمس) كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه» .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً ﴾ قرىء بقطع الألف[٥٨٦]، وقرىء بوصلها وفيها وجهان :

أحدهما : معناهما واحد .

الثاني : مختلف . قال الأصمعي : بالقطع إذا لحق ، وبالوصل إذا كان على الأثر ، وإن لم يلحق .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ قرىء بكسر اللام ، وقرىء بفتح اللام ، [٥٨٧] وفي اختلافهما وجهان:

أحدهما: معناهما واحد.

الثاني: معناهما مختلف. وهي بفتح اللام الطلوع، وبكسرها الموضع الذي تطلع منه. والمراد بمطلع الشمس ومغربها ابتداء العمارة وانتهاؤها.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾ يعني من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أو شجر أو لباس. وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم إلى أسراب لهم، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش و سمك[٥٨٨] .

قال ابن الكلبي: وهم تاريس وتأويل ومنسك.

وهذه الأسماء والنعوت التي نذكرها ونحكيها عمن سلف إن لم تؤخذ من صحف النبوة السليمة لم يوثق بها، ولكن ذكرت فذكرتها.

وقال قتادة. هم الزنج.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ

(٥٨٦) حجة القراءات ص ٤٢٨ .

(٥٨٧) وهي قراءة الحسن ومجاهد وابن مجلز وأبي رجاء وابن محيصن زاد المسير (١٨٧/٥) .

(٥٨٨) وزعم بعض أشياء عجيبة تتعلق بطولهم وعرضهم ومأكلهم . . . الخ .

قال العلامة الألوسي (٣٦/١٦) « وأنت تعلم أن مثل هذه الحكايات لا ينبغي أن يلتفت إليها ولا يعول عليها وما هي إلا أخبار عن هيان بني بيان يحكيها العجائز وأمثالهن لصغار الصبيان » .

أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

قوله عزوجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ بالفتح قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص. وقرأ الباقون بين السُّدين(٦٨٩) بالضم، واختلف فيهما على قولين.

أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد.

الثاني: أن معناهما مختلف.

وفي الفرق بينهما ثلاثة أوجه:

أحدها: أن السد بالضم من فعل الله عز وجل وبالفتح من فعل الآدميين.

الثاني: أنه بالضم الاسم، وبالفتح المصدر، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك. والسدان جبلان، قيل إنه جعل الروم بينهما. وفي موضعهما قولان:

أحدهما: فيما بين إرمينية وأذربيجان.

الثاني: في منقطع الترك مما يلي المشرق.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي من دون السدين، وفي ﴿يَفْقَهُونَ﴾ قراءتان:

إحداهما: بفتح الياء والقاف يعني أنهم لا يفهمون كلامَ غيرهم.

والقراءة الثانية: بضم الياء وكسر القاف، أي لا يفهم كلامهم غيرهم.

قوله عزوجل: ﴿قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهما من ولد(٥٩٠) يافث بن نوح، واسمهما مأخوذ من أجت النار إذا تأججت، ومنه قول جرير:

---

(٦٨٩) زاد المسير (٥/١٩٠) الحجة في القراءات ص ٤٣٢.

(٥٩٠) قال الألوسي (١٦/٣٨).. ونقل النووي في فتاواه القول بأنهم أولاد آدم عليه السلام من غير حواء عن جماهير العلماء، اهـ.

قلت: وهذا القول هو قول كعب الأحبار «قال الحافظ في الفتح (١٣/١٠٧) ولم يرد ذلك عن أحد من السلف إلا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح عليه السلام ونوح من ذرية حواء قطعاً».

وأيام أتين على المطايا كأن سمومهن أجيج نارِ

واسمها في الصحف الأولى ياطغ وماطغ. وكان أبو سعيد الخدري يقول أن النبي ﷺ قال: «لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ منهُمْ حَتَّى يُولَدُ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ» (٥٩١).

واختلف في تكليفهم على قولين:

أحدهما: أنهم مكلفون لتمييزهم.

الثاني: أنهم غير مكلفين لأنهم لو كلفوا لما جاز ألاَّ تبلغهم دعوة الإسلام.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ قرأ حمزة والكسائي (٥٩٢): ﴿خَرَاجاً﴾ وقرأ الباقون ﴿خَرْجاً﴾ وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الخراج الغلة، والخرج الأجرة.

الثاني: أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو بن العلاء.

الثالث: أن الخرج ما يؤخذ دفعة، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة، قاله ثعلب.

قوله عزوجل: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ يعني خير من الأجر الذي تبذلونه لي.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: بآلة، قاله الكلبي.

الثاني: برجال، قاله مقاتل.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه الحجاب الشديد.

الثاني: أنه السد المتراكب بعضه على بعض فهو أكبر من السد.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها قطع الحديد، قاله ابن عباس ومجاهد.

---

(٥٩١) رواه الطبري (٢٢/١٦) عن ابن عباس قال: كان أبو سعيد الخدري يقول: إن نبي الله ﷺ قال: لا يموت رجل منهم حتى يولد له ... الحديث ولكن سنده مسلسل بالضعفاء.

وله طريق أخرى عن حذيفة مطولاً أورده السيوطي في الدر (٤٥٧/٥) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار ولم يصح فرائحة الإسرائيليات تفوح منه.

(٥٩٢) حجة القراءات ص ٤٣٢ زاد المسير (١٩١/٥).

الثاني: أنه فلق الحديد، قاله قتادة.

الثالث: أنه الحديد المجتمع، ومنه الزُّبور لاجتماع حروفه في الكتابة، قال تبع اليماني:

ولقد صبرت ليعلموه وحولهم زبر الحديد عشيةً ونهاراً

﴿حَتَّى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: الصدفان: جبلان، قال عمرو بن شاش:

كلا الصدفين ينفذه سناها توقد مثل مصباح الظلام

وفيهما وجهان:

أحدهما: أن كل واحد منهما محاذ لصاحبه، مأخوذ من المصادفة في اللقاء، قاله الأزهري.

الثاني: قاله ابن عيسى، هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه.

ثم فيه وجهان:

أحدهما: أن الصدفين اسم لرأسي الجبلين.

الثاني: إسم لما بين الجبلين.

ومعنى قوله: ﴿ سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ أي بما جعل بينهما حتى وارى رؤوسهما وسوّى بينهما.

﴿ قَالَ ٱنفُخُوا ﴾ يعني أي في نار الحديد.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً ﴾ يعني ليناً كالنار في الحر واللهب.

﴿ قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴾ فيه أربعة أوجه:

أحدها: أن القطر النحاس، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

الثاني: أنه الرصاص حكاه ابن الأنباري.

الثالث: أنه الصفر المذاب، قاله مقاتل، ومنه قول الحطيئة:

وألقى في مراجل من حديد قدور الصُّفر ليس من البُرام

الرابع : أنه الحديد المذاب ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٥٩٣) :

حُساماً كلون الملح صار حديده حراراً من أقطار الحديد المثقب

وكان حجارته الحديد وطينه النحاس .

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَمَا ٱسْطَاعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي يعلوه. ﴿ وَمَا ٱسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً ﴾ يعني من أسفله ، قاله قتادة ، وقيل إن السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط . وقيل : ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع ، وعرضه نحو خمسين ذراعاً وأنه من حديد شبه المصمت .

ورُوي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ(٥٩٤) : إنِّي رَأَيتُ السَّدَّ « قَالَ : انعتهُ » : قَالَ : هُوَ كَالبَرَدِ المُحَبَّر ، طَرِيقُه سَودَاءُ وَطَرِيقُه حَمْرَاءُ ، « قَالَ قَدْ رَأَيتَهُ » .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن عمله رحمة من الله تعالى لعباده .

الثاني : أن قدرته على عمله رحمة من الله تعالى له .

---

(٥٩٣) مجاز القرآن (١١/٤١٥) والطبري (١٦/٢٦) وفيه الحديد المنعت .

(٥٩٤) رواه الطبري (١٦/٢٣) وسنده ضعيف فإنه مرسل بل معضل حيث قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبي الله . . . . .

وقد رواه ابن مردويه عن أبي بكر الشفى أن رجلاً قال : يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج . . . الحديث أورده في الدر (٥/٤٥٨).

خبر قتادة رواه البخاري معلقاً وجزم به (٦/٣٨٦) قال الحافظ : وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة ثم قال الحافظ : ورواه الطبراني من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة . . . . فذكر نحوه وزاد فيه زيادة منكرة . آ هـ.

قلت : وهي من تخاليط سعيد بن بشير فإنه صاحب مناكير .

ثم قال الحافظ وأخرجه البزار من طريق يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكر ورجل رأى السد فساقه مطولاً .

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ﴾ قال ابن مسعود : وذلك يكون بعد قتل عيسىٰ عليه السلام الدجال في حديث مرفوع .وروي أن النبي ﷺ قال (٥٩٥) : « إِنَّهُم يَدْأَبُونَ فِي حَفْرِهِم نَهَارَهُم حَتَّىٰ إِذَا أَمْسَوْا وَكَادُواْ يُبْصِرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالُوا نَرْجِعُ غَداً فَنَحْفُرُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَعُودُونَ مِنَ الغَدِ وَقَدِ اسْتَوَىٰ كَمَا كَانَ ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالُواْ : غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَنْقُبُ بَقِيَّتَهُ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيهِ فَيَنْقُبُونَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَيَخْرُجُونَ مِنهُ عَلَى النَّاسِ مِن حُصُونِهِم ، ثُمَّ يَرْمُونَ نبلاً إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَرْجِعُ إِلَيهِم فِيهَا أَمْثَالُ الدِّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ ظَفَرْنَا عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ وَقَهَرْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعالَىٰ عَلَيهِم مَّا يَهْلِكُهُم ».

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يوم القيامة ، قاله ابن بحر .

الثاني : هو الأجل الذي يخرجون فيه .

﴿ جَعَلَهُ دَكَّآءَ ﴾ يعني السد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أرضاً ، قاله قطرب .

الثاني : قطعاً ، قاله الكلبي .

الثالث : هدماً حتى اندك بالأرض فاستوى معها ، قاله الأخفش ، ومنه قول الأغلب(٥٩٦) :

هل غير غادٍ دك غاراً فانهدم

قوله عز وجل : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض .

---

(٥٩٥) رواه أحمد (٢/٥١٠ ـ ٥١١) والترمذي (١٤٤/٢) وحسنه وابن ماجة (٤٠٨٠) وابن حبان (١٩٠٨) والحاكم (٤٨٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي وابن جرير (٢١/١٦) وزاد السيوطي في الدر (٤٥٨/٥) نسبته لابن مردويه والبيهقي في البعث . قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة . رقم ١٧٣٢ وقال: له شاهد من حديث أبي سعيد ثم أحال عليه رقم ١٧٩٣ وصححه .

(٥٩٦) فتح القدير (٣١٣/٣).

الثاني : الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض .

الثالث : أنهم الإنس والجن عند فتح السد .

وفيه وجهان :

أحدهما : يختلط بعضهم ببعض .

الثاني : يدفع بعضهم بعضاً ، مأخوذ من موج البحر .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن الضلال كالمغطي لأعينهم عن تَذَكُّر الانتقام .

الثاني : أنهم غفلوا عن الاعتبار بقدرته الموجبة لذكره .

﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: أن المراد بالسمع ها هنا العقل[٥٩٧]، ومعناه لا يعقلون.

الثاني: أنه معمول على ظاهره في سمع الآذان.

وفيه وجهان:

أحدهما: لا يستطيعونه استثقالاً.

الثاني: مقتاً.

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن النزل الطعام ، فجعل جهنم طعاماً لهم ، قاله قتادة .

الثاني : أنه المنزل ، قاله الزجاج .

---

(٥٩٧) أي سماع القبول والاستجابة لأنهم قد يكونون صحاح الأسماع والأبصار لكن لا تغني عنهم شيئاً صم بكم عمي عن دعوة الحق ومنهج الرسل . .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ فيهم خمسة أقاويل :

أحدها : أنهم القسيسون والرهبان ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثاني : أنهم الكتابيون اليهود والنصارىٰ ، قاله سعد بن أبي وقاص .

الثالث : هم أهل حروراء من الخوارج ، وهذا مروي عن علي رضي الله عنه .

الرابع : هم أهل الأهواء .

الخامس : أنهم من يصطنع المعروف ويمن عليه .

ويحتمل سادساً : أنهم المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم .

ويحتمل سابعاً : أنهم طالبو الدنيا وتاركو الآخرة[٥٩٨] .

قوله تعالىٰ : ﴿ . . . فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : لهوانهم على الله تعالى بمعاصيهم التي ارتكبوها يصيرون محقورين لا وزن لهم .

الثاني : أنهم لخفتهم بالجهل وطيشهم بالسفه صاروا كمن لا وزن لهم .

الثالث : أن المعاصي تذهب بوزنهم حتى لا يوازنوا من خفتهم شيئاً .

روي عن كعب أنه قال : يجاء بالرجل يوم القيامة[٥٩٩] فيوزن بالحبة فلا

---

(٥٩٨) قال العلامة الشوكاني (٣/٣١٦): والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة .

(٥٩٩) وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري (٨/٣٢٤) ومسلم (٤/٢١٤٧) ولفظه « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرأوا إن شئتم ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ .

يزنها ، ويوزن بجناح البعوضة فلا يزنها ، ثم قرأ : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .

الرابع : أن حسناتهم تُحْبَط بالكفر فتبقى سيئاتهم ، فيكون الوزن عليهم لا لهم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ في ﴿ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ خمسة أقاويل :

أحدها : أن الفردوس وسط الجنة وأطيب موضع فيها ، قاله قتادة .

الثاني : أنه أعلى الجنة وأحسنها ، رواه ضمرة(٦٠٠) مرفوعاً .

الثالث : أنه البستان بالرومية ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه البستان الذي جمع محاسن كل بستان ، قاله الزجاج .

الخامس : أنه البستان الذي فيه الأعناب ، قاله كعب .

واختلف في لفظه على أربعة أقاويل :

أحدها : أنه عربي وقد ذكرته العرب في شعرها ، قاله ثعلب .

الثاني : أنه بالرومية ، قاله مجاهد .

الثالث : أنه بالنبطية فرداساً ، قاله السدي .

الرابع : بالسريانية ، قاله أبو صالح .

---

(٦٠٠) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب سمرة والتصويب من الطبري وغيره وحديث سمرة رواه الطبري (١٦/٣٨) والطبراني في الكبير (٦٨٨٥، ٦٨٨٦) من طريق الحسن عن سمرة ولفظه الفردوس من ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها » وفي اللفظ الآخر « الفردوس هي أعلى الجنة وأحسنها وأرفعها » وفي سند اللفظ الأول الوليد بن مسلم وهو مدلس مشهور وقد عنعن وفي سند اللفظ الثاني إسماعيل بن مسلم ـ وهو ـ ضعيف ـ وفي سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور.

قال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (٣٩٨١٠): رواه الطبراني والبزار باختصار وزاد فيه «فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس» وأحد أسانيد الطبراني رجاله وثقوا وفي بعضهم ضعف .

قوله عز وجل : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ أي متحولاً وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بدلاً ، قاله الضحاك .

الثاني : تحويلاً ، قاله مقاتل .

الثالث : حيلة ، أي لا يحتالون منزلاً غيرها .

وقيل إنه يقول أولهم دخولاً إنما أدخلني الله أولهم لأنه ليس أحد أفضل مني ، ويقول آخرهم دخولاً إنما أخرني الله لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل ما أعطاني .

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه وعد بالثواب لمن أطاعه ، ووعيد بالعقاب لمن عصاه ، قاله ابن بحر ومثله ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ .

الثاني : أنه العلم بالقرآن ، قاله مجاهد .

الثالث : وهذا إنما قاله الله تعالى تبعيداً على خلقه أن يُحصوا أفعاله ومعلوماته ، وإن كانت عنده ثابتة محصية .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يعني فمن كان يخاف لقاء ربه ، قاله مقاتل ، وقطرب .

الثاني : من كان يأمل لقاء ربه .

الثالث : من كان يصدّق بلقاء ربه ، قاله الكلبي .

وفي لقاء ربه وجهان :

أحدهما : معناه لقاء ثواب ربه ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني : من كان يرجو لقاء ربه إقراراً منه بالبعث إليه والوقوف بين يديه .

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه الخالص من الرياء ، قاله ذو النون المصري .

الثاني : أن يلقى الله به فلا يستحي منه ، قاله يحيى بن معاذ .

الثالث : أن يجتنب المعاصي ويعمل بالطاعات .

﴿ وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الشرك بعبادته الكفر ، ومعناه لا يُعْبَد معه غيرُه ، قاله الحسن .

الثاني : أنه الرياء ، ومعناه ولا يرائي بعمله أحداً ، قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد .

روي عن النبي ﷺ(٦٠١) أنه قال : « **أَخْوَفُ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الخَفِيَّةَ** » قيل : أتشرك أمتك بعدك ؟ قال : « **لاَ ، أَمَّا أَنَّهم لاَ يَعْبُدونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ حَجَراً وَلاَ وَثَناً وَلٰكِنَّهُم يُرَاءُونَ بِعَمَلِهِم** »، فقيل : يا رسول الله وذلك شرك ؟ فقال : « **نَعَم** ». قيل : وما الشهوة الخفية ، قال : « **يُصْبِحُ أَحَدُهُم صَائِماً فَتَعْرِضُ لَهُ الشَّهْوَةُ مِن شَهَواتِ الدُّنْيَا فَيُفْطِرَ لَهَا وَيَتْرُكَ صَوْمَهُ** ».

وحكى الكلبي ومقاتل : أن هذه الآية نزلت في جندب بن زهير العامري أتى رسول الله ﷺ فقال له : إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله فيثنى به علينا فيعجبنا ، وأني لأصلي الصلاة فأطولها رجاء أن يثنى بها عليّ ،فقال رسول الله ﷺ (٦٠٢) : « **إنَّ**

---

(٦٠١) رواه أحمد (٤/١٢٤) والحاكم (٤/٣٣٠) من حديث شداد بن أوس وزاد في الدر (٥/٤٧١) نسبته لابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي وقال الحاكم : صحيح الاسناد. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/٣٦) تعقيباً على كلام الحاكم « كيف وعن الواحد بن زياد الزاهد متروك ورواه ابن ماجه مختصراًمن رواية رواد بن الجراح عن عامر بن عبد الله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة بن يونس . . . . ثم قال المنذري وعامر بن عبد الله لا يعرف وقال الحافظ ابن كثير (٣/١٠٩): وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر آ هـ ويعني عنه أحاديث كثيرة في الترهيب من الرياء راجعها في الترغيب والترهيب (١/ ٢٩ ـ ٣٩) والدر المنثور (٥/ ٤٧٠ ـ ٤٧٥) .

(٦٠٢) وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه مسلم (٢٩٨٥) ولفظه «أنا أغنى الشركاء عن =

اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ أَنَا خَيرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشْرَكَنِي فِي عَمَلٍ يَعْمَلُهُ لِي أَحَداً مِن خَلْقِي تَرَكْتُهُ وذٰلِكَ الشَّرِيكَ » ونزلت فيه هذه الآيـة : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَـآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّهِ أَحَـداً** ﴾ فتلاها عليه رسـول الله ﷺ ، وقيل[٦٠٣] إنها آخر آية نزلت من القرآن .

= الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهـو للذي أشرك » ومـا حكاه المؤلف هنـا عن مقاتل والكلبي أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس .

(٦٠٣) القائل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رواه الطبري (١٦/ ٤٠) لكن الحافظ ابن كثيـر رحمه الله قال (٣/ ١١٠) : وهذا أثر مشكل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف، والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم . .

وقال العلامة الألوسي (١٦/ ٥٥) على أثر معاويـة « وفيه كـلام والحق خلافـه والله تعالى أعلم» وقال القرطبي (١١/ ٧٢): لكن المشهور أن آخر آية هي قـوله تعـالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ إلا أن يقال إن هذه آخر آية نزلت بمكة لأن الكهف كلها مكية باتفاق آ هـ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : أنه إسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة .

الثاني : أنه اسم من أسماء الله ، قاله علي كرم الله وجهه .

الثالث : أنه استفتاح السورة ، قاله زيد بن أسلم .

الرابع : أنه إسم السورة ، قاله الحسن .

الخامس : أنه من حروف الجُمل[٦٠٤] تفسير لا إله إلا الله ، لأن الكاف

(٦٠٤) راجع ما كتب حول أوائل السورة في سورة البقرة وأزيد هنا فأقول قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣/٣٠٤) وكما وقع الخلاف في هذا وأمثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روى عن غيره ما يخالفه وقد =

عشرون والهاء خمسة والياء عشرة والعين سبعون والصاد تسعون . كذلك عدد حروف لا إله إلا الله ، حكاه أبان بن تغلب .

السادس : أنها حروف أسماء الله .

فأما الكاف فقد اختلفوا فيها من أي اسم هي على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من كبير ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنها من كاف ، قاله الضحاك .

الثالث : أنها من كريم ، قاله ابن جبير .

وأما الهاء فإنها من هادٍ عند جميعهم .

وأما الياء ففيها أربعة أقاويل :

أحدها : أنها من يمن ، قاله ابن عباس .

الثاني : من حكيم قاله ابن جبير .

الثالث : أنها من ياسين حكاه سالم .

الرابع : أنها من يا للنداء وفيه على هذا وجهان :

أحدهما : يا من يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه لما تعقبه من دعاء زكريا .

الثاني : يا من يجير ولا يجار عليه ، قاله الربيع بن أنس .

وأما العين ففيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها من عزيز ، قاله ابن جبير .

الثاني : أنها من عالم، قاله ابن عباس .

الثالث : من عدل ، قاله الضحاك.

وأما الصاد فإنها من صادق في قول جميعهم فهذا بيان للقول السادس .

ويحتمل سابعاً : أنها حروف من كلام أغمضت معانيه ونبه على مراده فيه يحتمل أن يكون : كفى وهدى من لا يعص فتكون الكاف من كفى والهاء من هدى

= يروى عن الصحابي نفسه التفاسير المخالفة، المتناقضة في هذه الفواتح فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقف ورد العلم في مثلها إلى الله سبحانه .

والباقي حروف يعصى لأن ترك المعاصي يبعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فصار تركها كافياً من العقاب وهادياً إلى الثواب وهذا أوجز وأعجز من كل كلام موجز لأنه قد جمع في حروف كلمة معاني كلام مبسوط وتعليل أحكام وشروط .

ثم ذكر حال من كفاه وهداه فقال :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ ﴾ فذكر رحمته حين أجابه إلى ما سأله فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنه رحمه بإجابته له .

الثاني : أنه إجابة لرحمته له .

قوله تعالى : ﴿ . . . . نِدَآءً خَفِيّاً ﴾ [فيه قولان][٦٠٥] .

أحدهما : قاله ابن جريج ، سراً لا رياء فيه . قال قتادة إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي فأخفى زكريا نداءه لئلا ينسب إلى الرياء فيه .

الثاني : قاله مقاتل ، إنما أخفى لئلا يهزأ الناس به ، فيقولون انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد .

ويحتمل ثالثاً : أن إخفاء الدعاء أخلص للدعاء وأرجى للإجابة للسنة الواردة فيه : إن الذي تدعونه ليس بأصم[٦٠٦] .

قوله تعالى : ﴿ . . . إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أي ضعف وفي ذكره وهن العظم دون اللحم وجهان :

أحدهما : أنه لما وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى .

الثاني : أنه اشتكى ضعف البطش ، والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم .

(٦٠٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦٠٦) جزء من حديث لأبي موسى الأشعري مرفوعاً .
رواه البخاري (٦/٩٤) ومسلم (٤/٢٥٧٦) .

﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً ﴾ هذا من أحسن الاستعارة لأنه قد ينشر فيه الشيب كما ينشر في الحطب شعاع النار .

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾ أي خائباً ، أي كنت لا تخيبني إذا دعوتك ولا تحرمني إذا سألتك .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ . . . . ﴾ فيهم أربعة أقاويل :

أحدها : العصبة ، قاله مجاهد وأبو صالح .

الثاني : الكلالة ، قاله ابن عباس .

الثالث : الأولياء أن يرثوا علمي دون من كان من نسلي قال لبيد :

ومولى قد دفعت الضيم عنه وقد أمسى بمنزلةِ المُضيمِ

الرابع : بنو العم لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل .

وسموا موالي لأنهم يلونه في النسب لعدم الصلب .

وفيما خافهم عليه قولان :

أحدهما : أنه خافهم على الفساد في الأرض .

الثاني : أنه خافهم على نفسه في حياته وعلى أشيائه بعد موته . ويجوز أن يكون خافهم على تبديل الدين وتغييره . روى كثير بن كلثمة أنه سمع علي بن الحسين عليهما السلام يقرأ : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ﴾ بالتشديد بمعنى قلّت[٦٠٧] .

وفي قوله : ﴿ مِن وَرَآءِي ﴾ وجهان :

أحدهما : من قدامي وهو قول الأخفش .

الثاني : بعد موتي ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ﴿ . . فَهَبْ لِي مِن لَّدنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة[٦٠٨] ، قاله أبو صالح .

---

(٦٠٧) ففي زاد المسير (٢٠٨/٥) وعلى هذا يكون المعنى أنه خاف على علمه ونبوته ألا يُورث فيموت العلم .

(٦٠٨) والصحيح أنه لم يرد وراثة المال لما صح عن رسول الله ﷺ «لا نورث ما تركنا صدقة » رواه البخاري (٤/١٢) ومسلم (١٣٧٩/٣) إنما أراد وراثة العلم والنبوة .

الثاني : يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة ، قاله الحسن .

الثالث : يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء .

الرابع : يرثني العلم ويرث من آل يعقوب الملك[٦٠٩] ، قاله ابن عباس . فأجابه الله إلى وراثة العلم ويرث من آل يعقوب الملك ، قاله ابن عباس . فأجابه الله إلى وراثة العلم ولم يجبه إلى وراثة الملك . قال الكلبي : وكان آل يعقوب أخواله وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى . قال مقاتل ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم لأن يعقوب وعمران إبنا ماثان ، فروى قتادة أن النبي ﷺ قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ زَكَرِيَّآ مَا كَانَ عَلَيهِ مِن وَرثَتِهِ »[٦١٠] .

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : مرضياً في أخلاقه وأفعاله .

الثاني : راضياً بقضائك وقدرك .

ويحتمل ثالثاً : أن يريد نبياً .

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾ فتضمنت هذه البشرى ثلاثة أشياء :

أحدها : إجابة دعائه وهي كرامة .

الثاني : إعطاؤه الولد وهو قوة .

الثالث : أن يفرد بتسميته . فدل ذلك على أمرين :

أحدهما : اختصاصه به .

الثاني : على اصطفائه له . قال مقاتل سماه يحيى لأنه صبي بين أب شيخ وأم عجوز .

(٦٠٩) وهذا القول ذهب إليه أكثر المفسرين راجع فتح القدير (٣٢٢/٣) .

(٦١٠) رواه الطبري (٤٨/١٦) بسنده عن قتادة وهو مرسل من مرسلات قتادة لأنه قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية» . .

﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أي لم تلد مثله العواقر ، قاله ابن عباس . فيكون المعنى لم نجعل له مثلاً ولا نظيراً .

الثاني : أنه لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولداً ، قاله مجاهد .

الثالث : أي لم يسم قبله باسمه أحد[٦١١]، قاله قتادة .

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ أي ولد .

﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِراً ﴾ أي لا تلد وفي تسميتها عاقراً وجهان :

أحدهما : لأنها تصير إذا لم تلد كأنها تعقر النسل أي تقطعه .

الثاني : لأن في رحمها عقراً يفسد المني ، ولم يقل ذلك عن شك بعد الوحي ولكن على وجه الاستخبار : أتعيدنا شابين ؟ أو ترزقنا الولد شيخين ؟

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني سناً، قاله قتادة .

الثاني : أنه نحول العظم ، قاله ابن جريج .

الثالث : أنه الذي غيره طول الزمان إلى اليبس والجفاف ، قاله ابن عيسى قال الشاعر[٦١٢]:

إنما يعذر الوليد ولا يعذر ... من كان في الزمان عتياً

قال قتادة : كان له بضع وسبعون سنة وقال مقاتل خمس وتسعون سنة . وقرأ

---

(٦١١) فائدة: قال ابن الجوزي رحمه الله (٥/ ٢١٠) فإن اعترض معترض فقال ما وجه المِدْحَة باسم لم يسم به أحد قبله ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسبق إليها. فالجواب إن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولّى تسميته ولم يكل ذلك إلى أبويه فسماه باسم لم يسبق إليه .

(٦١٢) فتح القدير (٣/٣٢٣).

ابن عباس[٦١٣] : ﴿ عِسِيّاً ﴾ وهي كذلك في مصحف أبي من قولهم للشيخ إذا كبر : قد عسا وعتا ومعناهما واحد .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ أي علامة وفيها وجهان :

أحدهما : أنـه سأل الله آيـة تدله على البشرى بيحيى منه لا من الشيـطان لأن إبليس أوهمه ذلك ، قاله الضحاك .

الثاني : سأله آية تدله على أن امرأته قد حملت .

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنـه اعتقل لسـانه ثـلاثاً من غيـر مرض وكـان إذا أراد أن يذكـر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية ، قاله ابن عباس .

الثاني : اعتقل من غير خرس ، قاله قتادة والسدي .

﴿ سَوِيّاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : صحيحاً من غير خرس ، قاله قتادة .

الثاني : ثلاث ليال متتابعات ، قاله عطية ، فيكون السـوي على الوجـه الأول راجعاً إلى لسانه ، وعلى الثاني إلى الليالي .

قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ قال ابن جريج أشرف على قومه من المحراب . وفي ﴿ٱلْمِحْرَابِ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه مصلاة ، قاله ابن زيد .

الثاني : أنه الشخص المنصوب للتوجه إليه في الصلاة .

وفي تسميته محراباً[٦١٤] وجهان :

---

(٦١٣) وهي قراءة مجاهد كما في زاد المسير (٥/٢١١) .

(٦١٤) قال الألوسي (١٦/٧١) واطلاق المحراب على المعروف اليوم في المساجد لذلك وهـو محدث لم =

أحدهما : أنه للتوجه إليه في صلاته كالمُحَارِب للشيطان في صلاته .

الثاني : أنه مأخوذ من منزل الأشراف الـذي يحارب دونـه ذباً عن أهله فكـأن الملائكة تحارب عن المصلي ذباً عنه ومنعاً منه .

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أوصى إليهم ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : أشار إليهم بيده ، قاله الكلبي .

الثالث : كتب على الأرض . والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول جرير :

كـأن أخا اليهـود يخط وحياً بكـافٍ من منـازلهـا ولام

﴿ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ أي صلوا بكرة وعشياً ، قاله الحسن وقتادة ، وقيل للصلاة تسبيح لما فيها من التسبيح .

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيّاً ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّاً ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ وفي قائله قولان :

أحدهما : أنه قول زكريا ليحيى حين نشأ .

الثاني : قول الله ليحيى حين بلغ .

وفي هذا ﴿ ٱلْكِتَابَ ﴾ قولان :

أحدهما : صحف إبراهيم .

الثاني : التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بجد واجتهاد ، قاله مجاهد .

= يكن على عهد رسول الله ﷺ وقد ألف الجلال السيوطي في ذلك رسالة صغيرة سماها اعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب . .

الثاني : العمل بما فيه من أمر والكف عما فيه من نهي ، قاله زيد بن أسلم .

﴿وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : اللب ، قاله الحسن .

الثاني : الفهم ، قاله مقاتل .

الثالث : الأحكام والمعرفة بها(٦١٥) .

الرابع : الحكمة .

قال معمر : إن الصبيان قالوا ليحيى إذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت ، فأنزل الله ﴿ وءاتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾ . قاله مقاتل وكان ابن ثلاث سنين .

قوله تعالى : ﴿ وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : رحمة من عندنا ، قاله ابن عباس وقتادة ، ومنه قول الشاعر(٦١٦) :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيكَ بعض الشر أهون من بعض

أي رحمتك وإحسانك .

الثاني : تعطفاً ، قاله مجاهد .

الثالث : محبة ، قاله عكرمة .

الرابع : بركة ، قاله ابن جبير .

الخامس : تعظيماً .

السادس : يعني آتينا تحنناً على العباد .

ويحتمل سابعاً : أن يكون معناه رفقاً ليستعطف به القلوب وتسرع إليه الإجابة ﴿ وَزَكَاةً ﴾ فيها هنا ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنها العمل الصالح الزاكي ، قاله ابن جريج .

الثاني : زكيناه بحسن الثناء كما يزكي الشهود إنساناً .

---

(٦١٥) هنا بياض في الأصل أ.

(٦١٦) هو طرفة بن العبد والبيت في ديوانه: ٢٠٨ ومجاز القرآن (٢/٢) وجمهرة أشعار العرب (٤٤٩/٣) والطبري (٣٨/١٦) روح المعاني (٧٢/١٦) اللسان (حنن) والكامل ٣٤٨.

الثالث : يعني صدقة به على والديه، قاله ابن قتيبة .

﴿ وَكَانَ تَقِيّاً ﴾ فيه وجهان:

أحدهما : مطيعاً لله ، قاله الكلبي .

الثاني : باراً بوالديه ، قاله مقاتل .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ يعني في القرآن ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : انفردت ، قاله قتادة .

الثاني : اتخذت .

﴿ مَكَاناً شَرْقِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ناحية المشرق ، قاله الأخفش ولذلك اتخذت النصارىٰ المشرق قبلة .

الثاني : مشرقة داره التي تظلها الشمس ، قاله عطية [٦١٧] .

الثالث : مكاناً شاسعاً بعيداً ، قاله قتادة .

قوله تعالى : ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها : حجاباً من الجدران ، قاله السدي .

(٦١٧) وهو قول الأكثرين كما في زاد المسير (٢١٦/٥) روح المعاني (٧٥/١٦) ابن كثير (١١٥/٣) وفتح القدير (٣٢٧/٣) وابن جرير (٦٠/١٦).

الثاني : حجاباً من الشمس جعله الله ساتراً ، قاله ابن عباس .

الثالث : حجاباً من الناس ، وهو محتمل ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنها اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة .

الثاني : أنها اتخذت مكاناً تعتزل فيه أيام حيضها .

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ الآية : فيه قولان :

أحدهما : يعني الروح التي خلق منها المسيح حتى تمثل لها بشراً سوياً .

الثاني : أنه جبريل ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن جريج ، وابن منبه .

وفي تسميته له روحاً وجهان :

أحدهما : لأنه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح ، وأضافه إليه بهذه الصفة تشريفاً له .

الثاني : لأنه تحيا به الأرواح .

واختلفوا في سبب حملها على قولين :

أحدهما : أن جبريل نفخ في جيب درعها وكُمِّهَا فَحَمَلَتْ ، قاله ابن جريج ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فأهوى لها بالنفخ في جيب درعها   فألقت سويّ الخلق ليس بتوأم

الثاني : أنه ما كان إلا أن حملت فولدته ، قاله ابن عباس .

واختلفوا في مدة حملها على أربعة أقاويل :

أحدها : تسعة أشهر ، قاله الكلبي .

الثاني : ستة أشهر . حكى لي ذلك أبو القاسم الصيمري .

الثالث : يوماً واحداً(٦١٨) .

الرابع : ثمانية أشهر ، وكان هذا آية عيسى فإنه لم يعش مولوداً لثمانية أشهر سواه .

---

(٦١٨) قال الحافظ ابن كثير (١١١٦/٣) . . والمشهور عن الجمهور إنها حملت به تسعة أشهر .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ لأن مريم خافت جبريل على نفسها حين دنا منها فقالت ﴿ إِنِّي أَعُوذُ ﴾ أي أمتنع ﴿ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ ﴾ فاستغاثت بالله في امتناعها منه .

فإن قيل : فلم قالت ﴿ إِن كُنتَ تَقِيّاً ﴾ والتقي مأمون وإنما يستعاذ من غير التقي ؟

ففيه وجهان :

أحدهما : أن معنى كلامها إن كنت تقياً لله فستمتنع من استعاذتي وتنزجر عني من خوفه ، قاله أبو وائل(*) .

الثاني : أنه كان اسماً لرجل فاجر من بني إسرائيل مشهور بالعهر يُسَمَّىٰ تقياً[٦١٩] فخافت أن يكون الذي جاءها هو ذلك الرجل المسمى تقياً الذي لا يأتي إلا للفاحشة فقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قاله ابن عباس .

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه ألجأها ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومنه قول الشاعر[٦٢٠] :

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

الثاني : معناه فجأها المخاض كقول زهير[٦٢١] :

وجارٍ سارَ معتمداً إلينا أجاءته المخافة والرجاء

وفي قراءة ابن مسعود ﴿ فَأَوَاهَا ﴾ .

(*) في الأصل أو أويل وهو تحريف .

(٦١٩) قال الشوكاني في فتح القدير (٣/٣٢٨) بعد أن حكى القولين «والأول أولى» .

(٦٢٠) هو حسان بن ثابت .

والبيت في ديوانه : ١٨١ واللسان (جيأ) وفيه فأجاءتكم إلى سفح الجبل ونسبه للكميت .

(٦٢١) اللسان (جيأ) والطبري (١٦/٦٤) فتح القدير (٣/٣٢٨) روح المعاني (١٦/٨١) .

﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها خافت من الناس أن يظنوا بها سوءاً قاله السدي .

الثاني : لئلا يأثم الناس بالمعصية في قذفها .

الثالث : لأنها لم تَرَ في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء ، قاله جعفر بن محمد رحمهما الله .

﴿ وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : لم أخلق ولم أكن شيئاً ، قاله ابن عباس .

الثاني : لا أعرف ولا يدرى من أنا ، قاله قتادة .

الثالث : النسي المنسي هو السقط ، قاله الربيع ، وأبو العالية .

الرابع : هو الحيضة الملقاة ، قاله عكرمة ، بمعنى خرق الحيض .

الخامس : معناه وكنت إذا ذكرت لم أطلب حكاه اليزيدي . والنسي عندهم في كلامهم ما أعقل من شيء حقير قال الراجز[٦٢٢] :

كالنسي ملقى بالجهاد البسبس .

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيّاً ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المنادي لها من تحتها جبريل ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي .

الثاني : أنه عيسى ابنها ، قاله الحسن ، ومجاهد .

وفي قوله من تحتها وجهان :

أحدهما : من أسفل منها في الأرض وهي فوقه على رأسه ، قاله الكلبي .

---

(٦٢٢) هو دكين وصدر الرجز بالدار وحي كاللَّقى المطرس اللسان (انسان) .

الثاني : من بطنها : قاله بعض المتكلمين ، بالقبطية .

﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن السريّ هو ابنها عيسى ، لأن السري هو الرفيع الشريف مأخوذ من قولهم فلان من سروات قومه أي من أشرافهم ، قاله الحسن ، فعلى هذا يكون عيسى هو المنادي من تحتها ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ .

الثاني :أن السريّ هو النهر(٦٢٣) ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ،

---

(٦٢٣) ورد هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً .
فورد مرفوعاً من حديث البراء بن عازب وابن عمر .
أما حديث البراء فرواه الطبراني في الصغير ص ١٤٢ والحاكم (٣٧٣/٢) وصححه على شرط الشيخين وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥٠٢/٥) لابن مردويه ولكن الحديث ضعيف السند ففي سنده معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف وبه أعله الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) وفي سنده أيضاً بقية بن الوليد وهو مدلس تدليس تسوية ولم يصرح هنا بالسماع وقال الطبراني بعد روايته للحديث لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا أبو سنان سعيد بن سنان ا هـ.
قلت لكنه لم ينفرد بالرفع كما قال الطبراني وإنما تابعه الأعمش عن أبي إسحق به وروى هذه المتابعة محمد بن العباس البزار في حديثه (١١٦/١) كما نقله الألباني في السلسلة ١١٩١ وسند هذه المتابعة جيد كما قال .
وقد ورد الحديث موقوفاً على البراء كما رواه ابن جرير (٦٩/١٦) وسنده صحيح وصحح الموقوف الشوكاني في فتح القدير (٣٣١/٣) وأورده البخاري معلقاً (٤٧٦/٦) وأسند عبد الرزاق أيضاً والحاكم (٣٧٣/٢) وصححه والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥٠٢/٥) .
قال الألباني عن الموقوف وهو أصح «يعني من المرفوع» لكن تفسير الصحابي للقرآن له حكم الرفع كما قرره الحاكم في مستدركه لا سيما وقد روى عن ترجمان القرآن ابن عباس من قوله رواه ابن جرير (٩٠٦/١٦) وغيره أ هـ.
قلت لكن سنده إلى ابن عباس في الطبري منقطع وله سند آخر في الطبري ايضاً سلسل بالضعفاء . فاقتضى التنبيه.
وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير (١٦٧/٣) وابن مردويه وابن النجار كما في الدر (٥٠٢/٥) وسنده ضعيف جداً .
قال الهيثمي في المجمع (٥٤/٧) فيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف .
قال الحافظ ابن كثير (١١٧/٣) هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلى قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال ابو الفتح الأزدي متروك الحديث . والحديث ضعفه الشوكاني بأيوب في فتح القدير (٣٣١/٣) وضعفه الألباني ١٩١١ =

وقتادة ، والضحاك ، لتكون النخلة لها طعاماً ، والنهر لها شراباً ، وعلى هـذا يكون جبريل هو المنـادي لها ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ .

الثاني[٦٢٤] : أنه عربي مشتق من السراية فَسُمِّيَ السريّ لأنه يجري فيه ومنه قول الشاعر[٦٢٥] :

سهل الخليقة ماجد ذو نائلٍ مثل السريّ تمده الأنهار

وقيل : إن اسم السري يطلق على ما يعبره الناس من الأنهار وثباً .

وروى أبـان بن تغلب في تفسيـره القـرآن خبـراً عن عدد لم يسمهم[٦٢٦] أن رسول الله ﷺ بعث شداد بن ثمامة مصدقاً لبني كعب بن مـذحج وكتب لـه كتابـاً : « عَلَىٰ مَا سَقَتْهُ المَرَاسِمُ وَالجَدَاوِلُ وَالنَّوَاهِرُ وَالدَّوَافِعُ العُشْـرُ وَنِصْفُ العشر بقيمة عَدْلٍ إِلَّا الضَّوَامِرَ وَاللَّوَاقِحَ وَمَا أَطل الصور من الجفن . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ شَـاةً شَاةٌ إِلَّا العَقِيلَ وَالأَكِيلَ وَالربِيَّ . ومن كل ثلاثين بقرةً جِذْعٌ أَوْ جِذْعَةٌ إِلَّا العَاقِرَ وَالنَّاشِطَ وَالـرَّاشِحَ . وَمِن كُـلِّ خَمْسٍ مِنَ الإِبِلِ المُـوَّبلَةِ مُسِنَّةٌ مِنَ الغَنَمِ . وَلاَ صَـدَقَـةَ فِي الخَيلِ وَلاَ فِي الإِبِلِ العَامِلَةِ . شَهِدَ جَرِيرُ بن عَبدِ اللَّهِ بن جَابرٍ البَجْلِي وَشَدَّادُ بن ثُمَامَةَ وَكَتَبَ المُغِيرَةُ بن شُعْبَةِ » . فـالمراسم العيـون ، والجداول الأنهـار الصغار ، والنواهر الدوالي ، والدوافع الأودية ، والضوامر مـا لم تحمل من النخـل ، واللواقح الفحول ، والجفن الكرم ، وما أطلاه من الزرع عفو ، والعقيل فحل الغنم والأكيـل الذي يُرَبَّى للأكل . والربي التي تربي ولـدها ، والعـاقر من البقـر التي لا تحمل ، والناشط الفحل الذي ينشط من أرض إلى أرض والراشح الذي يحرث الأرض .

قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ . . . ﴾ الآية . اختلف في النخلة على أربعة أقاويل :

= وأورده الحـافظ في الفتح (٤٧٩/٦ ، ٤٨٠) من روايـة ابن مردويه وسكت عليـه وهذا يـدل على أن كل ما سكت عليه الحافظ ابن حجر ليس حسناً كما قال بعضهم فتنبه .

(٦٢٤) لعل هذا هو القول الثالث فإن المؤلف ذكر هنا قولين ثم أورد هذا القول .

(٦٢٥) أورده في روح المعاني (٨٣/١٦) .

(٦٢٦) هذا الحديث أشار إليه الحافظ في الإصابة (٣٢١/٣) من رواية ابن السكن في كتابه الذي ألفه في الصحابة وقال ابن السكن عن الحديث تفرد به عبد الله بن ناصح الرقي عن القـاسم بن معن . ا هـ. والحديث من مسند أنس رضي الله عنه .

أحدها : كانت برنية[٦٢٧] .

الثاني : صرفاتة ، قاله أبو داود .

الثالث : قريناً .

الرابع : عجوة ، قاله مجاهد .

وفي ﴿ الجَنِي ﴾ ثلاثة أقاويل :

أحدها : المترطب البسر ، قاله مقاتل .

الثاني : البلح لم يتغير ، قاله أبو عمرو بن العلاء .

الثالث : أنه الطري بغباره . وقيل لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء فجعله الله آية . قال مقاتل فاخضرت وهي تنظر ثم حملت وهي تنظر ثم نضجت وهي تنظر .

قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي ﴾ يعني من الرطب الجني .

﴿ وَٱشْرَبِي ﴾ يعني من السريّ .

﴿ وَقَرِّي عَيْناً ﴾ يعني بالولد ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : جاء يقر عينك سروراً ، قاله الأصمعي ، لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة .

الثاني : طيبي نفساً ، قاله الكلبي .

الثالث : تسكن عينك ولذلك قيل ما شيء خير للنفساء من الرطب والتمر .

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً ﴾ يعني إما للإنكار عليك وإما للسؤال لك .

﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني صمتاً ، وقد قرىء في[٦٢٨] بعض الحروف : ﴿ لِلرَّحْمَنِ صَمْتاً ﴾ وهذا تأويل ابن عباس وأنس بن مالك والضحاك .

الثاني : صوماً عن الطعام والشراب والكلام ، قاله قتادة .

---

(٦٢٧) نوع من أجود أنواع التمر .

(٦٢٨) وهي قراءة أُبي بن كعب وأنس بن مالك وأبي رزين العقيلي، زاد المسير (٥/ ٢٢٥) .

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها امتنعت من الكلام ليتكلم عنها ولدها فيكون فيه براءة ساحتها ، قاله ابن مسعود ووهب بن منبه وابن زيد .

الثاني : أنه كان من صام في ذلك الزمان لم يكلم الناس ، فأذن لها في المقدار من الكلام قاله السدي .

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّۭا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍۢ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّۭا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّۭا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّۭا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّۭا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًۭا شَقِيًّۭا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّۭا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى : ﴿ ... شَيْئاً فَرِيّاً ﴾ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : أنه القبيح من الإفتراء ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه العمل العجيب ، قاله الأخفش .

الثالث : العظيم من الأمر ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي .

الرابع : أنه المتصنع مأخوذ من الفرية وهو الكذب ، قاله اليزيدي .

الخامس : أنه الباطل .

قوله تعالى : ﴿ يَآ أُخْتَ هَـارُونَ ... ﴾ وفي هذا الذي نسبت إليه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل ينسب إليه من يعرف بالصلاح ، قاله مجاهد وكعب ، والمغيرة بن شعبة يرفعه(٦٢٩) للنبي ﷺ .

(٦٢٩) رواه مسلم (٣/١٦٨٥) والترمذي (٢/١٤٤) وأحمد (٤/٢٥٢) وزاد السيوطي في الدر =

الثاني : أنه هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يـا أخا بني فلان ، قاله السدي .

الثالث : أنه كان أخاها لأبيها وأمها ، قاله الضحاك .

الرابع : أنه كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق ونسبت إليه ، قاله ابن جبير .

﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ أي زانية . وسميت الزانية بغياً لأنهـا تبغي الزنـا أي تطلبه .

قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أشارت إلى الله فلم يفهموا إشارتها ، قاله عطاء .

الثاني : أنها أشارت إلى عيسى وهو الأظهـر ، إما عن وحي الله إليهـا ، وإما لثقتها بنفسها في أن الله تعالى سيظهـر براءتهـا ، فأشـارت إلى الله إليها ، فـأشارت إلى عيسى أن كلموه فاحتمل وجهين :

أحدهما : أنها أحالت الجواب عليه استكفاء .

الثاني : أنها عدلت إليه ليكون كلامه لها برهاناً ببراءتها .

﴿ قَـالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَـانَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾ وفي ﴿ كَـانَ ﴾ في هـذا المـوضـع وجهان :

أحـدهما : أنهـا بمعنى يكون تقـديره من يكـون في المهد صبيـاً ، قـالـه ابن الأنباري .

الثاني : أنها صلة زائدة وتقديره من هو في المهد ، قاله ابن قتيبة .

وفي ﴿ ٱلْمَهْدِ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه سرير الصبي المعهود لمنامه .

= (٥٠٧/٥) نسبته لابن أبي شيبة . وعبـد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن حبـان والـطبـراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

قال الشوكاني بعد ايراده لهذا الحديث في فتح القدير (٣٣٢/٣) وهذا التفسير النبوي يغني عن سائر ما روى عنه السلف في ذلك .

الثاني : إنه حجرها الذي تربيه فيه ، قاله قتادة . وقيل إنهم غضبوا وقالوا : لسخريتها بنا أعظم من زناها ، قاله السدي . فلما تكلم قالواْ : إن هذا لأمر عظيم .

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ وإنما قدم إقراره بالعبودية ليبطل به قول من ادعى فيه الربوبية وكان الله هو الذي أنطقه بذلك لعلمه بما يتقوله الغالون فيه .

﴿ءَآتَانِيَ ٱلْكِتَابَ ﴾ أي سيؤتيني الكتاب .

﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وسيجعلني نبياً ، والكلام في المهد من مقدمات نبوته .

الثاني : أنه كان في حال كلامه لهم في المهد نبياً كامل العقل ولذلك كانت له هذه المعجزة ، قاله الحسن . وقال الضحاك : تكلم وهو ابن أربعين [يوماً] .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : نبياً ، قاله مجاهد .

الثاني : آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر .

الثالث : معلماً للخير ، قاله سفيان .

الرابع : عارفاً بالله وداعياً إليه .

﴿ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : الدعاء والإخلاص .

الثاني : الصلوات ذات الركوع والسجود .

ويحتمل ثالثاً : أن الصلاة الإستقامة مأخوذ من صلاة العود إذا قوّم اعوجاجه بالنار .

﴿ وَٱلزَّكَاةِ . . ﴾ فيها وجهان :

أحدهما : زكاة المال .

الثاني : التطهير من الذنوب .

ويحتمل ثالثاً : أن الزكاة الاستكثار من الطاعة ، لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة .

قوله تعالى : ﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : بما برأها به من الفاحشة .

الثاني : بما تكفل لها من الخدمة .

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الجبار الجاهل بأحكامه ، الشقي المتكبر عن عبادته .

الثاني : أن الجبار الذي لا ينصح ، والشقي الذي لا يقبل النصيحة .

ويحتمل ثالثاً : أن الجبار الظالم للعباد ، والشقي الراغب في الدنيا .

قوله تعالى : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ . . . ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : يعني بالسلام السلامة ، يعني في الدنيا . ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ يعني في القبر ، ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ يعني في الآخرة ، لأن له أحوالاً ثلاثاً : في الدنيا حياً ، وفي القبر ميتاً ، وفي الآخرة مبعوثاً ، فسلم في أحواله كلها ، وهو معنى قول الكلبي .

الثاني : يعني بالسلام ﴿ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ سلامته من همزة الشيطان فإنه ليس مولود يولد إلا همزه الشيطان وذلك حين يستهل ،غير عيسى (٦٣٠) فإن الله عصمه منها . وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ يعني سلامته من ضغطة القبر لأنه غير مدفون في الأرض ﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ لم أر فيه على هذا الوجه ما يُرضي .

---

(٦٣٠) وقد رواه البخاري (٦/٤٦٩) وحديث أبي هريرة مرفوعاً ولفظه «ما من ابن آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة ﴿إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ آل عمران : ٣٦ .

قال الحافظ نقلاً عن القرطبي (٦/٤٧٠) قوله : «هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى » اهـ.

ويحتمل أن تأويله على هذه الطريقة سلامته من العرض والحساب لأن الله ما رفعه إلى السماء إلا بعد خلاصه من الذنوب والمعاصي .

قال ابن عباس ثم انقطع كلامه حتى بلغ مبلغ الغلمان .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الحق هو الله تعالى .

الثاني : عيسى وسماه حقاً لأنه جاء بالحق .

الثالث : هو القول الذي قاله عيسى من قبل .

﴿ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يشكّون ، قاله الكلبي .

الثاني : يختلفون لأنهم اختلفوا في الله وفي عيسى ، فقال قوم هو الله ، وقال آخرون هو ابن الله ، وقال آخرون هو ثالث ثلاثة . وهذه الأقاويل الثلاثة للنصارى[٦٣١] .

وقال المسلمون : هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .

ونسبته اليهود إلى غير رشدة[٦٣٢] فهذا معنى قوله : ﴿ ٱلَّذِي فِيهِ تَفْتَرُونَ ﴾ بالفاء معجمة[٦٣٣] من فوق .

---

(٦٣١) والعجيب أن كل طائفة من الطوائف الثلاث تكفر الأخرى أما المسلم فيكفر الطوائف الثلاث ومن عقوبة الله تعالى لهؤلاء المشركين أن ضرب قلوب بعضهم ببعض بحيث أنهم لا يتفقون على قول وصدق من قال « لو اجتمع أحد عشر قساً لافترقوا على اثني عشر قولاً » .

(٦٣٢) أي هو ابن زنا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

(٦٣٣) وفي روح المعاني (٩١/١٦) وقرأ عن علي كرم الله تعالى وجهه والسلمي وداود بن أبي هند ونافع=

قال ابن عباس ففرّ بمريم ابن عمها ومعها ابنها إلى مصر فكانواْ فيها اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا يخافونه .

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَٰنَ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني لئن كانوا في الدنيا صماً عمياً عن الحق فما أسمعهم له وأبصرهم به في الآخرة يوم القيامة ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أسمع بهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم القيامة يوم يأتوننا ، قاله أبو العالية .

ويحتمل ثالثاً : أسمع أمّتك بما أخبرناك من حالهم فستبصر يوم القيامة ما يصنع بهم .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يوم القيامة(٦٣٤) إذ قضي العذاب عليهم ، قاله الكلبي .

= في رواية والكسائي كذلك « تمترون » بتاء الخطاب اهـ. قلت وهي قراءة أبي مجلز ومعاذ القاري وابن يعمر وأبي رجاء كما في زاد المسير (٥/٢٣١) .

(٦٣٤) ومن موجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة وأشدها ذبح الموت بين الجنة والنار حيث يؤتى به في صورة كبش أملح ويقال لأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فتكون الحسرة على أهل النار كبيرة حين ذلك ينقطع رجاؤهم في الخروج من النار والحديث في ذلك رواه البخاري =

الثاني : يوم الموت إذ قضى الموت انقطاع التوبة واستحقاق الوعيد ، قاله مقاتل .

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

قال تعالى : ﴿ . . . لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بالحجارة حتى تباعد عني ، قاله الحسن .

الثاني : لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول ، قاله الضحاك ، والسدي ، وابن جريج .

﴿ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : دهراً طويلاً ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، والسدي ، ومنه قول مهلهل(٦٣٥) :

فتصدعت صم الجبال لموته . وبكت عليه المرملات ملياً

الثاني : سوياً سليماً من عقوبتي ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، وعطاء .

الثالث : حيناً ، قاله عكرمة .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ هذا سلام إبراهيم على أبيه ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه سلام توديع وهجر لمقامه على الكفر ، قاله ابن بحر .

= (٨/٣٢٥) ومسلم (٤/٢١٨٨) وابن جرير (١٦/٨٧) وأحمد (٣/٩) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

راجع موجبات الحسرة في زاد المسير (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٥) .

(٦٣٥) فتح القدير (٣/٣٣٦) وروح المعاني (١٦/٩٩) .

الثاني : وهو أظهر أنه سلام بر وإكرام ، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية .

ثم قال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : سأستغفر لك إن تركت عبادة الأوثان .

الثاني : معناه سأدعوه لك بالهداية التي تقتضي الغفران .

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : مُقَرِّباً .

الثاني : مُكْرِماً .

الثالث : رحيماً ، قاله مقاتل .

الرابع : عليماً ، قاله الكلبي .

الخامس : متعهداً .

فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : جعلنا لهم ذكراً جميلاً وثناءً حسناً ، قاله ابن عباس ، وذلك أن جمع الملك بحسن الثناء عليه .

الثاني : جعلناهم رسلاً لله كراماً على الله ، ويكون اللسان بمعنى الرسالة : قال الشاعر(٦٣٦) :

أتتني لسان بني عامر أحاديثها بعد قول ونكر

ويحتمل قولاً [ثالثاً] أن يكون الوفاء بالمواعيد والعهود

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

---

(٦٣٦) اللسان (لسن) ولم ينسب فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ والطور جبل بالشام ناداه الله من ناحيته اليمنى . وفيه وجهان :

أحدهما : من يمين موسى .

الثاني : من يمين الجبل ، قاله مقاتل .

﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قربه من الموضع الذي شرفه وعظمه بسماع كلامه .

الثاني : أنه قربه من أعلى الحجب حتى سمع صريف القلم[٦٣٧] ، قاله ابن عباس ، وقال غيره : حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة .

الثالث : أنه قربه تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب اجتذاب وإدناء لأنه لا يوصف بالحلول في مكان دون مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب ، قاله ابن بحر .

وفي قوله : ﴿ نَجِيّاً ﴾ ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مأخوذ من النجوى ، والنجوى لا تكون إلا في الخلوة ، قاله قطرب .

الثاني : نجاه لصدقه مأخوذ من النجاة .

الثالث : رفعه بعد التقريب مأخوذ من النجوة وهو الإرتفاع ، قال الحسن لم يبلغ موسى من الكلام الذي ناجاه به شيئاً .

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ وصفه بصدق الوعد لأنه وعد رجلاً أن ينتظره ، قال ابن عباس : حولاً حتى أتاه . وقال يزيد الرقاشي : انتظره اثنين وعشرين يوماً . وقال مقاتل : انتظره ثلاثة أيام .

(٦٣٧) وهو قول قتادة كما في الطبري (١٦/٩٥) قاله الألوسي (١٦/١٠٤) ولا يخفى بعده .

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يأمر قومه فسماهم أهله .

الثاني : أنه بدأ بأهله قبل قومه . وفي الصلاة والزكاة ما قدمناه . وهو على قول الجمهور : إسماعيل بن إبراهيم(٦٣٨) . وزعم بعض المفسرين أنه ليس بإسماعيل بن إبراهيم لأن إسماعيل مات قبل إبراهيم ، وإن هذا هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة رأسه ، فخيره الله تعالى فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوض أمرهم إليه في عفوه أو عقوبته .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن إدريس رفع إلى السماء الرابعة ، وهذا قول أنس بن مالك في حديث مرفوع(٦٣٩) ، وأبي سعيد الخدري(٦٤٠) ، وكعب ، ومجاهد(٦٤١) .

الثاني : رفعه إلى السماء السادسة ، قاله ابن عباس(٦٤٢) ، والضحاك ، وهو مرفوع في السماء .

---

(٦٣٨) قال الشوكاني (٢٣٨/٣) « ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به » .

(٦٣٩) رواه ابن أبي شيبة (٥٣٣/١١) والحاكم (٣٧٣/٢) والطبري (١١/١٦) وهناد (١٨٨/١) وصححه الحاكم وأقره الذهبي وزاد السيوطي (٤ /) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٤٠) قول أبي سعيد وسنده ضعيف جداً .

رواه هناد في الزهد (١١٩/١) وابن أبي شيبة (٥٥١/١١) والطبري (٢٧٣/١٦) وابن مردويه كما في الدر (٥/) وفي سنده أبو هارون وهو الصيمري واسمه عمارة بن جوين البصري قال الحافظ في التقريب متروك ومنهم من كذبه شيعي .

(٦٤١) قول مجاهد إسناده صحيح عنه رواه الطبري (٧٣/١٦) وابن أبي شيبة (٥٥٠/١١) وهناد في الزهد (١١٩/١) .

(٦٤٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٤٩/٢) عن الحسن عن سمرة قاله الذهبي إسناده مظلم لا تقوم به حجة .

وقد اشتهر بين الناس أن إدريس رفع حياً إلى السماء قال الحافظ ابن حجر (٣٧٥/٦) وكون إدريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية . . . وأثر ابن عباس أن إدريس في السماء السادسة رواه الطبري (٩٦/١٦) وإسناده مسلسل بالضعفاء .

واختلفوا في موته فيها على قولين :

أحدهما : أنه ميت فيها ، قاله مقاتل وقيل أنه مات بين السماء الرابعة والخامسة .

الثاني : أنه حيّ فيها لم يمت مثل عيسى .

روى ابن إسحاق أن إدريس أول من أُعْطِي النبوة من ولد آدم وأول من خط بالقلم(٦٤٣) ، وهو أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم . وحكى ابن الأزهر عن وهب بن منبه أن إدريس أول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى ، ولبس الثياب وإنما كانوا يلبسون الجلود ، وأول من وضع الأوزان والكيول ، وأقام علم النجوم والله أعلم .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾

قوله تعالى : ﴿ .... خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ أي سُجّداً لله ، وبكياً جمع باك ، ليكون السجود رغبة والبكاء رهبة . وقد روي في الحديث(٦٤٤) : « فَهَٰذَا السُّجُودُ فَأَيْنَ البُكَاءُ ؟ » يعني هذه الرغبة فأين الرهبة ؟ لأن الطاعة لا تخلص إلا بالرغبة والرهبة .

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) ﴾

---

(٦٤٣) قال الحافظ في الفتح (٦/٣٧٥) . وفي حديث أبي ذر الطويل الذي صححه ابن حبان أن إدريس كان نبياً رسولاً وأنه أول من خط بالقلم .

(٦٤٤) هذا الحديث موقوف عن عمر رضي الله عنه رواه ابن جرير (١٦ / ٩٨) وزاد السيوطي في الدر (٥ / ٥٢٥) نسبته لابن أبي الدنيا في البكاء وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فأين البكاء .

قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآية . في الفرق بين الخلْف بتسكين اللام والخلف بتحريكها وجهان :

أحدهما : أنه بالفتح إذا خلفه من كان من أهله ، وبالتسكين إذا خلفه من ليس من أهله .

الثاني : أن الخلْف بالتسكين مستعمل في الذم ، وبالفتح مستعمل في المدح قال لبيد[٦٤٥] :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلفٍ كجلد الأجْرب

وفي هذا الخلف قولان :

أحدهما : أنهم اليهود من بعد ما تقدم من الأنبياء ، قاله مقاتل .

الثاني : أنهم من المسلمين .

فعلى هذا في قوله ﴿ من بَعْدِهِم ﴾ قولان :

أحدهما : من بعد النبي ﷺ ، من عصر الصحابة وإلى قيام الساعة كما روى الوليد بن قيس حكاه إبراهيم عن عبيدة .

الثاني : إنهم من بعد عصر الصحابة . روى الوليد بن قيس عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ[٦٤٦] : « يَكُونُ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً ﴿خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾ . الآية .

وفي إضاعتهم الصلاة قولان :

أحدهما : تأخيرها عن أوقاتها ، قاله ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز .

الثاني : تركها ، قاله القرظي .

ويحتمل ثالثاً : أن تكون إضاعتها الإخلال باستيفاء شروطها[٦٤٧] .

---

(٦٤٥) اللسان (خلف) روح المعاني (١٠٩/١٦) .

(٦٤٦) رواه أحمد (٣٨/٣) والحاكم (٣٧٤/٢ ، ٥٤٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان (٦٧/٢) والبخاري في التاريخ (١٥١/٨) وزاد السيوطي في الدر (٥٢٧/٥) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والمؤلف هنا اقتصر على جزء من الحديث .

(٦٤٧) ولا مانع من دخول كل هذه الصور تحت إضاعة الصلاة وأشدها تركها بالكلية .

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : أنه واد في جهنم(٦٤٨) ، قالته عائشة(٦٤٩) وابن مسعود(٦٥٠) .

الثاني : أنه الخسران ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه الشر ، قاله ابن زيد .

الرابع : الضلال عن الجنة .

الخامس : الخيبة ، ومنه قول الشاعر(٦٥١) :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

من يغو : أي من يخب .

جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : الكلام الفاسد .

الثاني : الخلف ، قاله مقاتل .

﴿ إِلَّا سَلَاماً ﴾ فيه وجهان :

---

(٦٤٨) وقد ورد مرفوعاً من حديث ابن عباس رواه ابن مردويه كما في الدر (٥/٥٢٨) وفي سنده نهشل وهو كذاب .

(٦٤٩) تقدم تخريجه في سورة الكهف .

(٦٥٠) رواه هناد (١/١٨٣) والطبري (١٦/٧٥) والطبراني (٩/٢٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٠٧) والحاكم (٢/٣٧٤) ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة رقم (٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي (٧/٥٥) رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه .
وقال في موضع آخر (١٠/٣٩٠) رجاله رجال الصحيح وزاد السيوطي في الدر (٥/٥٢٧) نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦٥١) هو المرقش الأصغر والبيت في المفضليات ص ١١٨ والطبري (١٩/١٠١) واللسان (غوى) وروح المعاني (١٦/١١٠) .

أحدهما : إلا السلامة .

الثاني : تسليم الملائكة عليهم ، قاله مقاتل .

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن العرب إذا أصابت الغداء والعشاء نعمت، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة غداء وعشاء ، وإن لم يكن في الجنة ليل ولا نهار .

الثاني : معناه مقدار البكرة ومقدار العشي من أيام الدنيا ، قاله ابن جريج . وقيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب ، ومقدار النهار[٦٥٢] برفع الحجب وفتح الأبواب .

ويحتمل أن تكون البكرة قبل تشاغلهم بلذاتهم ، والعشي بعد فراغهم من لذاتهم ، لأنه يتخللها فترات انتقال من حال إلى حال .

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه قول أهل الجنة : إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله ، قاله ابن بحر .

الثاني : أنه قول جبريل عليه السلام ، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي ﷺ باثنتي عشرة ليلة ، فلما جاءه قال :« غِبْتَ عَنِّي حَتَّى ظَنَّ الْمُشْرِكُونَ كلَّ ظَنٍ »[٦٥٣] فنزلت ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ .

ويحتمل وجهين :

أحدهما : إذا أُمِرْنَا نزلنا عليك .

---

(٦٥٢) إعلم أن الجنة ليس فيها ليل ولا نهار ناشيء عن شمس ولا عن قمر إنما نوَّرها الله بنور جميل، خلقه الله تعالى ويعرفون انقضاء اليوم بعلامة يُعرِفهم الله بها فنسأله تعالى رضاه والجنة ونستعيذ من غَضبه والنار.

(٦٥٣) رواه الطبري ١٦/ ١٠٤ بنسده عن مجاهد.

الثاني : إذا أَمَرَكَ ربك نَزَّلنا عليك الأمر على الوجه الأول متوجهاً إلى النزول ، وعلى الثاني متوجهاً إلى التنزيل .

﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ من الآخرة ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ من الدنيا .

﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني ما بين النفختين ، قاله قتادة .

والثاني : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ أي ما مضى أمامنا من الدنيا . ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة . ﴿ وَمَا بَيْن ذَٰلِكَ ﴾ ما مضى من قبل وما يكون من بعد ، قاله ابن جرير[٦٥٤] .

ويحتمل ثالثاً : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ : السماء ، ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ : الأرض . ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ما بين السماء والأرض .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي ما نسيك ربك .

الثاني : وما كان ربك ذا نسيان .

قوله عز وجل : ﴿ . . . . هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : يعني مِثْلاً وشبيهاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، مأخوذ من المساماة .

الثاني : أنه لا أحد يسَمى بالله غيره ، قاله قتادة ، والكلبي .

الثالث : أنه لا يستحق أحد أن يسمى إلَهاً غيره .

الرابع : هل تعلم له من ولد ، قاله الضحاك . قال أبو طالب[٦٥٥] :

أمّا المسمى فأنت منه مكثر لكنه ما للخلود سبيلُ

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا

(٦٥٤) جامع البيان (١٦/١٠٥) .

(٦٥٥) روح المعاني (١٦/١١٦) .

خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ فيها قولان :

أحدهما : أن جهنم اسم من أسماء النار .

الثاني : أنه إسم لأعمق موضع في النار ، كالفردوس الذي هو اسم لأعلى موضع في الجنة .

﴿جِثِيّاً ﴾ فيه قولان :

أحدهما : [جماعات*]، قاله الكلبي والأخفش .

الثاني : بُروكاً على الرُّكَب ، قاله عطية .

قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ ﴾ الشيعة الجماعة المتعاونون . قال مجاهد : والمراد بالشيعة الأمة لاجتماعهم وتعاونهم .

وفي ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾ وجهان :

أحدهما : لننادين ، قاله ابن جريج .

الثاني : لنستخرجن ، قاله مقاتل .

﴿ عِتِيّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أهل الإفتراء بلغة بني تميم . قاله بعض أهل اللغة .

الثاني : جرأة ، قاله الكلبي .

الثالث : كفراً ، قاله عطية .

الرابع : تمرداً .

الخامس : معصية .

قوله عز وجل : ﴿ . . . أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيّاً ﴾ فيه وجهان :

(*) زيادة يقتضيها السياق.

أحدها : دخولاً ، قاله الكلبي .

الثاني : لزوماً .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يعني الحمى والمرض ، قاله مجاهد .

روى أبو هريرة قال(٦٥٦) : خرج رسول الله ﷺ يعود رجلاً من أصحابه فيه وعك وأنا معه ، فقال رسول الله : « **أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ** » أي في الآخرة .

الثاني : يعني جهنم . ثم فيه قولان :

أحدهما: يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن ؛ قاله عكرمة ويكون قوله : ﴿ وَإِن مِّنْكُمْ ﴾ أي منهم كقوله تعالى : ﴿ وَسَقَاهُم رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً ﴾ أي لهم .

الثاني : أنه أراد المؤمن والكافر .روى ابن زيد عن النبي (٦٥٧) ﷺ أنه قال « **الزَّالُّونَ وَالزَّالاَّت يَومَئِذٍ كَثِيرٌ** » .

وفي كيفية ورودها قولان :

---

(٦٥٦) رواه الطبري (١١١/١٦) وقال ابن كثير غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه قلت لأن في سنده عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف .

قلت ولم يتفرد به بل تابعه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .

رواه أحمد (٤١٠/٢) وابن ابي شيبة (٢٩٩/٢) وابن ماجة (٣٤٧٠) والحاكم (٣٤٥/١) وصححه ووافقه الذهبي وصحح المتابعة الألباني أيضاً (٤٣٨/٤) وللحديث شواهد راجعها في السلسلة الصحيحة رقم ١٨٢١ ، ١٨٢٢ وقال الألوسي (١٢٢/١٦) والحق أنه لا دلالة فيه على عدم ورود المؤمن المحموم في الآخرة وقصارى ما يدل عليه أنه يخفف من ألم النار يوم القيامة .

(٦٥٧) رواه الطبري (١١١/١٦).

وهو خبر مرسل كما ترى .

أحدهما : الدخول فيها . قال ابن عباس : ليردنها كل بر وفاجر . لكنها تمس الفاجر دون البر . قال وكان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالماً ، وأدخلني الجنة غانماً .

والقول الثاني : أن ورود المسلم عليها الوصول إليها ناظراً لها ومسروراً بالنجاة منها ، قاله ابن مسعود ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص ٢٣] أي وصل . وكقول زهير بن أبي سلمى(٦٥٨) :

ولما وردن الماء زُرْقاً جِمامُه وضعن عِصيَّ الحاضر المتخيمِ

ويحتمل قولاً ثالثاً : أن يكون المراد بذلك ورود عرضة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر(٦٥٩) .

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : قضاء مقتضياً ، قاله مجاهد .

الثاني : قسماً واجباً(٦٦٠) ، قاله ابن مسعود .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ . . . أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : منزل إقامة في الجنة أو النار .

والثاني : يعني كلام قائم بجدل واحتجاج أي : أمّن فلجت حجته بالطاعة

---

(٦٥٨) شرح ديوان زهير : ٣٠ ، اللسان ورد القرطبي (١٣٧/١١) . زاد المسير (٢٥٦/٥) .

(٦٥٩) قال الشوكاني رحمه الله (٣٤٤/٣) .

« وقد اختلف الناس في هذا الورود . . . . ثم قال وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود . . . . . ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة وينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً عن عذابها أو على المضي فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط .

(٦٦٠) قال الألوسي (١٢٢/١٦) في تفسير هذا القول:

« المراد يخذله الواجب في تحتم الوقوع إذ لا يجب على الله تعالى شيء عند أهل السنة .

خير أم من دحضت حجته بالمعصية ، وشاهده قول لبيد :

ومقام ضيق فرجتهْ　　　بلساني وحسامي وجدل

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أفضل مجلساً .

الثاني : أوسع عيشاً .

ويحتمل ثالثاً : أيهما خير مقاماً في موقف العرض ، من قضى له بالثواب أو العقاب ؟

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ منزل إقامة في الجنة أو في النار . وقال ثعلب : المقام بضم الميم : الإقامة ، وبفتحها المجلس .

قوله تعالى : ﴿ أَثَاثاً وَرِءْياً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : أن الأثاث : المتاع ، والرئي : المنظر ، قاله ابن عباس . قال الشاعر(٦٦١) :

أشاقت الظعائن يوم ولوا　　　بذي الرئي الجميل من الأثاث

الثاني : أن الأثاث ما كان جديداً من ثياب البيت، والرئي الارتواء من النعمة.

الثالث: الأثاث ما لا يراه الناس. والرئي ما يراه الناس.

الرابع : معناه أكثر أموالاً وأحسن صوراً .

ويحتمل خامساً : أن الأثاث ما يعد للاستعمال ، والرئي ما يعد للجمال .

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ فيه وجهان :

---

(٦٦١) هو محمد بن نمير الثقفي والبيت في اللسان (رأى).
روح المعاني (١٦/ ١٢٦) فتح القدير (٣/ ٣٤٧).

أحدهما : يزيدهم هدى بالمعونة في طاعته والتوفيق لمرضاته .

الثاني : الإيمان بالناسخ والمنسوخ ، قاله الكلبي ومقاتل ، فيكون معناه : ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ .

ويحتمل ثالثاً : ويزيد الله الذين اهتدوا إلى طاعته هدى إلى الجنة .

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِئَايَاتِنَا . . . ﴾ اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على قولين :

أحدهما : في العاص بن وائل[٦٦٢] السهمي ، قاله جابر وابن عباس ومجاهد .

الثاني : في الوليد بن المغيرة ، قاله الحسن .

﴿ . . . مَالاً وَوَلَداً ﴾ قرأ حمزة والكسائي[٦٦٣] ﴿ ووُلْداً ﴾ بضم الواو ، وقرأ الباقون بفتحها ، فاختلف في ضمها وفتحها على وجهين :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد ، يقال ولَدَ ووُلْد ، وعَدَم وعُدْم ، وقال الحارث ابن حلزة[٦٦٤] .

ولقد رأيت معاشراً قد ثمَّروا مالاً ووُلْدا

والثاني : أن قيساً تجعل الوُلْد بالضم جميعاً ، والولد بالفتح واحداً .

(٦٦٢) وذلك حينما ذهب جناب بن الأريب ليأخذ أجره وكان ديناً على العاص فقال له العاص لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فإني إذا مت ثم بعثت ثم جئت ولي ثم مال وولد أعطيتك فنزلت فيه هذه الآية .
رواه البخاري (٣٢٦/٨) ومسلم (٣١٥/٤) وأحمد (١٤٠/٥) والترمذي (١٤٥/٣) وقال حسن صحيح وهذا القول عليه أكثر المفسرين .

(٦٦٣) الحجة في القراءات ص ٤٤٧ زاد المسير (٢٦٠/٥) .

(٦٦٤) اللسان (ولد) معاني للفراء للقرار ص ١٩٥ الطبري (١٢٢/١٦)

وفي قوله تعالى : ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه أراد في الجنة استهزاء بما وعد الله على طاعته وعبادته ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه أراد في الدنيا ، وهو قول الجمهور . وفيه وجهان محتملان :

أحدهما : إن أقميت[٦٦٥] على دين آبائي وعبادة آلهتي لأوتين مالاً وولداً .

الثاني : معناه لو كنت أقمت على باطل لما أوتيت مالاً وولداً .

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : معناه أعلم الغيب أنه سيؤتيه على كفره مالاً وولداً .

الثاني : أعلم الغيب لما آتاه الله على كفره .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني عملاً صالحاً قدمه ، قاله قتادة .

الثاني : قولاً عهد به الله إليه ، حكاه ابن عيسى .

قوله عز وجل : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من مال وولد .

الثاني : يحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد .

﴿ وَيَأْتِينَا فَرْداً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بلا مال ولا ولد .

الثاني : بلا ولي ولا ناصر .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

(٦٦٥) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب إن أقمت والتصويب من فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٣) .

قوله عز وجل : ﴿ . . . سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سيجحدون أن يكونوا عبدوها لما شاهدوا من سوء عاقبتها .

الثاني : سيكفرون بمعبوداتهم ويكذبونهم .

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أعواناً في خصومتهم ، قاله مجاهد .

الثاني : قرناء في النار يلعنونهم ، قاله قتادة .

الثالث : يكونون لهم أعداء ، قاله الضحاك .

الرابع : بلاء عليهم ، قاله ابن زيد .

الخامس : أنهم يكذبون على ضد ما قدروه فيهم وأمّلوه منهم ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : تزعجهم إزعاجاً حتى توقعهم في المعاصي ، قاله قتادة .

الثاني : تغويهم إغواء ، قاله الضحاك .

الثالث : تغريهم إغراء بالشر : إمض إمض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار ، قاله ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ . . . إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : نعد أعمالهم عداً ، قاله قطرب .

الثاني : نعد أيام حياتهم ، قاله الكلبي .

الثالث : نعد مدة إنظارهم إلى وقت الإنتقام منهم بالسيف والجهاد ، قاله مقاتل .

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

﴿ . . . وَفْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : ركباناً ، قاله الفراء .

الثاني : جماعة ، قاله الأخفش .

الثالث : زوّاراً ، قاله ابن بحر .

قوله عز وجل : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :
أحدها : مشاة ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً .

الثالث : أفراداً .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْداً ﴾ فيه وجهان :
أحدهما :[٦٦٦] . . .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

﴿ شَيْئاً إِدّاً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : منكراً ، قاله ابن عباس .

الثاني : عظيماً ، قاله مجاهد . قال الراجز[٦٦٧]:
في لهث منه وحبك إدّ

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴾ فيه وجهان :

---

(٦٦٦) لاحظ أن هنا سقطاً وقد ورد في بعض التفاسير أن العهد هو شهادة ألا إله إلا الله .

(٦٦٧) الطبري (١٦/ ١٣٠) ولم ينسبه وفيه «وحتل إذاً بدلاً من وحبك» .

أحدهما : حباً في الدنيا مع الأبرار ، وهيبة عند الفجار .

الثاني : يحبهم الله ويحببهم الناس . قال الربيع بن أنس : إذا أحب الله عبداً ألقى له المحبة في قلوب أهل السماء ، ثم ألقاها في قلوب أهل الأرض[٦٦٨] .

ويحتمل ثالثاً : أن يجعل لهم ثناء حسناً . قال كعب : ما يستقر لعبد ثناء في الدنيا حتى يستقر من أهل السماء . وحكى الضحاك عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه جعل له وداً في قلوب المؤمنين[٦٦٩] .

قوله عز وجل : ﴿ قَوْماً لُدّاً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : فجّاراً ، قاله مجاهد .

الثاني : أهل إلحاح في الخصومة ، مأخوذ من اللدود في الأفواه ، فلزومهم الخصومة بأفواههم كحصول اللدود في الأفواه ، قاله ابن بحر .

قال الشاعر :

بغوا لَدَدَي حَنقاً عليَّ كأنما ... تغلي عداوة صدرهم في مِرجل

الثالث : جدالاً بالباطل ، قاله قتادة ، مأخوذ من اللدود وهو شديد الخصومة . قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ وقال الشاعر :

أبيت نجياً للهموم كأنني ... أخاصم أقواماً ذوي جدلٍ لُدّا

قوله عز وجل : ﴿ وِكْزاً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : صوتاً ، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك .

الثاني : حِسّاً ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه ما لا يفهم من صوت أو حركة ، قاله اليزيدي .

---

(٦٦٨) وقد ورد في هذا المعنى حديثاً مرفوعاً رواه البخاري (٦/٢٢٠ ، ١١٠ ، ٣٨٦) ومسلم (٤/٢٠٣٠) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيجلسه جبريل ثم ينادي من السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض» .

(٦٦٩) راجع ما كتبه العلامة الألوسي في روح المعاني (١٦/١٤٣) حول هذا القول .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ طه ﴾ فيه سبعة أقاويل :

أحدها : أنه بالسريانية يا رجل ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد . وحكى الطبري[٦٧٠] : أنه بالنبطية يا رجل ؛ وقاله ابن جبير ، والسدي كذلك .

وقال الكلبي : هو لغة عكل[٦٧١] ، وقال قطرب :هو بلغة طيىءوأنشد ليزيد بن مهلهل[٦٧٢] :

إن السفاهة (طه) من خليقتكم ... لا قدس الله أرواح الملاعين

(٦٧٠) جامع البيان (١٦/١٣٥) واختاره ورجحه على غيره .

(٦٧١) وفي الطبري (١٦/١٣٦) عك .

(٦٧٢) الطبري (١٦/١٣٧) ولم ينسبه والشطر الثاني فيه.

لا بـارك الله في القوم الملاعيـن.

الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى(٦٧٣) وَقَسَمٌ أَقْسَمَ بِهِ ، وهـذا مروي عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : أنه اسم السورة ومفتاح لها .

الرابع : أنه اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه .

الخامس : أن حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنىً .

السادس : معناه : طوبىٰ لمن اهتدىٰ ، وهذا قول محمد الباقـر بن علي زين العابدين رحمهما الله .

السـابع : معنـاه طَإِ الأَرْضَ بقـدمك ، ولا تقم علىٰ إحـدىٰ رجليك يعني في الصلاة ، حكاه ابن الأنباري .

ويحتمل ثامناً : أن يكون معناه طهّر . ويحتمل ما أمره بتطهيره وجهين :

أحدهما : طهر قلبك من الخوف .

والثاني : طهر أُمَّتَك من الشرك .

قوله تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدهـا : بالتعب والسهر في قيام الليل ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه جواب للمشركين لما قالواْ : إنه بالقرآن شقى ، قاله الحسن .

الثالث : معناه لا تشْقِ نفسـك بالحـزن والأسف على كفر قـومك ، قـاله ابن بحر .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : إلا إنذاراً لمن يخشى الله .

والثاني : إلا زجراً لمن يتقي الذنوب .

والفرق بين الخشية والخوف : أن الخوف فيما ظهرت أسبابه والخشية فيما لم تظهر أسبابه(٦٧٤).

(٦٧٣) انظر تفصيل ذلك في زاد المسير (٥/٢٠٥ ، ٢٠٧).

(٦٧٤) كيف ذلك والله تعالى يقول ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فـالعلم سبب من أسباب خشية الله فتنبه وإلا لما قال ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

قوله عز وجل : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : له ملك السموات والأرض .

الثاني : له تدبيرها .

الثالث : له علم ما فيها .

وفي ﴿ . . . الثَّرَىٰ ﴾ وجهان :

أحدها : كل شيء مُبْتَلّ ، قاله قتادة .

الثاني : أنه التراب في بطن الأرض ، قاله الضحاك .

الثاني : أنها الصخرة التي تحت الأرض السابعة ، وهي صخرة خضراء وهي سجِّين التي فيها كتاب الفجار ، قاله السدي .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ ﴾ فما حاجتك إلى الجهر ؟ لأن الله يعلم بالجهر وبالسر .

﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : أن « السِّرَّ » ما حدَّث به العبد غيره في السر . « وأَخْفَىٰ » ما أضمره في نفسه ، ولم يحدّث به غيره ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السر ما أضمره العبد في نفسه . وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد في نفسه قاله قتادة وسعيد بن جبير .

الثالث : يعلم أسرار عباده ، وأخفى سر نفسه عن خلقه ، قاله ابن زيد .

الرابع : أن السر ما أسره الناس ، وأخفى : الوسوسة ، قاله مجاهد .

الخامس : أن السر ما أسره من علمه وعمله السالف ، وأخفى : وما يعلمه من عمله المستأنف ، وهذا معنى قول الكلبي .

السادس : السر : العزيمة ، وما هو أخفىٰ : هو الهم الذي دون العزيمة .

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ أي قد أتاك حال موسى فيما اجتباه ربه لنبوته وحمله من رسالته . واحتمل ذلك أن يكون بما قصه عليه في هذا الموضع ، واحتمل أن يكون بما عرفه في غيره .

﴿ إِذْ رَءَا نَاراً ﴾ وكانت عند موسى ناراً ، وعند الله نوراً ، قال مقاتل : وكانت ليلة الجمعة في الشتاء(٦٧٥) .

﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ أي أقيموا . والفرق بين المكث والإقامة أن الإقامة تدوم والمكث لا يدوم .

﴿ إِنِّيٓ أَنَسْتُ نَاراً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : رأيت ناراً .

والثاني : إني آنست بنار .

﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ أي بنار تصطلون بها .

﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدىً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هادياً يهديني الطريق ، قاله قتادة .

والثاني : علامة أستدل بها على الطريق . وكانوا قد ضلوا عنه فمكثوا بمكانهم بعد ذهاب موسىٰ ثلاثة أيام حتىٰ مر بهم راعي القرية فأخبرهم بمسير موسىٰ ، فعادوا مع الراعي إلى قريتهم وأقاموا بها أربعين سنةً حتىٰ أنجز موسى أمر ربه .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا

---

(٦٧٥) قال محقق المطبوعة في الهامش « كان ذلك بعد أن قضى موسى الأجل في خدمة شعيب شيخ مدينة . . . الخ . وجواباً على هذا نقول لقد عوّل المحقق على ما ورد وشاع من أن الذي صاهره نبي الله موسى هو نبي الله شعيب ولكن لم يرد ذلك في حديث صحيح وقد أسهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة جميعها في ذلك راجعها ضمن جامع الرسائل بتحقيق الدكتور محمد رشاد .

تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَاهَا ﴾ يعني النار ، التي هي نور ﴿ نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ وفي هذا النداء قولان :

أحدهما : أنه تفرد بندائه .

الثاني : أن الله أنطق النور بهذا النداء فكان من نوره[٦٧٦] الذي لا ينفصل عنه ، فصار نداء منه أعلمه به أنه ربه لتسكن نفسه ويحمل عنه أمره فقدم تأديبه بقوله : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ الآية . وفي أمرْه بخلعهما قولان :

أحدهما : ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس ، قاله علي بن أبي طالب ، والحسن ، وابن جريج .

والثاني : لأن نعليه كانتا من جلد حمار ميت[٦٧٧]، قاله كعب ، وعكرمة ، وقتادة .

﴿ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن المقدس هو المبارك ، قاله ابن عباس ، ومجاهد .

والثاني : أنه المطهر ، قاله قطرب ، وقال الشاعر :

وأنت وصول للأقارب مدره ... بريء من الآفات من مقدس

وفي ﴿ طُوًى ﴾ خمسة تأويلات :

أحدها : أنه اسم من طوى لأنه مر بواديها ليلاً فطواه ، قاله ابن عباس .

الثاني : سمي طوى لأن الله تعالى ناداه مرتين . وطوى في كلامهم بمعنى مرتين ، لأن الثانية إذا أعقبتها الأولى صارت كالمطوية عليها .

الثالث : بل سمي بذلك لأن الوادي قدس مرتين ، قاله الحسن .

---

(٦٧٦) وهو قول المعتزلة ومن وافقهم راجع روح المعاني (١٦/ ١٦٩) .

(٦٧٧) وقد ورد مرفوعاً رواه الترمذي (١/ ٢٠٦) من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث حميد الأعرج وحميد هو ابن علي الأعرج الكوفي منكر الحديث وقال الطبري (١٦/ ١٤٤) في إسناده نظر يجب التثبت منه .

الرابع : أن معنى طوى : طَإِ الوادي بقدمك ، قاله مجاهد .

الخامس : أنه الإسم للوادي قديماً . قاله ابن زيد :

فخلع موسىٰ نعليه ورمىٰ بهما وراء الوادي .

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : وأقم الصلاة لتذكرني فيها ، قاله مجاهد .

والثاني : وأقم الصلاة بذكري ، لأنه لا يُدْخَلُ في الصلاة إلا بذكره .

الثالث : وأقم الصلاة حين تذكرها ، قاله إبراهيم .

وروىٰ سعيد بن المسيب[٦٧٨] أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا »[٦٧٩]، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أي لا أظهر عليها أحداً ، قاله الحسن . ويكون أكاد بمعنى أريد أ: . . ' .

الثاني : أكاد أخفيها من نفسي ، قاله ابن عباس ومجاهد ، وهي كذلك في قراة أُبَيّ[٦٨٠] «أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي» ويكون المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها . وتقديره : إذا كنت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك ؟ .

الثالث : معناه أن الساعة آتية أكاد . انقطع الكلام عند أكاد وبعده مضمر أكاد آتي بها تقريباً لورودها ، ثم استأنف : أخفيها لتجزى كل نفسٍ بما تسعى . قاله الأنباري ، ومثله قول ضابىء البرجمي[٦٨١]:

همممت ولم أفعل وكدت وليتني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تركت على عثمان تبكي حلائله

(٦٧٨) هذا الحديث مرسل رواه الطبري (١٤٨/١٦) موصولاً من حديث أبي هريرة .

(٦٧٩) وورد من حديث انس رواه البخاري (٧٠/٢) ومسلم (٤٧٧/١)

وأبو داود (٤٤٢) وغيرهم راجع الدر (٥٦١/٥) .

(٦٨٠) وهي قراءة ابن مسعود ومحمد بن علي كما في زاد المسير (٢٧/٥) .

(٦٨١) الطبري (١٥٢/١٦) والقرطبي (١٨٣/١١) وزاد المسير (٢٧٦/٥) البحر المحيط (٢٣٣/٦) .

أي كدت أن أقتله ، فأضمره لبيان معناه .

الرابع : أن معنى ـ أخفيها : أظهرها ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٦٨٢):

فإن تدفنوا الداءَ لا نخفيه وأن تبعثوا الحرب لا نقعد

يقال أخفيت الشيء أي أظهرته وأخفيته إذا كتمته ، كما يقال أسررت الشيء إذا كتمته ، وأسررته إذا أظهرته .

وفي قوله : ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أسر الرؤساء الندامة عن الأتباع الذين أضلوهم .

والثاني : أظهروا الندامة . قال الشاعر(٦٨٣):

ولما رأى الحجاج أظهر سيفه أسر الحروري الذي كان أضمرا

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه على وجه القسم من الله ، إن كل نفس تجزى بما تسعى .

الثاني : أنه إخبار من الله أن كل نفس تجزى بما تسعى .

قوله عز وجل : ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فتشقى .

الثاني : فتنزل .

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

(٦٨٢) هو امرىء القيس .
والبيت في ديوانه : ١٨٦ والطبري (١٦/١٥٠) ، ومجاز القرآن (٢/١٧) اللسان (خفا) والقرطبي (١١/١٨٢) زاد المسير (٥/٢٧٦) .

(٦٨٣) هو الفرزدق
والبيت في الطبري (١٦/١٥٢) اللسان (سرر) وفي الطبري
فلما رأى الحجاج جرّد سيفه .
(تنبيه) هذا الفعل من الاضداد يحمل معنيين متضادين.

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلّا يدخل عليه ارتياب بعد انقلابها حيةً تسعى .

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ فتضمن جوابه أمرين :

أحدهما : الإِخبار بأنها عصا وهذا جواب كافٍ .

الثاني : إضافتها إلى ملكه ، وهذه زيادة ذكرها ليكفي الجواب بما سئل عنه .

ثم أخبر عن حالها بما لم يُسأل عنه ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها[٦٨٤] لئلا يكون عابثاً بحملها ، فقال : ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي . قال الراجز[٦٨٥] :

أهش بالعصا على أغنامي من ناعم الأراك والبشام

وقرأ عكرمة[٦٨٦] « وأهس » بسين غير معجمة . وفي الهش والهس وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة : خبط الشجر ، والهس بغير إعجام زجر الغنم .

﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ أي حاجات أخرىٰ ، فنص على اللازم وكنّى عن العارض ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يطرد بها السباع ، قاله مقاتل :

الثاني : أنه كان يَقْدَحُ بها النار ، ويستخرج الماء بها .

---

(٦٨٤) وقد أبدى بعض المفسرين نكتة في ذلك وهي أن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام أراد أن يتلذذ بطول المناجاة مع ربه تبارك وتعالى ولهذا أطال الكلام عن العصا .

(٦٨٥) أورده الطبري (١٦/ ١٥٤) ولم ينسبه .

وفي اللسان « هش » قال الفراء في تفسير البيت : أي أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمي والأراك والبشام نوعان من الشجر ترعيها الماشية وفي أغصانها لين وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء .

(٦٨٦) وهي قراءة الحسن راجع روح المعاني (١٦٠ / ١٧٥) .

الثالث : أنها كانت تضيء له بالليل[٦٨٧]، قاله الضحاك .

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : إلى عضدك . قاله مجاهد .

الثاني : إلى جيبك .

الثالث : إلى جنبك فعبر عن الجنب بالجناح لأنه مائل في محل الجناح .

قوله عز وجل : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لحفظ مناجاته .

الثاني : لتبليغ رسالته .

﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ما لا يطيق .

الثاني : في معونتي بالقيام على ما حملتني .

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها عقدة كانت بلسانه من الجمرة التي ألقاها بفيه في صغره عند فرعون .

---

(٦٨٧) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣/١٤٥) « وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت فقيل كانت تضيء بالليل وتحرس له الغنم إذا نام يغرسها ،فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة والظاهر أنها لم تكن لذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً فما كان يفرّ منها هارباً ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية وكذلك قول بعضهم أنها كانت لآدم عليه السلام وفي قول الآخر أنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة .

الثاني : عقدة كانت بلسانه عند مناجاته لربه ، حتى لا يكلم غيره إلا بإذنه .

الثالث : استحيائه من الله من كلام غيره بعد مناجاته .

﴿ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ببيان كلامه .

الثاني : بتصديقه على قوله .

﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ﴾ وإنما سأل الله أن يجعل له وزيراً إلا أنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة ، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسألة .

﴿ هَارُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن الأزر : الظهر من موضع الحقوين ومعناه فقوّ به نفسي . قال أبو طالب[٦٨٨] :

أليس أبونا هاشمٌ شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

الثاني : أن يكون عوناً يستقيم به أمري . قال الشاعر :

شددت به أزري وأيقنت أنه أخ الفقر من ضاقت عليه مذاهبه

فيكون السؤال على الوجه الأول لأجل نفسه وعلى الثاني لأجل النبوة . وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين ، وكان في جبهة هارون شامة ، وكان على أنف موسى شامة ، وعلى طرف لسانه [شامه].

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ

(٦٨٨) هو بيت من قصيدة لأبي طالب مطلعها :

ألا أبلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخصا من لؤي بني يعرب

راجع سيرة ابن هشام (١/٣٧٧).

فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : حببتك إلى عبادي ، قاله سلمى بن كميل[٦٨٩] .

الثاني : يعني حسناً وملاحة ، قاله عكرمة .

الثالث : رحمتي ، قاله أبو جعفر (الطبري)[٦٩٠] .

الرابع : جعلت من رآك أحبك ، حتى أحبك فرعون فسلمت من شره وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك ، قاله ابن زيد .

ويحتمل خامساً : أن يكون معناه : وأظهرت عليك محبتي لك وهي نعمة عليك لأن من أحبه الله أوقع في القلوب محبته .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لتغذى على إرادتي ، قاله قتادة .

الثاني : لتصنع على عيني أمك بك ما صنعت من إلقائك في اليم[٦٩١] ومشاهدتي .

---

(٦٨٩) كذا هنا وفي المطبوعة وهو خطأ والصواب سلمة بن كهيل والتصويب من الطبري (١٦٢/١٦) والدر (٥٦٧/٥) وابن كثير (١٤٣/٣) وفتح القدير (٣٦٧/٣) .

(٦٩٠) هنا كلمة مطموسة . لعلها ما أثبتناه لأن سياق الكلام يدل عليها .

(٦٩١) ربما يتوهم متوهم فيظن أن موسى عليه الصلاة والسلام يربي فوق عين الله تعالى وكذلك الأمر بالنسبة للسفينة في قوله ﴿تجري بأعيننا﴾ ، فيظن أن السفينة تجري وعين الرب وهذا التوهم وذاك غير صحيح بل هو باطل من الناحيتين اللفظية والمعنوية فلا أحد يفهم من قول القائل . . فلان يسير بعين أن المعنى أنه يسير داخل عينيه ولا من قول القائل فلان تخرج على عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينيه فإذا بين بطلان هذا الفهم تعيين أن يكون ظاهر الكلام أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينيه لزم من ذلك أن يراه ولازم المعنى صحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون المطابقة والتضمن والالتزام . راجع القواعد المثلى بتصرف ٦٧ .

ويحتمل ثالثاً : لتكفل وتربى على اختياري ، ويحتمل قوله : ﴿ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ وجهين :

أحدهما : على اختياري وإرادتي .

الثاني : بحفظي ورعـايتي(٦٩٢) .

﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : تقرعينها بسلامتك ولا تحزن بفراقك .

الثاني : تقر بكفالتك ولا تحزن بنفقتك .

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْساً ﴾ يعني القبطي .

﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : سلمناك من القَوَد .

الثاني : أمناك من الخوف .

﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أخبرناك حتى صلحت للرسالة .

الثاني : بلوناك بلاء بعد بلاء ، قاله قتادة .

الثالث : خلصناك تخليصاً محنة بعد محنة ، أولها أنها حملته في السنة التي كان يذبح فرعون فيها الأطفال ثم إلقاؤه في اليم ، ومنعه الرضاع إلا من ثدي أمه ، ثم جره بلحية فرعون حتى همّ بقتله ، ثم تناوله الجمرة بدل التمرة ، فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ، ثم مجيء رجل من شيعته يسعى بما عزموا عليه من قتله قاله ابن عباس .

وقال مجاهد : أخلصناك إخلاصاً .

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : على قدر الرسالة والنبوة ، قاله قتادة .

الثاني : على موعدة ، قاله قتادة ، ومجاهد .

(٦٩٢) لاحظ أنه لم يذكر القول الرابع ولعله قول مجاهد المذكور هنا والله أعلم .

ويحتمل ثالثاً : جئت على مقدار في الشدة وتقدير المدة ، قال الشاعر[٦٩٣] :

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ يحتمل وجهان :

أحدهما : خلقتك ، مأخوذ من الصنعة .

الثاني : اخترتك ، مأخوذ من الصنيعة .

﴿ لِنَفْسِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لمحبتي .

الثاني : لرسالتي[٦٩٤] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : لا تفترا في ذكري ، قال الشاعر[٦٩٥] :

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإلّه ما مضى وما غبر

الثاني : لا تضعفا في رسالتي ، قاله قتادة .

الثالث : لا تبطئا ، قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا ، حكاه أبان واستشهد بقول طرفة :

كأن القدور الراسيات أمامهم قباب بنوها لا تني أبداً تغلي

---

(٦٩٣) هو جرير الشاعر

والبيت في ديوانه ٢٧٤ والطبري (١٦٨/١٦) .

(٦٩٤) أما مذهب السلف في هذه الآية فإنهم يؤمنون بهذا النص إيماناً لا يشوبه تجسيم ولا تكيف متطابقاً مع قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لذا فإنهم يؤمنون بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ .

(٦٩٥) هو رؤبة بن العجاج

والبيت في ديوانه : ١٥ والطبري (١٦٨/١٦) .

قوله تعالى : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لطيفاً رقيقاً .

الثاني : كنّياه ، قاله السدي وقيل أن كنية فرعون أبو مرة ، وقيل أبو الوليد .

ويحتمل ثالثاً : أن يبدأه بالرغبة قبل الرهبة ، ليلين بها فيتوطأ بعدها من رهبة ووعيد قال بعض المتصوفة : يا رب هذا رفقك لمن عاداك ، فكيف رفقك بمن والاك؟

وقيل إن فرعون كان يحسن لموسى حين رباه ، فأراد أن يجعل رفقه به مكافأة له حين عجز موسى عن مكافأته .

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ أن يَفْرُطَ عَلَيْنآ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن يعجل علينا ، قال الراجز[٦٩٦] :

قد أفرط العلج علينا وعجل

الثاني : يعذبنا عذاب الفارط في الذنب ، وهو المتقدم فيه ، قاله المبرد ويقال لمن أكثر في الشيء أفرط ، ولمن نقص منه فرّط .

﴿ أوْ أن يَطْغَىٰ ﴾ أي أن يقتلنا .

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

---

(٦٩٦) أورده الطبري (١٦/ ١٧٠) هكذا ولم يبينه وفيه «قد فرّط» .
وفتح التقدير (٣/ ٣٦٨) .

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه لنكاحه ، قاله ابن عباس والسدي .

الثاني : أعطى كل شيء صورته ، ثم هداه إلى معيشته ومطعمه ومشربه ، قاله مجاهد قال الشاعر(٦٩٧) :

وله في كل شيء خلقةٌ وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة .

الثالث : أعطى كلاً ما يصلحه ، ثم هداه له ، قاله قتادة .

ويحتمل رابعاً : أعطى كل شيءٍ ما ألهمه من علم أو صناعة وهداه إلى معرفته .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهي جمع قرن ، والقرن أهل كل عصر مأخوذ من قرانهم فيه .

وقال الزجاج : القرن أهل كل عصر وفيه نبي أو طبقة عالية في العلم ، فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم ، فإذا كان زمان فيه فترة وغلبة جهل لم يكن قرناً .

واختلف في سؤال فرعون عن القرون الأولى على أربعة أوجه :

أحدها : أنه سأله عنها فيما دعاه إليه من الإيمان ، هل كانوا على مثل ما يدعو إليه أو بخلافه .

الثاني : أنه قال ذلك له قطعاً للاستدعاء ودفعاً عن الجواب .

---

(٦٩٧) فتح القدير (٣/٣٦٨) ولم ينسبه راجع تفسيرات القيم في شفاء العليل حول تفسير هذه الآية ثم اعلم أنه لا تنافي بين هذه الأقوال فكلها صحيحة فكل عبر يجب ما فهمه .

الثالث : أنه سأله عن ذنبهم ومجازاتهم .

الرابع : أنه لما دعاه إلى الإقرار بالبعث قال : ما بال القرون الأولى لم تبعث .

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ فرد موسى علم ذلك إلى ربه .

﴿ فِي كِتَابٍ ﴾ .

﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ أي لم يجعل علم ذلك في كتاب لأنه يضل أو ينسى .

ويحتمل إثباته في الكتاب وجهين :

أحدها : أن يكون له فضلاً له وحكماً به .

الثاني : ليعلم به ملائكته في وقته .

وفي قوله : ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ وجهان :

أحدهما : لا يخطىء فيه ولا يتركه .

الثاني : لا يضل الكتاب عن ربي ، ولا ينسى ربي ما في الكتاب ، قاله ابن عباس .

قال مقاتل : ولم يكن في ذلك [الوقت] عند موسى علم القرون الأولى ، لأنه علمها من التوراة ، ولم تنزل عليه إلا بعد هلاك فرعون وغرقه .

ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أولي الحكم .

الثاني : أولي العقل(*)، قاله السدي .

الثالث : أولي الورع .

وفي تسميتهم بذلك وجهان :

أحدهما : لأنهم ينهون النفس عن القبيح .

الثاني : لأنه ينتهي إلى آرائهم .

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حجج الله الدالة على توحيده .

الثاني : المعجزات الدالة على نبوة موسى ، يعني التي أتاها موسى ، وإلا فجميع الآيات لم يرها .

﴿ فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ يعني فكذب الخبر وأبى الطاعة .

ويحتمل وجهاً آخر : يعني فجحد الدليل وأبى القبول .

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

قوله تعالى : ﴿ مَكَاناً سُوىً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : منصفاً بينهم .

الثاني : عدلاً بيننا وبينك ، قاله قتادة والسدي .

الثالث : عدلاً وسطاً ، قاله أبو عبيدة وأنشد(٦٩٨) :

وإن أبانا كان حلّ ببلدة ... سوى بين قيس قيس عيلان والغزر

الرابع : مكاناً مستوياً يتبين للناس ما بيناه فيه ، قاله ابن زيد .

(*) هكذا بالأصول والصواب أن يقال العقول لأنها تفسير النهى .

(٦٩٨) هو موسى بن جابر الحنفي .

والبيت في اللسان (سوى) وفيه . . . . وجدنا أبانا بدلاً من إن أبانا والطبري (١٦/١٧٦) .

ويقرأ سُوى[٦٩٩] بضم السين وكسرها ، وفيهما وجهان :

أحدهما : أنّ : معناهما واحد وإن اختلف لفظهما .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فهو بالضم المنصف ، وبالكسر العدل .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه يوم عيد كان لهم ، قاله مجاهد وابن جريج والسدي وابن زيد وابن إسحاق .

الثاني : يوم السبت ، قاله الضحاك .

الثالث : عاشوراء ، قاله ابن عباس .

الرابع : أنه يوم سوق كانوا يتزينون فيها ، قاله قتادة .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا تفتروا على الله كذباً بسحركم .

الثاني : بتكذيبي وقولكم ما جئت به سحر .

﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ فيهلككم ويستأصلكم ، قال الفرزدق[٧٠٠] :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مُجَلَّف

---

(٦٩٩) راجع السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٢٨ زاد المسير (٥/٢٩٤) الطبري (١٦/١٧٦) .

(٧٠٠) ديوانه (٥٥٦) والطبري (١٦/١٧٨) مجاز القرآن (٢/٢١) شرح المفضليات ٣٩٦ جمهرة أشعار العرب ٢/١٠٧ واللسان جلف ،سحت. القرطبي(١١/٢١٥)الخزانة (٢/٣٤٧) زاد المسير (٥/٢٩٦) .

فالمسحت : المستأصل ، والمجلف : المهلك .

﴿ فَتَنَازَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فيما هيؤوه من الحبال والعصي ، قاله الضحاك .

والثاني : فيمن يبتدىء بالإلقاء .

﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أن النجوى التي أسروها أن قالوا : إن كان هذا سحراً فسنغلبه ، وإن كان من السماء فله أمره ، قاله قتادة .

الثاني : أنه لما قال لهم ﴿وَيْلَكُمْ﴾ . الآية . قالوا : ما هذا بقول ساحر ، قاله ابن منبه .

الثالث : أنهم أسروا النجوىٰ دون موسىٰ وهارون بقولهم، ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ . .﴾الآيات، قاله مقاتل والسدي .

الرابع : أنهم أسروا النجوى . إن غَلَبَنَا موسىٰ اتبعناه ، قاله الكلبي .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ هذه قراءة أبي عمرو[٧٠١] وهي موافقة للإعراب مخالفة للمصحف وقرأ الأكثرون : إن هذان لساحران ، فوافقوا المصحف فيها ، ثم اختلفوا في تشديد إنّ فخففها ابن كثير وحفص فسلما بتخفيف إن من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ، ويكون معناها : ما هذان إلا ساحران . وقرأ أُبَيّ : إن ذان إلا ساحران ، وقرأ باقي القراء بالتشديد : إنَّ هذان لساحران . فوافقوا المصحف وخالفوا ظاهر الإعراب . واختلف من قرأ بذلك في إعرابه على أربعة أقاويل :

(٧٠١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٢/٢٥٢ ـ ٢٥٣) « وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ إن هذان لساحران لحن وأن عثمان رضي الله عنه قال إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها وهذا خبر باطل لا يصح » قلت وقد رد الطبري أيضاً ما نسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد ورد عن عائشة مثل ما ورد عن عثمان والأثر عنها رواه أبو عبيد في فضائل القرآن وقال السيوطي إسناد صحيح على شرط الشيخين فتعقب ذلك الألوسي في روح المعاني (٢٢١/١٦) بكلام رصين فراجعه .

أحدها : أن هذا على لغة بلحارث بن كعب وكنانة بن زيد يجعلون رفع الإثنين ونصبه وخفضه بالألف ، وينشدون[٧٠٢]:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغاً لِناباهُ الشجاع لصمّما

والوجه الثاني : لا يجوز أن يحمل القرآن على ما اعتل من اللغات ويعدل به عن أفصحها وأصحها ، ولكن في « إن » هاء مضمرة تقديرها إنّه هـذان لساحران ، وهو قول متقدمي النحويين .

الثالث : أنه بَنَىٰ « هذان » على بناء لا يتغير في الإعراب كما بَنَىٰ الذين على هذه الصيغة في النصب والرفع .

الرابع : أن « إن » المشددة في هذا الموضع بمعنى[٧٠٣] نعم ، كما قال رجل لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إنّ وصاحبها . وقال عبد الله بن قيس الرقيات[٧٠٤]:

بكى العواذل في الصبا ح يلمنني وألـومُهُنّـه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنّهْ

أي نعم

﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ في قائل هذه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه قول السحرة.

الثاني : أنه قول قوم فرعون .

الثالث : قول فرعون من بين قومه ، وإن أشير به إلى جماعتهم .

وفي تأويله خمسة أوجه :

أحدها : ويذهبا بأهل العقل والشرف . قاله مجاهد .

الثاني : ببني إسرائيل ، وكانوا أولي عدد ويسار ، قاله قتادة .

---

(٧٠٢) هو الملتمس والبيت في الطبري (١٦/١٨٠) واللسان «حمم» والقرطبي (١١/٢١٧) زاد المسير (٥/٢٩٨) .

(٧٠٣) وضعف بعضهم هذا القول راجع روح المعاني (١٦/٢٢٢) .

(٧٠٤) روح المعاني (١٦/٢٢) والقرطبي (١١/٢١٨) وزاد المسير (٥/٢٩٩) واللسان .

الثالث : ويذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة قاله ابن زيد .

الرابع : ويذهبا بدينكم وعبادتكم لفرعون ، قاله الضحاك .

الخامس : ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى ، [والمثلى مؤنث] الأمثل والمراد بالأمثل الأفضل ، قال أبو طالب(٧٠٥) :

وإنا لعمرو الله إن جدّ ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : جماعتكم على أمرهم في كيد موسى وهارون .

الثاني : معناه أحكموا أمركم ، قال الراجز(٧٠٦) :

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدون يوماً وأمري مجمع

أي محكم .

﴿ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً ﴾ أي اصطفواْ ولا تختلطواْ .

﴿ . . . مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾ أي غلب .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ . . ﴾ الآية . في أمر موسى للسحرة بالإلقاء ـ وإن كان ذلك كفراً لا يجوز أن يأمر به ـ وجهان :

أحدهما : إن اللفظ على صفة الأمر ، ومعناه معنى الخبر ، وتقديره : إن كان إلقاؤكم عندكم حجة فألقواْ .

(٧٠٥) بيت من قصيدة طويلة لابي طالب راجعها السيرة (١/٢٩١) .

(٧٠٦) اللسان « جمع »، معاني القرآن للفراء (١/٤٧٣) الطبري (١٦/١٨٣) القرطبي (١١/٢٢١) زاد المسير (٥/٣٠٠) .

الثاني : إن ذلك منه على وجه الاعتبار ليظهر لهم صحة نبوته ووضوح محبته ، وأن ما أبطل السحر لم يكن سحراً .

واختلفوا في عدد السحرة فحكي عن القاسم بن أبي بزة أنهم كانوا سبعين ألف ساحر ، وحكي عن ابن جريج أنهم كانوا تسعمائة ساحر ، ثلاثمائة من العريش ، وثلاثمائة من الفيوم ، ويشكون في الثلاثمائة من الإسكندرية ، وحكى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً ، منهم اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل ، كانوا في أول النهار سحرة وفي آخره شهداء .

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه يخيل ذلك لفرعون .

الثاني : لموسى كذلك .

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ وفي خوف وجهان :

أحدهما : أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله وأنه من جنسه .

الثاني : لما هو مركوز في الطباع من الحذر. وأوجس : بمعنى أسر .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ . . ﴾ الآية . تثبيتاً لنفسه ، وإزالة لخوفه .

قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾ أي تأخذه بفيها ابتلاعاً بسرعة ، فقيل إنها ابتلعت حمل ثلاثمائة بعير من الحبال والعصي ، ثم أخذها موسى ورجعت عصا كما كانت .

وفيها قولان :

أحدهما : أنها[٧٠٧] كانت من عوسج ، قاله وهب .

الثاني : من الجنة ، قاله ابن عباس ، قال : وبها قتل موسى عوج بن عناق[٧٠٨].

---

(٧٠٧) ليس مما يجب على المسلمين أن يعرفوا ماهية عصا موسى عليه السلام إنما يجب عليهم تعلم العلم الضروري التي تستقيم به عقائدهم وعباداتهم.

(٧٠٨) وقيل كان هذا الرجل في زمان نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام وأنه نجا من الطوفان وذكروا من =

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً ﴾ طاعة لله وتصديقاً لموسى .

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ أي بالرب الذي دعا إليه هارون وموسى ، لأنه رب لنا ولجميع الخلق ، فقيل إنهم[٧٠٩] ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة وثواب أهلها ، فعند ذلك .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ وقيل إن امرأة فرعون كانت تسأل : من غلب؟ فقيل لها : موسى وهارون . فقالت: آمنت برب موسىٰ وهارون فأرسل إليها فرعون فقال : فخذواْ أعظم صخرة فحذِّروها ، فإن أقامت على قولها [فألقوها عليها] ، فنزع [الله] روحها ، فألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح .

﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه قسم .

الثاني : بمعنى [ولا] على الذي فطرنا .

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ فيه وجهان :

= ضخامة جسمه وعظم ساقيه . . . . أشياء كثيرة يطول ذكرها وكلها من الإسرائيليات بل هذه الشخصية المسماة بعوج ربما لا تكون لها حقيقة وقد فصّل الكلام فيها العلامة السيوطي في رسالته المسماة الأوج في خبر عوج وهي رسالة ضمن الحاوي فراجعها .

(٧٠٩) وهو قول عكرمة رحمه الله قال الألوسي (١٦/ ٢٣٠) . . واستبعد ذلك القاضي بأنه كالإلحاد إلى الإيمان وأنه ينافي التكليف وأجيب بأنه حيث كان الإيمان مقدماً على هذا الكشف فلا منافاة ولا إلجاء .

أحدهما : فاصنع ما أنت صانع .

الثاني : فاحكم ما أنت حاكم .

﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : إنما سلطانك وعذابك في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة .

الثاني : أن التي تنقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا ، وتبقىٰ الآخرة .

قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : والله خير منك وأبقىٰ ثواباً إن أُطيع ، وعقاباً إن عُصِي .

الثاني : خير منك ثواباً إن أطيع وأبقىٰ منك عقاباً إن عُصِي .

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : لا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته ، كما قال الشاعر[٧١٠]:

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي   شقاها ولا تحيا حياة لها طعم

الثاني : أن نفس الكافر معلقة بحنجرته كما أخبر الله عنه فلا يموت بفراقها ، ولا يحيا باستقرارها .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ قال ابن جريج : قال أصحاب

(٧١٠) البيت في اللسان (طعم) والقرطبي (١١/ ٢٢٧) وزاد المسير (٥/ ٣٠٩) ولم ينسب البيت في هذه المصادر .

موسىٰ له : هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر وقد غشينا ، فأنزل الله هذه الآيـة ، أي لا تخاف دركاً من فرعون ولا تخشىٰ من البحر غرقاً إن غشيك .

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ ﴾ وفيه ثلاثة أوجه .

أحدها : لا تكفروا به .

الثاني : لا تدّخرواْ منه لأكثر من يوم وليلة ، قال ابن عباس : فـدُوِّد عليهم ما ادخروه ، ولولا ذلك ما دَوِّد طعام أبداً .

الثالث : لا تستعينوا برزقي على معصيتي .

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ قرىء بضم الحـاء[٧١١] وبكسرهـا ومعنـاه بـالضم ينزل ، وبالكسر يجب .

﴿ فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فقد هوى في النار .

الثاني : فقد هلك في الدنيا .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ أي غفار لمن تاب من الشرك ﴿وآمن﴾ يعني بالله ورسوله و ﴿ عمل صالحاً ﴾ يريد العمـل بأوامـره والوقوف عند نواهيه .

﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ستة تأويلات :

أحدها : ثم لم يشك في إيمانه ، قاله ابن عباس .

(٧١١) وهي قراءة الكسائي ، راجع السبعة في القرآن ٤٢٢ ، زاد المسير (٣١١/٥) الحجة في القراءات ص ٤٦٠ .

الثاني : لزم الإيمان حتى يموت ، قاله قتادة .

الثالث : ثم أخذ بسنة نبيه ﷺ ، قاله الربيع بن أنس .

الرابع : ثم أصاب العمل ، قاله ابن زيد .

الخامس : ثم عرف جزاء عمله من خير بثواب ، أو شر بعقاب ، قاله الكلبي .

السادس : ثم اهتدى في ولاية أهل بيت النبي ﷺ ، قاله ثابت .

۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾

قوله تعالى : ﴿ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الأسف أشد الغضب .

الثاني : الحزين ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

الثالث : أنه الجزع ، قاله مجاهد .

الرابع : أنه المتندم .

الخامس : أنه المتحسِّر .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسناً ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : أنه وعدكم النصر والظفر .

الثاني : أنه قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾ الآية .

الثالث : التوراة فيها هدىً ونور ليعملواْ بما فيها فيستحقواْ ثواب عملهم .

الرابع : أنه ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا ، قاله الحسن .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه وعدهم على أثره للميقات فتوقفوا[٧١٢].

﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : بطاقتنا ، قاله قتادة والسدي .

الثاني : لم نملك أنفسنا عند ذلك للبلية التي وقعت بنا ، قاله ابن زيد .

الثالث : لم يملك المؤمنون منع السفهاء من ذلك والموعد الذي أخلفوه أن وعدهم أربعين فعدّوا الأربعين عشرين يوماً وعشرين ليلة وظنوا أنهم قد استكملوا الميعاد[٧١٣]، وأسعدهم السامري أنهم قد استكملوه .

﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ﴾ أي حملنا من حلي آل فرعون ، لأن موسى أمرهم أن يستعيروا من حليهم ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي . وقيل : جعِلت حملاً .

والأوزار : الأثقال ، فاحتمل ذلك على وجهين :

أحدهما : أن يراد بها أثقال الذنوب لأنهم قد كان عندهم غلول .

الثاني : أن يراد أثقال الحمل لأنه أثقلهم وأثقل أرجلهم .

قوله تعالى : ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ الآية . قال قتادة . أن السامري قال لهم حين استبطأ القومُ موسىٰ : إنما احتبس عليكم من أجل ما عندكمْ من الحلي ، فجمعوه ورفعوه للسامري ، فصاغ منه عجلاً ، ثم ألقى عليه قبضة قبضها من أثر الرسول وهو جبريل ، وقال معمر : الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة فلما ألقى القبضة عليه صار عجلاً جَسَداً له خوار .

---

(٧١٢) لاحظ أنه لم يذكر الوجه الثاني .

(٧١٣) أي أعانهم على هذا .

والخوار صوت الثور ، وفيه قولان :

أحدهما : أنه صوت حياة خلقه ، لأن العجل المُصَاغَ[٧١٤] انقلب بالقبضة التي من أثر الرسول فصار حيواناً حياً ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي ، وقال ابن عباس : خار العجل خورة واحدة لم يتبعها مثلها .

الثاني : أن خواره وصوته كان بالريح ، لأنه عمل فيه خروقاً فإذا دخلت الريح فيه خار ولم يكن فيه حياة ، قاله مجاهد .

﴿ فقالوا هذا إلٰهكم وإله موسى ﴾ يعني أن السامري قال لقوم موسى بعد فراغه من العجل : هذا إلَهكم وإلَه موسى ، يعني ليسرعوا إلى عبادته .

﴿ فَنَسِيَ ﴾ فيه أربعة أقاويل :

أحدها : فنسي السامري إسلامه وإيمانه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أن السامري قال لهم : قد نسي موسى إلَهه عندكم ، قاله قتادة ، والضحاك .

الثالث : فنسي أن قومه لا يصدقونه في عبادة عجل لا يضر ولا ينفع ، قاله ابن بحر .

الرابع : أن موسى نسي أن قومه قد عبدوا العجل بعده ، قاله مجاهد .

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ يعني أفلا يرىٰ بنو إسرائيل أن العجل الذي عبدوه لا يرد عليهم جواباً .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴾ ؟ فكيف يكون إلَهاً .

قال مقاتل : لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوماً أمر السامري بني إسرائيل أن يجمعواْ ما استعاروه من حلي آل فرعون ، وصاغه عجلاً في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادة العجل في التاسع فأجابوه ، وجاءهم موسى بعد استكمال الأربعين .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى

(٧١٤) الأولى أن يقال المصوغ .

وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوآْ ﴾ يعني بعبادة العجل .

﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ألا تتبعني في الخروج ولا تقم مع من ضل .

الثاني : ألا تتبع عادتي في منعهم والإنكار عليهم ، قاله مقاتل .

﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ وقال موسى لأخيه هارون : أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلمّا أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبه إلى العصيان ومخالفة أمره .

﴿ قَالَ يَا بْنَ أُمَّ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : لأنه كان أخاه لأبيه وأمه .

الثاني : أنه كان أخاه لأبيه دون أمه ، وإنما قال يا بن أم ترفيقاً له واستعطافاً .

﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه أخذ شعره بيمينه ، ولحيته بيسراه ، قاله ابن عباس .

الثاني : أنه أخذ بأذنه ولحيته ، فعبر عن الأذن بالرأس ، وهو قول من جعل الأذن من الرأس(٧١٥) .

واختلف في سبب أخذه بلحيته ورأسه على ثلاثة أقوال :

(٧١٥) وقد ثبت في المرفوع أن الأذنان من الرأس، وهو حديث صحيح راجع السلسلة الصحيحة رقم ٣٦ .

أحدها : ليسر إليه نزول الألواح عليه ، لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوبة ، فقال له هارون : لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ليشتبه سراره على بني إسرائيل .

الثاني : فعل ذلك لأنه وقع في نفسه أن هارون مائل إلى بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل ، ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء .

الثالث : وهو الأشبه ـ أنه فعل ذلك لإمساكه عن الإنكار على بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ومقامه بينهم على معاصيهم .

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ ﴾ وهذا جواب هارون عن قوله : ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ وفيه وجهان :

أحدهما : فرقت بينهم بما وقع من اختلاف معتقدهم .

الثاني : [فرقت] بينهم بقتال مَنْ عَبَدَ العجل منهم .

وقيل : إنهم عبدوه جميعاً إلا اثني عشر ألفاً بقوا مع هارون لم يعبدوه .

﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لم تعمل بوصيتي ، قاله مقاتل .

الثاني : لم تنتظر عهدي ، قاله أبو عبيدة .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ الخطب ما يحدث من الأمور الجليلة التي يخاطب عليها ، قال الشاعر[٧١٦]:

(٧١٦) هو المرقش الأصغر.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

آذنت جارتي بوشك رحيل بكرا جاهرت بخطب جليل

وفي السامري قولان :

أحدهما : أنه كان رجلاً من أهل كرمان ، تبع موسىٰ من بني إسرائيل ، قاله الطبري ، وكان إسمه موسىٰ بن ظفر .

وفي تسميته بالسامري قولان :

أحدهما : أنه كان من قبيلة يقال لها سامرة ، قاله قتادة .

الثاني : لأنه كان من قرية تسمى سامرة .

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نظرت ما لم ينظروه ، قاله أبو عبيدة .

الثاني : بما لم يفطنواْ له ، قاله مقاتل .

وفي بصرت وأبصرت وجهان :

أحدهما : أنَّ معناهما واحد .

الثاني : أن معناهما مختلف ، فأبصرت بمعنى نظرت ، وبَصُرت بمعنى فطنت .

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ﴾ قرأه الجماعة بالضاد المعجمة ، وقرأ الحسن بصاد غير معجمة[٧١٧] ، والفرق بينهما أن القبضة بالضاد المعجمة ، بجميع الكف ، وبصاد غير معجمة : بأطراف الأصابع ﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الرسول جبريل .

= والبيت من قصيدة له في شرح المفضليات لأبي بكر الأنباري ص ٤٤٦ .

(٧١٧) راجع زاد المسير (٣١٨/٥) والطبري (٢٠٦/١٦) .

وفي معرفته قولان :

أحدهما : لأنه رآه يوم فلق البحر فعرفه .

الثاني : أن حين ولدتـه أمه [جعلتـه في غار] ـ حـذراً عليه من فـرعون حين كان يقتل بني إسرائيل وكان جبريل يغذوه صغيراً لأجل البلوىٰ ، فعـرفه حين كبـر ، فأخذ قبضة تراب من حافر فرسه وشدها في ثوبه ﴿ فَنَبَـذْتُهَا ﴾ يعني فـألقيتها ، وفيـه وجهان :

أحـدهما : أنـه ألقاهـا فيما سبكـه من الحلي بصياغـة العجل حتى خـار بعد صياغته .

الثاني : أنه ألقـاها في جـوف العجل بعـد صياغتـه حتى ظهر خـواره ، فهذا تفسيره على قول من جعل الرسول جبريل .

والقول الثاني : أن الرسول موسى ، وأن أثره شريعته التي شرعها وسنتـه التي سنها ، وأن قوله : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَـا ﴾ أي طرحت شـريعة موسى ونبذت سنته ، ثم اتخذت العجل جسداً له خوار .

﴿ وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : حدثتني نفسي ، قاله ابن زيد .

الثاني : زينت لي نفسي ، قاله الأخفش .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَـإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَـاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَـاسَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن قوله : ﴿ فَٱذْهَبْ ﴾ وعيد من موسىٰ ، ولـذا [فإن] السامـري خاف فهرب فجعل يهيـم في البرية مع الوحوش والسباع ، لا يجد أحـداً من الناس يمسه ، حتى صار كالقائل لا مساس ، لبعده عن الناس وبعد الناس منه .

قالت الشاعرة[٧١٨] :

حمال رايات بها قنعاسا ... حتى يقول الأزد لا مساسا

(٧١٨) فتح القدير (٣٨٣/٣) وفيه قناعاً وهو محرف .

القول الثاني : أن هذا القول من موسىٰ [كان] تحريماً للسامري ، وأن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ ، قال الشاعر(٧١٩) :

تميم كرهط السامري وقوله   ألا لا يريد السامري مساسا

أي لا يُخالِطُونَ وَلاَ يُخالَطُون .

﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في الإمهال لن يقدم .

الثاني : في العذاب لن يؤخر .

قوله عز وجل : ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أحاط بكل شيء حتى لم يخرج شيء من علمه .

الثاني : وسع كل شيء علماً حتى لم يخل شيء عن علمه به .

يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ فيه ستة أقاويل :

أحدها : عُمياً ، قاله الفراء .

الثاني : عطاشاً قد أزرقت عيونهم من شدة العطش ، قاله الأزهري .

الثالث : تشويه خَلْقِهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم .

الرابع : أنه الطمع الكاذب إذ تعقبته الخيبة ، وهو نوع من العذاب .

الخامس : أن المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف ، قال الشاعر(٧٢٠) :

---

(٧١٩) روح المعاني (٢٥٦/١٦) ولم ينسبه .

(٧٢٠) روح المعاني (٢٦٠/١٦) وفتح القدير (٣٨٦/٣) وفي المصدر الأول وقع الشطر الثاني في البيت: ألا كل ضبي من اللوم أزرق

لقد زرقت عيناك يا بن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم أزرق

قوله عز وجل: ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يتسارُّون بينهم، من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠] أي لا تُسرّ بها.

﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ﴾ العشر على طريق التقليل دون التحديد وفيه وجهان:

أحدهما: إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً، لما شاهدوا من سرعة القيامة، قاله الحسن.

الثاني: إن لبثتم في قبوركم إلّا عشراً لما ساواه(*) من سرعة الجزاء.

قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: نحن أعلم بما يقولونه مما يتخافتون به بينهم.

الثاني: نحن أعلم بما يجري بينهم من القول في مدد ما لبثوا.

﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أوفرهم عقلاً.

الثاني: أكبرهم سداداً.

﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴾ لأنه كان عنده أقصر زماناً وأقل لبثاً، ثم فيه وجهان:

أحدهما: لبثهم في الدنيا.

الثاني: لبثهم في القبور.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

قوله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام.

(*) هكذا في الأصول ولعلها شاهدوه أو رأوه.

الثاني : تصير كالهباء .

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ﴾ في القاع ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الموضع المستوي الذي لا نبات فيه ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد .

الثاني : الأرض الملساء .

الثالث : مستنقع الماء ، قاله الفراء .

وفي الصفصف وجهان :

أحدهما : أنه ما لا نبات فيه ، قاله الكلبي .

الثاني : أنه المكان المستوي ، كأنه قال على صف واحد في استوائه ، قاله مجاهد .

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً ﴾ فيه خمسة أقاويل :

أحدها : عوجاً يعني وادياً ، ولا أمتاً يعني رابية ، قاله ابن عباس .

الثاني : عوجاً يعني صدعاً ، ولا أمتاً يعني أكمة ، قاله الحسن .

الثالث : عوجاً يعني ميلاً . ولا أمتاً يعني أثراً ، وهو مروي عن ابن عباس .

الرابع : الأمت الجذب والانثناء ، ومنه قول الشاعر[٧٢١]:

ما في انطلاق سيره من أمت

قاله قتادة .

الخامس : الأمت أن يغلظ مكان في الفضاء أو الجبل ، ويدق في مكان ، حكاه الصولي ، فيكون الأمت من الصعود والارتفاع .

قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ قال ابن عباس : أي خضعت بالسكون ، قال الشاعر[٧٢٢]:

---

(٧٢١) هو العجاج.

والبيت في اللسان «أمت» والطبري (١٦/ ٢١٣) وفيه « ما في انجذاب بدلاً ما في انطلاق » .

(٧٢٢) تقدم تخريج هذا البيت .

لما أتى خبر الزبير تصدعت   سور المدينة والجبال الخشع

﴿ إلَّا هَمْساً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه الصوت الخفي ، قاله مجاهد .

الثاني : تحريك الشفة واللسان ، وقرأ أُبيّ : فلا ينطقون إلا همساً .

الثالث : نقل الأقدام ، قال ابن زيد ، قال الراجز[٧٢٣] :

وهن يمشين بنا هَمِيسا

يعني أصوات أخفاف الإبل في سيرها .

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ فيه خمسة أوجه :

أحدها : أي ذلت ، قاله ابن عباس .

الثاني : خشعت ، قاله مجاهد ، والفرق بين الذل والخشوع ـ وإن تقارب معناهما ـ هو أنّ الذل أن يكون ذليل النفس ، والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة . قال أمية بن الصلت[٧٢٤] :

وعنا له وجهي وخلقي كله   في الساجدين لوجهه مشكورا

الثالث : عملت ، قاله الكلبي .

الرابع : استسلمت ، قاله عطية العوفي .

---

(٧٢٣) روح المعاني (١٦/٢٦٤) فتح القدير (٣/٣٨٧) الطبري (١٦/٢١٤) اللسان « همس » .

(٧٢٤) وله بيت آخر ولفظه :

مليك على عرش السماء مهيمن   لعزته تعنو الوجوه وتسجد

فتح القدير (٣/٣٨٧) .

الخامس : أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود ، قاله طلق بن حبيب .

﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

أحدها : أنه القائم على كل نفس بما كسبت ، قاله الحسن .

الثاني : القائم بتدبير الخلق .

الثالث : الدائم الذي لا يزول ولا يبيد .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ يعني شركاً .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : فلا يخاف الظلم بالزيادة في سيئاته ، ولا هضماً بالنقصان من حسناته ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة .

الثاني : لا يخاف ظلماً بأن لا يجزىٰ بعمله ، ولا هضماً بالانتقاص من حقه ، قاله ابن زيد ، والفرق بين الظلم والهضم أن الظلم المنع من الحق كله ، [والهضم] المنع من بعضه ، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه ، قال المتوكل الليثي(٧٢٥) :

إن الأذلة واللئام لمعشر مولاهم المتهضم المظلوم

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : حذراً ، قاله قتادة .

الثاني : شرفاً لإيمانهم ، قاله الضحاك .

الثالث : ذِكراً يعتبرون به .

(٧٢٥) روح المعاني (١٦/٢٦٦) .

قوله تعالى : ﴿ . . . . وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ الآية . فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا تسأل إنزاله قبل أن يقضى ، أي يأتيك وحيه .

الثاني : لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله ، قاله عطية .

الثالث : لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه ، لأنه كان يعجل بتلاوته(٧٢٦) قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه خوف نسيانه ، قاله الكلبي .

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ يحتمل أربعة أوجه :

أحدها : زدني أدباً في دينك ، لأن ما يحتاج إليه من علم دينه لنفسه أو لأمته لا يجوز أن يؤخره الله عنده حتى يلتمسه منه .

الثاني : زدني صبراً على طاعتك وجهاد أعدائك ، لأن الصبر يسهل بوجود العلم .

الثالث : زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك .

الرابع : زدني علماً بحال أمتي وما تكون عليه من بعدي .

ووجدت للكلبي جواباً .

خامساً : معناه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً به .

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْماً ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

(٧٢٦) وهو قول ابن عباس في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ .

سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ . . . ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : يعني فترك أمر ربه ، قاله مجاهد .

الثاني : أنه نسي من النسيان والسهو ، قال ابن عباس : إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسي .

﴿ . . . وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : صبراً ، قاله قتادة .

الثاني : حفظاً قاله عطية .

الثالث : ثباتاً . قال أبو أمامة : لو قرنت أعمال بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه على حلمهم ، وقد قال الله : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ .

الرابع : عزماً في العودة إلى الذنب ثانياً .

قوله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ يعني أنت وزوجك لأنهما في استواء العلة واحد . ولم يقل : فتشقيا لأمرين :

أحدهما : لأنه المخاطب دونها .

الثاني : لأنه الكادّ عليها والكاسب لها ، فكان بالشقاء أخص .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ وعمل بما فيه ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ . لا يضل في الدنيا ولا يشقىٰ .

قال ابن عباس : ضمن الله لمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيه ألّا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ فيه أربع تأويلات :

أحدها : كسباً حراماً ، قاله عكرمة .

الثاني : أن يكون عيشه منغَّصاً بأن ينفق من لا يوقن بالخلف ، قاله ابن عباس .

الثالث : أنه عذاب القبر ، قاله أبو سعيد الخدري وابن مسعود وقد رفعه أبو هريرة(٧٢٧) عن النبي ﷺ .

الرابع : أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم ، قاله الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . والضنك في كلامهم : الضيق قال ، عنترة(٧٢٨):

إن المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

ويحتمل خامساً : أن يكسب دون كفايته .

﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أعمىٰ في حال ، وبصير في حال .

الثاني : أعمىٰ عن الحجة ، قاله مجاهد .

الثالث : أعمى عن وجهات الخير لا يهتدي لشيء منها .

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ

(٧٢٧) رواه ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر (٥/٦٠٨) وقال الحافظ ابن كثير (٣/١٦٩) بعد ما ساقه من رواية البزار إسناد جيد.

(٧٢٨) والبيت:

إنْ يُلْحَقُوا أكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا أشْدُدْ وإنْ يُلقوا بِضَنْكٍ أنزل

مجاز القرآن (٢/٣٢) والطبري (١٦/٢٢٥) والقرطبي (١١/٢٥٨) مختار الشعر الجاهلي (١/٢٨٨) وزاد المسير (٥/٣٣١) فتح القدير (٣/٣٩١).

مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : بأن جعل الجزاء يوم القيامة ، قاله ابن قتيبة .

الثاني : بتأخيرهم إلى يوم بدر .

﴿ لَكَانَ لِزَاماً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لكان عذاباً لازماً .

الثاني : لكان قضاء ، قاله الأخفش .

﴿ وَأَجَلٌ مُسَمّىً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يوم بدر .

والثاني : يوم القيامة ، قاله قتادة . وقال في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً .

قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يعني من الإيذاء والافتراء .

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ قبل طلوع الشمس صلاة الفجر ، وقبل غروبها صلاة العصر .

﴿ وَمِنْ ءَانَآءِ ٱللَّيْلِ . . . . ﴾ ساعاته ، وأحدها إنىً ، وفيه وجهان :

أحدهما : هي صلاة الليل كله ، قاله ابن عباس .

الثاني : هي صلاة المغرب والعشاء والآخرة .

﴿ . . . أَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : صلاة الفجر لأنها آخر النصف الأول ، وأول النصف الثاني ، قاله قتادة .

الثاني : أنها صلاة التطوع ، قاله الحسن .

﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ أي تعطى ، وقرأ عاصم والكسائي[٧٢٩] ﴿ تُرضىٰ ﴾ بضم التاء يعني لعل الله يرضيك بكرامته ، وقيل بالشفاعة .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . . . ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد بمد العين النظر .

الثاني : أراد به الأسف .

﴿ أَزْوَاجاً ﴾ أي أشكالاً ، مأخوذ من المزاوجة .

﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال قتادة : زينة الحياة الدنيا .

﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ يعني فيما متعناهم به من هذه الزهرة ، وفيه وجهان :

أحدهما : لنفتنهم أي لنعذبهم به ، قاله ابن بحر .

الثاني : لنميلهم عن مصالحهم وهو محتمل .

﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه القناعة بما يملكه والزهد فيما لا يملكه .

الثاني : وثواب ربك في الآخرة خير وأبقىٰ مما متعنا به هؤلاء في الدنيا .

ويحتمل ثالثاً : أن يكون الحلال المُبْقِي خيراً من الكثير المُطْغِي .

وسبب نزولها ما رواه أبو رافع[٧٣٠] أن النبي ﷺ استلف من يهودي طعاماً فأبىٰ أن يسلفه إلا برهن ، فحزن وقال : « **إني لأمين في السماء وأمين في الأرض ، أحمل درعي إليه** » ، فنزلت هذه الآية .

---

(٧٢٩) زاد المسير (٥/٣٣٤) الحجة في القراءات ص ٤٦٤ ، السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٤٢٥ .

(٧٣٠) رواه الطبري (١٦/٢٣٥) وزاد السيوطي في الدر (٥/٦١٢) نسبته لابن ابي شيبة واسحاق بن راهويه والبزار وابي يعلى والبن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن القيم في المعرفة .

وروىٰ أنه لما نزلت هذه الآية(٧٣١) أمر رسول الله ﷺ مناديه فنادى : من لم يتأدب بأدب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

قوله عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَاةِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنه أراد أهله المناسبين له .

والثاني : أنه أراد جميع من اتبعه وآمن به ، لأنهم يحلون بالطاعة له محل أهله .

﴿ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ أي اصبر على فعلها وعلى أمرهم بها .

﴿ وَلَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ هذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ فالمراد به جميع الخلق أنه تعالى يرزقهم ولا يسترزقهم ، وينفعهم ولا ينتفع بهم ، فكان ذلك أبلغ في الامتنان عليهم .

﴿ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوىٰ .

وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ أي منتظر ، ويحتمل وجهين .

أحدهما : منتظر النصر على صاحبه .

الثاني : ظهور الحق في عمله .

﴿ فَتَرَبَّصُواْ ﴾ وهذا تهديد .

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : فستعلمون بالنصر من أهدىٰ إلى دين الحق .

الثاني : فستعلمون يوم القيامة من أهدىٰ إلى طريق الجنة . والله أعلم . .

(٧٣١) لم أهتد إلى تخريجه ولعله لم يصح فقد صدره المؤلف هنا بصيغة التمريض المشعر بالضعف .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ أي اقترب منهم ، وفيه قولان :

أحدهما : قرب وقت عذابهم ، يعني أهل مكة ، لأنهم استبطؤواْ ما وُعِدواْ به من العذاب تكذيباً ، فكان قتلهم يوم بدر ، قاله الضحاك .

الثاني : قرب وقت حسابهم وهو قيام الساعة .

وفي قربه وجهان :

أحدهما : لا بُد آت ، وكل آت قريب .

الثاني : لأن الزمان لكثرة ما مضى وقلة ما بقي قريب .

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : في غفلة بالدنيا معرضون عن الآخرة .

الثاني : في غفلة بالضلال ، معرضون عن الهدىٰ .

قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ التنزيل مبتدأ (٧٣٢) التلاوة لنزوله سورة بعد سورة . وآية بعد آية ، كما كان ينزله الله عليه في وقت بعد وقت .

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ ﴾ أي استمعوا تنزيله فتركوا قبوله .

﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أي يلهون .

الثاني : يشتغلون . فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين .

أحدهما : بلذاتهم .

الثاني : بسماع ما يتلىٰ عليهم .

وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يشتغلون به وجهين :

أحدهما : بالدنيا ، لأنها لعب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

الثاني : يتشاغلون بالقَدْحِ فيه والاعتراض عليه .

قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل .

قوله عز وجل : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : يعني غافله باللهو عن الذكر ، قاله قتادة .

الثاني : مشغلة بالباطل عن الحق ، قاله ابن شجرة ، ومنه قول امرىء القيس(٧٣٣) :

---

(٧٣٢) هذا التفسير من الإمام الماوردي يدل على أنه لم يكن معتزلياً كما قال بعضهم فقد تابع المؤلف هنا أهل السنة والجماعة وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق .

(٧٣٣) بيت من معلقته المشهورة التي أولها :

قفا نبكِ منَ ذكرى حبيب ومنزل　　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي في ديوانه : ١

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محوِلِ

أي شغلتها عن ولدها .

ولبعض أصحاب الخواطر وجه ثالث : أنها غافلة عما يراد بها ومنها.

﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ذكره ابن كامل أنهم أخفوا كلامهم الذي يتناجون به ، قاله الكلبي .

الثاني : يعني أنهم أظهروه وأعلنوه ، وأسروا من الأضداد المستعملة وإن كان الأظهر في حقيقتها أن تستعمل في الإخفاء دون الإظهار إلا بدليل .

﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ إنكاراً منهم لتميزه عنهم بالنبوة .

﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ويحتمل وجهين :

أحدهما : أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر .

الثاني : أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أهاويل أحلام رآها في المنام ، قاله مجاهد .

الثاني : تخاليط أحلام رآها في المنام ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

كضغث حلمٍ غُرَّ منه حالمه[٧٣٤]

الثالث : أنه ما لم يكن له تأويل ، قاله اليزيدي .

وفي الأحلام تأويلان :

أحدهما : ما لم يكن له تأويل ولا تفسير ، قاله الأخفش .

الثاني : إنها الرؤيا الكاذبة ، قاله ابن قتيبة ، ومنه قول الشاعر :

أحاديث طسم أو سراب بفدفَدٍ ... ترقوق للساري وأضغاث حالم

= مختار الشعر الجاهلي ص ٢٥
شرح المعلقات لأبي بكر الأنباري ص
الطبري (١١٤/١٧)

(٧٣٤) تقدم هذا البيت في سورة يوسف فراجعه هناك .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَاسْأَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ الآية . فيهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أهل التوراة والإنجيل ، قاله الحسن ، وقتادة .

الثاني : أنهم علماء المسلمين ، قاله علي رضي الله عنه .

الثالث : مؤمنو أهل الكتاب ، قاله ابن شجرة .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً . . . ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون فنجعلك كذلك ، وذلك لقولهم : ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون : ٢٤] قاله ابن قتيبة .

الثاني : إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ، فلذلك جعلناك جسداً مثلهم ، قاله قتادة .

قال الكلبي : أو الجسد هو الجسد(*) الذي فيه الروح ويأكل ويشرب ، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسماً . وقال مجاهد : الجسد ما لا يأكل ولا يشرب ، فعلى مقتضىٰ هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفساً .

لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

(*) هكذا في الأصل وفي تفسير القرطبي نقلاً عن المؤلف : الجسد هو المتجسد .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ الآية ٠ فيه خمسة تأويلات :

أحدها : فيه حديثكم ، قاله مجاهد .

الثاني : مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم ، قاله سفيان .

الثالث : شرفكم إن تمسكتم به وعملتم بما فيه ، قاله ابن عيسىٰ .

الرابع : ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم .

الخامس : العمل بما فيه حياتكم ، قاله سهل بن عبد الله .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ أي عاينواْ عذابنا .

﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من القرية .

الثاني : من العذاب ، والركض : الإسراع .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ أي نعمكم ، والمترف المنعم .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لعلكم تسألون عن دنياكم شيئاً ، استهزاء بهم ، قاله قتادة .

الثاني : لعلكم تقنعون بالمسألة ، قاله مجاهد .

الثالث : لتسألوا عما كنتم تعملون ، قاله ابن بحر .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ يعني ما تقدم ذكره من قولهم ﴿ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : بالعذاب ، قاله الحسن .

الثاني : بالسيف ، قال مجاهد : حتى قتلهم بختنصر .

والحصيد قطع الإستئصال كحصاد الزرع . والخمود : الهمود كخمود النار

إذا أطفئت ، فشبه خمود الحياة بخمود النار ، كما يقال لمن مات قد طفىء تشبيهاً بانطفاء النار .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ **لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً** ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : ولداً ، قاله الحسن .

الثاني : أن اللهو النساء ، قاله مجاهد . وقال قتادة : اللهو بلغة أهل اليمن المرأة . قال ابن جريج : لأنهم قالوا : مريم صاحبته وعيسىٰ ولده .

الثالث : أنه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة ، كما قال الشاعر :

ويلعينني في اللهو أن لا أحبه ... وللهو داعٍ لبيب غير غافلِ

﴿ **لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا** ﴾ أي من عندنا إن كنا فاعلين . قال ابن جريج : لاتخذنا نساء وولداً من أهل السماء وما اتخذنا من أهل الأرض .

﴿ **إن كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : وما كنا فاعلين ، قاله ابن جريج .

الثاني : أنه جاء بمعنى الشرط ، وتقدير الكلام لو كنا لاتخذناه بحيث لا يصل علمه إليكم .

قوله تعالى : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الحق الكلام المتبوع ، والباطل المدفوع . ومعنى يدمغه أي يذهبه ويهلكه كالمشجوج تكون دامغة في أم رأسه تؤدي لهلاكه .

الثاني : أن الحق القرآن ، والباطل إبليس .

الثالث : أن الحق المواعظ والباطل المعاصي ، قاله بعض أهل الخواطر .

ويحتمل رابعاً : أن الحق الإسلام ، والباطل الشرك .

﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هالك ، قاله قتادة .

الثاني : ذاهب ، قاله ابن شجرة .

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : لا يملون ، قاله ابن زيد .

الثاني : لا يعيون ، قاله قتادة .

الثالث : لا يستنكفون ، قاله الكلبي .

الرابع : لا ينقطعون ، مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالإعياء ، قال الشاعر(٧٣٥) :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي مما خلق في الأرض .

﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يخلقون ، قاله قطرب .

الثاني : قاله مجاهد ، يحيون ، يعني الموتىٰ ، يقال : أنشر الله الموتىٰ فنشروا أي أحياهم فحيوا ، مأخوذ من النشر بعد الطي ، قال الشاعر(٧٣٦) :

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشِرِ

(٧٣٥) هو علقمة بن عبدة التميمي والبيت في مختار الشعر الجاهلي (٢) والطبري (١٢/١٧) .

(٧٣٦) هو الأعشى الكبير

والبيت في ديوانه : ٩٢ واللسان « نشر » .

قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ يعني في السماء والأرض .

﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : معناه سوىٰ الله ، قاله الفراء .

الثاني : أن « إلا » الواو ، وتقديره : لو كان فيهما آلهة والله لفسدتا ، أي لهلكتا بالفساد فعلى الوجه الأول يكون المقصود به إبطال عبادة غيره لعجزه عن أن يكون إلٰهاً لعجزه عن قدرة الله ، وعلى الوجه الآخر يكون المقصود به إثبات وحدانية الله عن أن يكون له شريك يعارضه في ملكه .

قوله عز وجل : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : لا يسأل الخلق الخالق عن قضائه في خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم ، قاله ابن جريج .

الثاني : لا يسأل عن فعله ، لأن كل فعله صواب وهو لا يريد عليه الثواب ، وهم يسألون عن أفعالهم ، لأنه قد يجوز أن تكون في غير صواب ، وقد لا يريدون بها الثواب إن كانت صواباً فلا تكون عبادة ، كما قال تعالى : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ [الأحزاب: ٨].

الثالث : لا يُحَاسَب على أفعاله وهم يُحَاسَبُونَ على أفعالهم ، قاله ابن بحر .

ويحتمل رابعاً : لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون على أفعالهم .

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ

خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام ، وذكر من قبلي ممن يخاطب من الأمم بالإيمان ، وهلك بالشرك ، قاله قتادة .

الثاني : ذكر من معي بإخلاص التوحيد في القرآن ، وذكر من قبلي في التوراة والإنجيل ، حكاه ابن عيسى .

قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : ما بين أيديهم من أمر الآخرة ، وما خلفهم من أمر الدنيا ، قاله الكلبي .

الثاني : ما قدموا وما أخروا من عملهم ، قاله ابن عباس .

وفيه الثالث : ما قدموا : ما عملوا ، وما أخروا : يعني ما لم يعملوا ، قاله عطية .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لا يستغفرون في الدنيا إلا لمن ارتضى .

الثاني : لا يشفعون يوم القيامة إلا لمن ارتضىٰ .

وفيه وجهان :

أحدهما : لمن ارتضىٰ عمله ، قاله ابن عيسىٰ .

الثاني : لمن رضي الله عنه ، قاله مجاهد .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا

مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء ، قاله ابن عباس[٧٣٧] .

الثاني : أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين ، قاله مجاهد .

الثالث : أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، قاله عكرمة ، وعطية ، وابن زيد .

والرتق سدٌّ ، والفتق شق ، وهما ضدان ، قال عبد الرحمٰن بن حسان :

يهون عليهم إذا يغضبو ... ن سخط العداة وإرغامُها
ورتق الفتوق وفتق الرتو ... ق ونقض الأمور وإبرامها

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن خلق كل شيء من الماء ، قاله قتادة .

الثاني : حفظ حياة كل شيء حي بالماء ، قاله قتادة .

الثالث : وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي ، قاله قطرب .

﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعني أفلا يصدقون بما يشاهدون .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ والرواسي الجبال ، وفي تسميتها بذلك وجهان :

---

(٧٣٧) وفي قول آخر لابن عباس أن السموات كانت رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات أورده في زاد المسير (٥/٣٤٨)

أحدهما : لأنها رست في الأرض وثبتت ، قال الشاعر:

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجـم فرعٌ لا يزال طويل

الثاني : لأن الأرض بها رست وثبتت .

وفي الرواسي من الجبال قولان :

أحدهما : أنها الثوابت ، قاله قطرب .

الثاني : أنها الثقال قاله الكلبي .

﴿ أَن تَمِيدَ بِهِم ﴾ فيه وجهان .

أحدهما : لئلا تزول بهم .

الثاني : لئلا تضطرب بهم . والميد الإضطراب .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً ﴾ في الفجاج وجهان :

أحدهما : أنها الأعلام التي يهتدىٰ بها .

الثاني : الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين . قال الكميت :

تضيق بنا النجاح وهنّ فج ونجهل ماءها السلم الدفينا

﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : سبل الاعتبار ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم .

الثاني : مسالك ليهتدوا بها إلى طرق بلادهم .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : محفوظاً من أن تسقط على الأرض .

الثاني : محفوظاً من الشياطين ، قاله الفراء .

الثالث : بمعنى مرفوعاً ، قاله مجاهد .

ويحتمل رابعاً : محفوظاً من الشرك والمعاصي .

قوله عـز وجل : ﴿ وَهُـوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱللَّيْـلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَـرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن الفلك السماء ، قاله السدي .

الثاني : أن القطب المستدير الدائر بما فيه من الشمس والقمر والنجوم ومنه سميت فلكة المغزل لاستدارتها ، قال الشاعر(٧٣٨) :

باتت تقاسي الفلك الدّوار حتى الصباح تعمل الأقتار

وفي استدارة الفلك قولان :

أحدهما : أنه كدوران الأكرة(٧٣٩) .

الثاني : كدوران الرحى قاله الحسن ، وابن جريج .

واختلف في الفلك على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه السماء تدور بالشمس والقمر والنجوم .

الثاني : أنه استدارة في السماء تدور فيها النجوم مع ثبوت السماء ، قاله قتادة .

الثالث : أنها استدارة بين السماء والأرض تدور فيها النجوم ، قاله زيد بن أسلم .

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ وجهان :

أحدهما: يجرون ، قاله مجاهد.

الثاني : يدورون قاله ابن عباس ، فعلى الوجه الأول يكون الفلك مديرها ، وعلى الثاني تكون هي الدائرة في الفلك .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ فيها أربعة أوجه :

أحدها : بالشدة والرخاء، قاله ابن عباس .

الثاني : أن الشر : الفقر والمرض ، والخير الغنىٰ والصحة ، قاله الضحاك .

(٧٣٨) الطبري (١٧/ ٢٣) وفيه باتت تناجي .

(٧٣٩) كذا هنا وفي المطبوعة .والاكراه هي الحفرة. قال محقق المطبوعة : ولعل المؤلف أراد البكرة وجمعها بكرات وهي ما يمر عليها الحبل لرفع الاثقال وحطها .

الثالث : أن الشر : غلبة الهوىٰ على النفس ، والخير : العصمة من المعاصي ، قاله التستري .

الرابع : ما تحبون وما تكرهون . لنعلم شكركم لما تحبون ، وصبركم على ما تكرهون ، قاله ابن زيد .

﴿ فِتْنَةً ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اختباراً .

الثاني : إبتلاء .

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

قوله عز وجل : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المعنيّ بالإنسان آدم ، فعلى هذا في قوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : أي معجل قبل غروب الشمس من يوم الجمعة وهو آخر الأيام الستة ، قاله مجاهد والسدي .

الثاني : أنه سأل ربه بعد إكمال صورته ونفخ الروح في عينيه ولسانه أن يعجل إتمام خلقه وإجراء الروح في جميع جسده ، قاله الكلبي .

الثالث : أن معنى ﴿ من عجل ﴾ أي من طين ، ومنه قول الشاعر[٧٤٠]:

(٧٤٠) روح المعاني (١٧/٤٩) وقال وأنشد أبو عبيدة لبعضهم . . . . . . ثم ساق البيت.

والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

والقول الثاني : أن المعنى بالإنسان الناس كلهم ، فعلى هذا في قوله : ﴿ من عجل ﴾ ثلاثة تأويلات :

أحدها : يعني خلق الإنسان عجولاً ، قاله قتادة .

الثاني : خلقت العجلة في الإنسان ، قاله ابن قتيبة .

الثالث : يعني أنه خلق على حُب العجلة .

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته ، والسرعة تقديمه في أول أوقاته .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم . . ﴾ الآية . أي يحفظكم ، قال ابن هرمة[٧٤١] :

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

ومخرج اللفظ مخرج الإستفهام ، والمراد به النفي ، تقديره : قل لا حافظ لكم بالليل والنهار من الرحمن .

قوله تعالى : ﴿ . . وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : يجارون ، قاله ابن عباس . من قولهم : إن لك من فلان صاحباً ، أي مجيراً ، قال الشاعر[٧٤٢] :

ينادي بأعلى صوته متعوذاً ليصحب منها والرماح دواني

الثاني : يحفظون ، قاله مجاهد .

---

(٧٤١) هو إبراهيم بن هرمة.
والبيت في اللسان « كلأ » والطبري (١٧/ ٢٠)

(٧٤٢) فتح القدير (٣/ ٤٠٩).

الثالث : ينصرون ، وهو مأثور(٧٤٣) .

الرابع : ولا يصحبون من الله بخير ، قاله قتادة .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : ننقصها من أطرافها عند الظهور عليها أرضاً بعد أرض وفتحها بلداً بعد بلد ، قاله الحسن .

الثاني : بنقصان أهلها وقلة بركتها ، قاله ابن أبي طلحة .

الثالث : بالقتل والسبي ، حكاه الكلبي .

الرابع : بموت فقهائها وعلمائها ، قاله عطاء ، والضحاك .

ويحتمل خامساً : بجور ولاتها وأمرائها .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

---

(٧٤٣) أي مأثور عن ابن عباس رواه الطبري (٣١/١٧) وزاد السيوطي في الدر (٨٣/١٥) نسبته لابن المنذر وقال الحافظ في الفتح (٤٣٦/٨) بعدما ساقه ورواه ابن المنذر « منقطع » ثم قال وهو قول مجاهد رواه الطبري (٣١/١٧) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : التوراة التي فرق فيها بين الحق والباطل ، قاله مجاهد ، وقتادة .

الثاني : هو البرهان الذي فرق بين حق موسى وباطل فرعون ، قاله ابن زيد .

الثالث : هو النصر والنجاة فنصر موسىٰ وأشياعه ، وأهلك فرعون وأتباعه ، قاله الكلبي .

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : رشْده : النبوة ، حكاه ابن عيسى .

الثاني : هو أن هداه صغيراً ، قاله مجاهد ، وقتادة .

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من قبل أن يرسل نبياً .

الثاني : من قبل موسىٰ وهارون .

﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عالمين أنه أهل لإيتاء الرشد .

الثاني : أنه يصلح للنبوة .

وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ

لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ قراءة الجمهور بضم الجيم ، وقرأ الكسائي[٧٤٤] وحده بكسرها ، وفيه وجهان :

أحدهما : حُطاماً ، قاله ابن عباس ، وهو تأويل من قرأ بالضم .

الثاني : قِطعاً مقطوعة ، قال الضحاك : هو أن يأخذ من كل عضوين عضواً ويترك عضواً وهذا تأويل من قرأ بالكسر ، مأخوذ من الجذ وهو القطع ، قال الشاعر[٧٤٥] :

جذَّذ الأصنام في محرابها ذاك في الله العلي المقتدر

﴿ قَالُواْ فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي بمرأى من الناس .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : يشهدون عقابه ، قاله ابن عباس .

الثاني : يشهدون عليه بما فعل ، لأنهم كرهواْ أن يعاقبوه بغير بينة ، قاله الحسن ، وقتادة ، والسدي .

الثالث : يشهدون بما يقول من حجة ، وما يقال له من جواب ، قاله ابن كامل .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ الآية . فيه وجهان :

أحدهما : بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، فجعل إضافة الفعل إليهم مشروطاً بنطقهم تنبيهاً لهم على فساد اعتقادهم .

---

(٧٤٤) وكذا هي قراءة ابن محيصن (٤٣٦/٨) فتح الباري .

(٧٤٥) فتح القدير (٤١٣/٣)

الثاني : أن هذا القول من إبراهيم سؤال إلزام خرج مخرج الخبر وليس بخبر ، ومعناه : أن من اعتقد أن هذه آلهة لزمه سؤالها ، فلعله فعله [كبيرهم] فيجيبه إن كان إلَهاً ناطقاً .

﴿ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ أي يخبرون ، كما قال الأحوص :

وما الشعر إلا خطبةٌ من مؤلفٍ لمنطق حق أو لمنطق باطل

فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أن رجع بعضهم إلى بعض .

الثاني : أن رجع كل واحد منهم إلى نفسه متفكراً فيما قاله إبراهيم ، فحاروا عما أرادوه من الجواب فأنطقهم الله تعالى الحق ﴿ فَقَالُوٓاْ : إِنَّكم أَنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾ يعني في سؤاله ، لأنها لو كانت آلهة لم يصل إبراهيم إلى كسرها ، ولو صحبهم التوفيق لآمنوا مع هذا الجواب لظهور الحق فيه على ألسنتهم .

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءوسِهِمْ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : معناه أنهم رجعوا إلى شِركهم بعد اعترافهم بالحق .

الثاني : يعني أنهم رجعواْ إلى احتجاجهم على إبراهيم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

الثالث : أنهم نكسواْ على رؤوسهم واحتمل ذلك منهم واحداً من أمرين : إما انكساراً بانقطاع حجتهم ، وإما فكراً في جوابهم فأنطقهم الله بعد ذلك بالحجة إذعاناً لها وإقراراً بها ، بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجة .

قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ وفي الذي أشار عليهم بذلك قولان :

أحدهما : أنه رجل من أعراب فارس يعني أكراد فارس ، قاله ابن عمر ، ومجاهد . وابن جريج .

الثاني : أنه هيزون(٧٤٦) فخسف الله به الأرض وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقيل إن إبراهيم حين أوثق ليلقى في النار فقال : لا إلٓه إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .

وقال عبد الله بن عمر(٧٤٧) : كانت كلمة إبراهيم حين أُلقِيَ في النار : حسبي الله ونعم الوكيل .

قال قتادة : فما أحرقت النار منه إلا وثاقه .

قال ابن جريج : أُلقِيَ إبراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة .

وقال كعب : لم يبق في الأرض يومئذ إلا من يطفىء عن إبراهيم النار ، إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه ، فلذلك أمر النبي ﷺ(٧٤٨) بقتلها .

قال الكلبي : بنواْ له أتوناً ألقوه فيه ، وأوقدوا عليه النار سبعة أيام ، ثم أطبقوه عليه وفتحوه من الغد ، فإذا هو عرق أبيض لم يحترق ، وبردت نار الأرض فما أنضجت يومئذ كراعاً .

---

(٧٤٦) وفي الطبري (١٧/ ٤٣) هيزن

(٧٤٧) ورد نحوه من حديث ابن عباس في قوله « لعله كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل » رواه البخاري (٨/ ٢٢٩) وأما أثر ابن عمر فقد رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر ولكن نسبته في الدر (٥/ ٦٣٩) إلى ابن عمرو .

(٧٤٨) وذلك فيما رواه أحمد (٦/ ٨٣) والطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظه به إن إبراهيم حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفىء النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم. وله شاهد مرسل عن قتادة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كما في الدر (٥/ ٦٣٩).

قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ جعل الله فيها برداً يدفع حرها ، وحراً يدفع بردها ، فصارت سلاماً عليه .

قال أبو العالية : ولو لم يقل « سلاماً » لكان بردها أشد عليه من حرها ، ولو لم يقل « على إبراهيم » لكان بردها باقياً على الأبد .

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً ﴾ قيل إن لوط كان ابن أخي إبراهيم فآمن به ، قال تعالى : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٦]فلذلك نجاهما الله .

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [فيه] ثلاثة أقاويل :

أحدها : من أرض العراق إلى أرض الشام قاله قتادة ، وابن جريج .

الثاني : إلى أرض بيت المقدس ، قاله أبو العوام .

الثالث : إلى مكة ،قاله ابن عباس .

وفي بركتها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن منها بعث الله أكثر الأنبياء .

الثاني : لكثرة خصبها ونمو نباتها .

الثالث : عذوبة مائها وتفرقه في الأرض منها . قال أبو العالية : ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس ، ثم يتفرق في الأرض .

قال كعب الأحبار : والذي نفسي بيده إن العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني عيناً في البحر .

قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النافلة الغنيمة ، قال لبيد[٧٤٩] :

لله نافلة الأفضل .

الثاني : أن النافلة الابن ، حكاه السدي .

الثالث : إنها الزيادة في العطاء . وفيما هو زيادة قولان :

أحدهما : أن يعقوب هو النافلة ، لأنه دعا بالولد فزاده الله ولد الولد ، قاله ابن عباس وقتادة .

الثاني : أن إسحاق ويعقوب هما جميعاً نافلة ، لأنهما زيادة على ما تقدم من النعمة عليه ، قاله مجاهد ، وعطاء .

قوله وجل : ﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أنه القضاء بالحق بين الخصوم قاله ابن عيسى .

الثاني : النبوة ، قاله . . . .[٧٥٠]

﴿ عِلْمَاً ﴾ يعني فهماً .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَآئِثَ ﴾ وهي قرية سدوم .

وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان :

أحدهما : اللواط .

الثاني : الضراط ﴿ ونجيناه ﴾ قيل من قلب المدائن ورمي الحجارة .

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

(٧٤٩) وفي اللسان نفل « لله نافلة الأجل الأفضل »

(٧٥٠) وفي هذا الموضع اسم غير واضح .

قوله تعالى : ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ يعني إذ دعانا على قومه من قبل إبراهيم .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ويحتمل وجهاً آخر إذ نجيناه من أذية قومه حين أغرقهم الله .

ويحتمل ثالثاً : نجاته من مشاهدة المعاصي في الأرض بعد أن طهرها الله بالعذاب .

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : نصرناه عليهم بإجابة دعائه فيهم .

الثاني : معناه خلصناه منهم بسلامته دونهم .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ فيه قولان :

أحدها : أنه كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً ، قاله قتادة .

الثاني : كان كرماً نبتت عناقيده ، قاله ابن مسعود ، وشريح .

﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ قال قتادة : النفش رعي الليل ، والهمل : رعي النهار ، قال الشاعر :

متعلقة بأفناء البيوت نافشاً في عشا التراب

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ وفي حكمهما قولان :

أحدهما : أنـه كان متفقـاً لم يختلفا فيـه ، لأن الله حين أثنىٰ عليهما دل على إتفاقهما في الصواب ويحتمل قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا ﴾ على أنـه فضيلة له على داود لأنـه أوتي الحكم في صغـره ، وأوتي داود الحكم في كبـره ، وإن اتفقـا عليـه ولم يختلفا فيـه لأن الأنبياء معصـومون من الغلط والخـطأ لئلا يقـع الشك في أمورهم وأحكامهم ، وهذا قول شاذ من المتكلمين .

والقول الثاني : وهو قول الجمهـور من العلماء والمفسـرين أن حكمهما كـان مختلفـاً أصاب فيـه سليمان ، وأخـطأ داود ، فأمـا حكم داود فـإنـه قضىٰ لصـاحب الحـرث ، وأما حكم سليمـان فإنـه رأى أن يدفـع الغنم إلى صاحب الحـرث لينتفع بدرِّها ونسلها ، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليأخذ بعمارته ، فإذا عاد في السنة المقبلة إلى مثل حالـه ردّت الغنم إلى صاحبهـا ، وردّ الحرث إلى صـاحبه ، حكـاه ابن مسعود ، ومجاهد . فرجع داود إلى قضاء سليمان فحكم به ، فقال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَـاهَا سُلَيْمَـانَ ﴾ فجعل الحق معه وفي حكمه ، ولا يمتنـع وجود الغلط(٧٥١) والخطأ من الأنبياء كوجوده من غيرهم . لكن لا يقرون عليه وإن أقر عليـه غيرهم ، ليعود الله بالحقائق لهم دون خلقه ، ولذلك تسمىٰ بالحق وتميز به عن الخلق .

واختلف القائلون بهذا في حمله على العموم في جميع الأنبياء على قولين :

أحدهما : أن نبينا محمداً ﷺ مخصوص منهم بجواز الخـطأ عليهم دونه قـاله أبو علي بن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفرق بينه وبين غيره من جميع الأنبياء ، لأنه خاتم الأنبياء فلم يكن بعده من يستدرك غلطه ، ولذلك عصمـه الله منه ، وقـد بعث بعد غيره من الأنبياء مَنْ يستدرك غلطه .

والقـول الثاني : أنـه على العمـوم في جميـع الأنبيـاء ، وأن نبينـا وغيـره من الأنبياء في تجويز الخطأ على سواء ، إلا أنهم لا يقرون على إمضائه ، فلم يعتبر فيه استدراك مَنْ بعدهم من الأنبياء ،فهذا رسول الله ﷺ قد سألته امرأة عن العدة(٧٥٢)،

---

(٧٥١) وهذا يصدر عن اجتهاد منهم صلوات الله وسلامه عليهم.

(٧٥٢) رواه مـالك (٥٩١/٢) وأبو داود (٢٣٠٠) والترمذي (١٢٠٤) وقـال حسن صحيح وابن مـاجـه =

فقال لها : « **اعْتَدِّي حَيْثُ شِئْتِ** » ثم قال : « **يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ** » .وقال رجل(٧٥٣) : أرأيتَ إن قُتِلتُ صابراً محتسباً أيحجزني عن الجنة شيء ؟ فقال : (**لاَ**)، ثم دعاه فقال : « **إلَّا الدَّيْنُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ** ». ولا يوجد منه إلّا ما جاز عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً** ﴾ قال الحسن : لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا ، ولكنه أثنىٰ على سليمان على صوابه وعذر داود باجتهاده .

فإن قيل : فكيف نقض داود حكمه باجتهاد سليمان ؟ فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما : يجوز أن يكون داود ذكر حكمه على الإطلاق وكان ذلك منه على طريق الفتيا فذكره لهم ليلزمهم إياه ، فلما ظهر له ما هو أقوى في الاجتهاد منه عاد إليه .

الثاني : أنه يجوز أن يكون الله أوحىٰ بهذا الحكم إلى سليمان فلزمه ذلك ، ولأجل النص الوارد بالوحي رأى أن ينقض اجتهاده ، لأن على الحاكم أن ينقض حكمه بالاجتهاد إذا خالف نصاً .

على أن العلماء قد اختلفوا في الأنبياء ، هل يجوز لهم الاجتهاد في الأحكام ؟ فقالت طائفة يجوز لهم الاجتهاد لأمرين :

أحدهما : أن الاجتهاد في الإجتهاد(٧٥٤) فضيلة ، فلم يجز أن يحرمها الأنبياء .

= (٢٠٣١) والدارمي (١٦٨/٢) وأحمد (٣٧٠/٦ ، ١٢٠) واللسان (١٩٩/٦) والشافعي في الرسالة (١٢١٤) والطيالسي (١٦٦٤) وابن حبان (١٣٣٢) وصححه والحاكم (٢٠٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال صاحب تخريج زاد المعاد (٦٧٦/٥) إسناده صحيح .

(٧٥٣) طرف من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم الجهاد في سبيل الله الإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله .... الحديث فذكره رواه مسلم (٣٧/٦، ٢٨) وأحمد (٢٩٧/٥ ، ٣٠٨) والنسائي (٦٢/٢) والدارمي (٢٧/٢) ومالك (٤٦١/٢) والبيهقي (٢٥/٩).

(٧٥٤) لعله الأحكام والله أعلم .

الثاني : أن الاجتهاد أقوى فكان أحبها ، وهم [في] التزام الحكم به أولى ، وهذا قول من جوز من الأنبياء وجود الغلط .

وقال الآخرون : لا يجوز للأنبياء أن يجتهدوا في الأحكام ، لأن الاجتهاد إنما يلجأ إليه الحاكم لعدم النص ، والأنبياء لا يعدمون النص لنزول الوحي عليهم ، فلم يكن لهم الاجتهاد وهذا قول من قال بعصمة الأنبياء من الغلط والخطأ .

فأما ما استقر عليه شرعنا فيما أفسدته البهائم من الزرع فقد روى سعيد بن المسيب أن ناقة[٧٥٥] البراء بن عازب دخلت حائطاً وأفسدته ،فقضى النبي ﷺ على أهل المواشي بحفظ مواشيهم ليلاً ، وعلى أهل الحوائط بحفظ حوائطهم نهاراً ، فصار ما أفسدته البهائم بالليل مضموناً ، وما أفسدته نهاراً غير مضمون لأن حفظها شاق على أربابها ، ولا يشق عليهم حفظها نهاراً ، فصار الحفظ في الليل واجباً على أرباب المواشي فضمنوا ما أفسدته مواشيهم ، والحفظ في النهار واجباً على أرباب الزروع ، فلم يحكم لهم ـ مع تقصيرهم ـ بضمان زرعهم ، وهذا من أصح قضاء وأعدل حكم ، رفقاً بالفريقين ، وتسهيلاً على الطائفتين ، فليس ينافي هذا ما حكم داود [به] وسليمان عليهما السلام من أصل الضمان ، لأنهما حكما به في رعي الليل ، وإنما يخالف من صفته ، فإن الزرع في شرعنا مضمون لأنهما حكما بنقصانه من زائد وناقص ، ولا تعرض للبهائم المفسدة إذا وصل الضمان إلى المستحق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه أتى كل واحد منهما من الحكم والعلم مثل ما آتى الآخر وفي المراد بالحكم والعلم وجهان محتملان :

أحدهما : أن الحكم القضاء ، والعلم الفتيا .

والثاني : أن الحكم الاجتهاد ، والعلم النص .

---

(٧٥٥) رواه أحمد (٤/ ٢٩٥) وأبو داود (٣٥٦٩ / ٣٥٧٠) وابن ماجة (٢٣٣٢) والطبري (١٧/ ٥٣) من حديث حرام بن محيّصة عن أبيه . والمؤلف ذكره هنا من مرسل سعيد ولم نهتدِ إلى تخريجه ولا إلى من وصله .

قوله عز وجل : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : ذللنا .

الثاني : ألهمنا .

﴿ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ وفي تسبيحها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيرها معه هو تسبيحها ، قاله ابن عيسى ، والتسبيح مأخوذ من السباحة .

الثاني : أنها صلواتها معه ، قاله قتادة .

الثالث : أنه تسبيح مسموع كان يفهمه ، وهذا قول يحيى بن سلام .

قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ . . . ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اللبوس الدرع الملبوس ، قاله قتادة .

الثاني : أن جميع السلاح لبوس عند العرب .

﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : من سلاحكم ، قاله ابن عباس .

الثاني : حرب أعدائكم ، قاله الضحاك .

قوله عز وجل : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ معناه وسخرنا لسليمان الريح ، والعصوف شدة حركتها والعصف التبن ، فسمي به شدة الريح لأنها تعصفه لشدة تكسيرها له .

﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ هي أرض الشام ، وفي بركتها ثلاثة أقاويل :

أحدها : بمن بعث فيها من الأنبياء .

الثاني : أن مياه أنهار الأرض تجري منها .

الثالث : بما أودعها الله من الخيرات ، قاله قتادة : ما نقص من الأرض زيد في أرض الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر .

وكانت الريح تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء . قال مقاتل : وسليمان أول من استخرج اللؤلؤ بغوص الشياطين .

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي ﴾ الآية . حكى الحسن البصري : أن أيوب آتاه الله مالاً وولداً فهلك ماله ، ومات أولاده ، فقال : ربِّ قد أَحْسَنْتَ إليَّ الإحسانَ كُلَّه ، كنتُ قبل اليوم شَغَلَنِي حُبُّ المالِ بالنهارِ ، وَشَغَلَنِي حُبُّ الولدِ بالليلِ ، فالآن أُفرِغُ لك سمعي وبصري وليلي ونهاري بالحمد والذكر فلم ينفذ لإبليس فيه مكر ، ولا قدر له على فتنة ، فَبُلِيَ في بَدَنِهِ حتى قرح وسعى فيه الدود ، واشتد به البلاء حتى طرح على مزبلة بني إسرائيل ، ولم يبق أحد يدنو منه غير زوجته صبرت معه ، تتصدق وتطعمه ، وقد كان آمن به ثلاثة من قومه ، رفضوا(*) عند بلائه ، وأيوب يزداد حمداً لله وذكراً ، وإبليس يجتهد في افتتانه فلا يصل إليه حتى شاور أصحابه ، فقالوا : أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته ؟ قال : من قبل امرأته ، فقالوا شأنك أيوب من قبل امرأته قال : أصبتم فأتاها فذكر لها ضر أيوب بعد جماله وماله وولده ، فصرخت ، فطمع عدو الله فيها ، فأتاها بسخلة ، فقال ليذبح أيوب هذه السخلة لي ويبرأ ، فجاءت إلى أيوب فصرخت وقالت يا أيوب حتى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين لونك الحسن ؟ قد بلي ، وقد تردد(٧٥٦) الدواب ، إذبح هذه السخلة واسترح . قال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقاً فأجبتيه ؟ أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والشباب والصحة من أعطانيه ؟ فقالت الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : منذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء ؟

(*) هكذا في الأصل ولعل الصواب رفضوه .

(٧٥٦) وفي الطبري (١٧ / ٧٠) . . وقد ترددت الدواب . . قلت ولعله تردّت أي هلكت والله أعلم .

فقالت : منذ سبع سنين وأشهر قال : ويلك والله ما أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة ، ثم طردها وقال : ما تأتيني به عليَّ حرام إن أكلته ، فيئس إبليس من فتنته(٧٥٧) .

ثم بقي أيوب وحيداً فخر ساجداً وقال : ربِّ ،

﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾ وفيه خمسة أوجه :

أحدها : أن الضر المرض ، قاله قتادة .

الثاني : أنه البلاء الذي في جسده ، قاله السدِّي ، حتى قيل إن الدودة كانت تقع من جسده فيردها في مكانها ويقول : كلي مما رزقك الله(٧٥٨) .

الثالث : أنه الشيطان كما قال في موضع آخر ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١] قاله الحسن.

الرابع : أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض ، فقال : مسني الضر ، إخباراً عن حاله ، لا شكوىٰ لبلائه ، رواه أنس مرفوعاً(٧٥٩) .

---

(٧٥٧) رواه ابن جرير عن الحسن (١٧/ ٦٩) وهذا الحديث كما يبدو من الإسرائيليات وسنده إلى الحسن ضعيف ففي سنده مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن وورد نحوه من قول وهب رواه ابن جرير (١٧/ ٢٥٧) والرائحة الإسرائيلية تفوح منه .

(٧٥٨) لقد قف شعري مما أورده المؤلف هنا في نبي الله أيوب ﷺ والأمر بخلاف ذلك. فهذه الأقوال وما شابهها لا يشك عاقل في أنها من روايات أهل الكتاب وتلقاها منهم وهب وكعب والسدي والحسن البصري وقد رواه الطبري عنهم .

(٧٥٩) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٦٧) وأبو نعيم (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وابن حبان (٤/ ٢٤٥) والحاكم (٢/ ٥٨١) والبزار (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وأبو ليلى (٦/ ٢٩٩) والضياء المقدسي كما نقله الالباني في السلسلة (١/ ٢٥) وابن أبي حاتم كما في ابن كثير (٣/ ١) كلهم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن انس مرفوعاً أن نبي الله أيوب ابتلي فلبث في بلائه ثماني عشرة سنة قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . . .

قلت وهذا وهم منه رحمه الله فإن نافعاً لم يرو له البخاري بل روى له مسلم فهو على شرط مسلم فقط . .

وقال أبو نعيم غريب من حديث الزهري لم يروه عنه إلا عقيل ورواته متفق على عدالتهم تفرد به نافع . . قلت وهذا التفرد لا يضر فإنه من رجال مسلم وهو نفسه وقال البزار لا نعلم رواه عن الزهري عن أنس إلا عقيل ولا عنه إلا نافع سواه عن نافع غير واحد . . قلت وقد رواه مرسلاً ابن المبارك في الزهد برقم ١٧٩ من طريقه يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب مرسلاً مطولاً .

الخامس : أنه انقطع الوحي عنه أربعين يوماً فخاف هجران ربه ، فقال : مسني الضر ، وهذا قول جعفر الصادق رحمه الله .

وفي مخرج قوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ أربعة أوجه :

أحدها : أنه خارج مخرج الإستفهام ، وتقديره أيمسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

الثاني : أنت أرحم بي أن يمسني الضر .

الثالث : أنه قال [ذلك] استقالة من ذنبه ورغبة إلى ربه .

الرابع : أنه شكا ضعفه وضره استعطافاً لرحمته ، فكشف بلاءه فقيل له : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ [ص ٤٢] فركض برجله فنبعت عين، فاغتسل منها وشرب فذهب باطن دائه وعاد إليه شبابه وجماله، وقام صحيحاً، وضاعف الله له ما كان من أهل ومال وولد.

ثم إن امرأته قالت : إن طردني فإلى من أكِله ؟ فَرَجَعَتْ فلم تَرَهُ ، فجعلت

= وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٨/٨) رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح ا هـ.
ووقع في رواية الحاكم خمسة عشر سنة . والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥/١).
تنبيهات:

التنبيه الأول: وقع في فتح الباري (٤٢١/٦) نسبة هذا الحديث هكذا قال الحافظ أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة . وفي هذا خطأ .

(أ) قوله ابن جريج لعله خطأ مطبعي والصواب ابن جرير .

(ب) صنيع الحافظ هنا وهم أن الحديث موقوف من قول أنس بينما هو مرفوع فلعل الناسخ أسقط قال رسول الله أو قوله مرفوعاً .

(جـ) ذكره مدة البلاء وأنها ثلاث عشرة يخالف الروايات التي ذكرها المؤلف إذ فيها خمسة عشر وقد عرفت أن رواه الأكثرين ثماني عشرة فلتعتمد .

التنبيه الثاني: اعرب الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال في البداية والنهاية (٢٠٨/١) وكذا في التفسير (١٨٩/٣) هذا غريب . رفعه جيداً والأشبه أن يكون موقوفاً . . قلت ولم يدل على الوقف دليل وحتى لو كان غريباً فالغرابة لا تنافي الصحة كما هو معلوم وعلى فرض أنه موقوف فهو في حكم المرفوع على أن التسليم بصحة وقفه يحتاج إلى بينة وهي مفقودة هنا .

تنبيه ثالث : في سند هذا الحديث عند أبي يعلى حميدي الربيع الخزاز .
وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم ولكنه لم يتفرد به بل تابعه عن الحاكم (أحمد بن مهران) (٥٨١/٢) وعند ابي نعيم اسماعيل بن عبد الله ويحيى بن أيوب كما تقدم في تخريج الحديث.

تطوف وتبكي ، وأيوب يراها وتراه فلا تعرفه فلما سألته عنه وكلمتـه فعرفتـه ، ثم إن الله رحمها لصبرها معها على البلاء ، فأمره أن يضربها بضِغث[٧٦٠] ليبرّ في يمينـه ، قاله ابن عباس . وكانت امرأته مـاخيرا بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾

قال ابن مسعود[٧٦١] : رد الله إليه أهله الذين أهلكهم بأعيانهم ،وأعطاه مثلهم معهم . قال الفراء كان لأيوب سبع بنين وسبع بنـات فماتـواْ في بلائـه ، فلما كشف الله ضره رَدّ عليه بنيه وبناته وولد له بعد ذلك مثلهم ، قال الحسن : وكانوا ماتوا قبل آجالهم فـأحيـاهم الله فـوفـاهم آجـالهم ، وأن الله أبقـاه حتى أعـطاهم من نسلهم مثلهم .

وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه لم يكن نبياً وكان عبداً صالحاً كُفِلَ لنبي قيل إنـه اليسع بصيـام النهار وقيام الليل ، وألا يغضب ، ويقضي بالحق ، فوفىٰ به فـأثنىٰ الله عليه ، قـاله أبو موسى ، ومجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه كان نبياً كفل[٧٦٢] بأمر فوفىٰ به ، قاله الحسن .

وفي تسميته بذي الكفل ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه كان[٧٦٣] . . . . .

---

(٧٦٠) وهي حزمة من عثكال النخل .

(٧٦١) رواه الطبري (١٧/ ٧٢) والطبراني كما في المجمع (٤/ ٦٧)

وفي سنده انقطاع بين الضحاك وابن مسعود .

وفي سند الطبراني يسمى الحماني وهو ضعيف كما نبه على ذلك الهيثمي في المجمع .

(٧٦٢) قال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٩٠) . وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهـو نبي .

(٧٦٣) ذكـر ابن الجوزي رحمه الله في زاد المسير (٥/ ٣٧٩) ثلاثـة أقـوال في سبب التسميـة ولا بأس

الثاني : لأنه كفل بأمر فوفىٰ به .

الثالث : لأن ثوابه ضعف ثواب غيره ممن كان في زمنه .

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ وهـو يونس بن متىٰ ، سمي بـذلك لأنـه صاحب الحوت، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] والحوت النون، نسب إليه لأنه ابتلعه، ومنه قول الشاعر:

يا جيد القصر نِعم القصر والوادي وجيداً أهله من حاضر بادي

توفي قراقره والوحش راتعه والضب والنون والملاح والحادي

يعني أنـه يجتمع فيـه صيد البـر والبحر ، وأهـل المال والـظهر ، وأهـل البدو والحضر .

﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : يعني مـراغماً للملك وكـان اسمه حـزقيا ولم يكن بـه بأس ، حكـاه النقاش .

الثاني : مغاضباً لقومه ، قاله الحسن .

الثالث : مغاضباً لربه ، قاله الشعبي ، ومغاضبته ليست مراغمة ، لأن مراغمة الله كفر لا تجوز على الأنبياء ، وإنما هي خروجه بغير إذن ، فكانت هي معصيته .

وفي سبب ذهابه لقومه وجهان :

= بايرادها هنا ومقارنتها بما ذكره المؤلف . وإليك هذه الوجوه: أحدهما أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فكفل صلاته فسمى ذا الكفل قاله أبو موسى الأشعري . الثاني أن تكفـل لنبي بقومـه أن يكفيه أمرهم ويقيمه ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمي ذا الكفل قاله مجاهد . الثالث أن ملكاً قتل في يوم ثلاثمائة نبي وفر منه مائة نبي فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا فسمي ذا الكفل قاله ابن السائب .

أحدهما : أنه كان في خُلُقِه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة ضاق ذرعه بها ولم يصبر لها ، وكذلك قال الله : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٣٥] قاله وهب.

الثاني : أنه كان من عادة قومه أن من كذب قتلوه ، ولم يجربواْ عليه كذباً ، فلما أخبرهم أن العذاب يحل بهم ورفعه الله عنهم ، قال لا أرجع إليهم كذّاباً ، وخاف أن يقتلوه فخرج هارباً(٧٦٤) .

﴿ فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : فظن أن لن نضيق طرقه ، ومنه قوله : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ [الطلاق: ٧] أي ضيق عليه، قاله ابن عباس.

الثاني : فظن أن لن نعاقبه بما صنع ، قاله قتادة ، ومجاهد .

الثالث : فظن أن لن نحكم عليه بما حكمنا ، حكاه ابن شجرة ، قال الفراء : معناه لن نُقدِرَ عليه من العقوبة ما قَدَّرْنَا ، مأخوذ من القدر ، وهو الحكم دون القدرة ، وقرأ ابن عباس : نقدّر بالتشديد(٧٦٥) ، وهو معنى ما ذكره الفراء . ولا يجوز أن يكون محمولاً على العجز عن القدرة عليه لأنه كفر .

الرابع : أنه على معنى استفهام ، تقديره : أفظن أن لن نقدر عليه ، فحذف ألف الاستفهام إيجازاً ، قاله سليمان بن المعتمر .

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة جوف الحوت ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

الثاني : أنها ظلمة الحوت في بطن الحوت ، قاله سالم بن أبي الجعد .

ويحتمل ثالثاً : أنها ظلمة الخطيئة ، وظلمة الشدة ، وظلمة الوحدة .

---

(٧٦٤) روى قصته باسناد صحيح ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن مسعود كما قال الحافظ في الفتح (٤٥٢/٦) .

(٧٦٥) وهي قراءة سعيد بن جبير وأبي الجوزاء وابن أبي ليلى وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٣٨٢/٥) .

﴿ أن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني لنفسي في الخروج من غير أن تأذن لي ، ولم يكن ذلك عقوبة من الله ، لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا ، وإنما كان تأديباً ، وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان .

قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ وفي استجابة الدعاء قولان :

أحدهما : أنه ثواب من الله للداعي ولا يجوز أن يكون غير ثواب .

والثاني : أنه استصلاح فربما كان ثواباً وربما كان غير ثواب .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : من الغم بخطيئته .

الثاني : من بطن الحوت لأن الغم التغطية . وقيل : إن الله أوحىٰ إلى الحوت ألّا تكسر له عظماً ، ولا تخدش له جلداً .

وحينما صار في بطنه : قال يا رب اتخذتَ لي مسجداً في مواضع ما اتخذها أحد .

وفي مدة لبثه في بطن الحوت ثلاثة أقاويل :

أحدها : أربعون يوماً .

الثاني : ثلاثة أيام .

الثالث : من ارتفاع النهار إلى آخره . قال الشعبي : أربع ساعات ، ثم فتح الحوت فاه فرأى يونس ضوء الشمس ، فقال : سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلفظه الحوت .

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : خلياً من عصمتك ، قاله ابن عطاء .

الثاني : عادلاً عن طاعتك .

الثالث : وهو قول الجمهور يعني وحيداً بغير ولد .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ أي خير من يرث العباد من الأهل والأولاد ، ليجعل رغبته إلى الله في الولد والأهل لا بالمال ، ولكن ليكون صالحاً ، وفي النبوة تالياً .

قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : أنها كانت عاقراً فَجُعِلَتْ ولوداً . قال الكلبي : وَلَدَتْ له وهو ابن بضع وسبعين سنة .

والثاني : أنها كانت في لسانها طول فرزقها حُسْنَ الخَلْقِ ، وهذا قول عطاء ، وابن كامل .

﴿ . . . . يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ أي يبادرون في الأعمال الصالحة ، يعني زكريا ، وامرأته ، ويحيى .

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ فيه أربعة أوجه :

أحدها : رغباً في ثوابنا ورهباً من عذابنا .

الثاني : رغباً في الطاعات ورهباً من المعاصي .

والثالث : رغباً ببطون الأكف ورهباً بظهور الأكف .

والرابع : يعني طمعاً وخوفاً .

ويحتمل وجهاً خامساً : رغباً فيما يسعون من خير ، ورهباً مما يستدفعون من شر .

﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :(٧٦٦)

أحدها : يعني متواضعين ، وهذا قول ابن عباس .

---

(٧٦٦) واستظهر هذا القول ابن كثير رحمه الله (٣/١٩٣) وأما القول الثاني فقد ورد من قول ابن عباس رواه الحاكم (٢/٣٨٣) وصححه وتعقبه الذهبي بقوله طلحة (أحد الرواة) واهٍ .

والثاني : راغبين راهبين ، وهو قول الضحاك .

والثالث : أنه وضع اليمنىٰ على اليسرىٰ ، والنظر إلى موضع السجود في الصلاة .

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : عفّت فامتنعت عن الفاحشة .

والثاني : أن المراد بالفَرْج فَرْجُ درعها منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول .

﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أي أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ ، فأضاف الروح إليه تشريفاً له ، وقيل بل أمر جبريل فحلّ جيب درعها بأصابعه ثم نفخ فيه فحملت من وقتها.

﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأنها حملت من غير مسيس ، ووُلد عيسى من غير ذَكَرٍ ، مع كلامه في المهد ، ثم شهادته ببراءتها من الفاحشة ، فكانت هذه هي الآية ، قال الضحاك : ولدته في يوم عاشوراء .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ ﴾

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ معناه أن دينكم دين واحد ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة .

ويحتمل عندي وجهين آخرين :

أحدهما : أنكم خلق واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

والثاني : أنكم أهل عصر واحد ، فلا تكونوا إلا على دين واحد .

﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ فأوصى ألا يعبد سواه .

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : اختلفوا في الدين ، قاله الأخفش .

الثاني : تفرقوا ، قاله الكلبي .

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة ، وهو قول عكرمة .

الثاني : وحرام على قرية أهلكناها بالعذاب أنهم لا يرجعون إلى الدنيا ، وهذا قول الحسن ، وقرأ ابن عباس(٧٦٧) : وحَرُم على قرية ، وتأويلها ما قاله سفيان : وجب على قرية أهلكناها(*) . [أنهم لا يرجعون قال:لا يتوبون] .

قوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي فتح السد ، وهو من أشراط الساعة ،وروى أبو هريرة(٧٦٨) عن زينب بنت جحش قالت :كان رسول

---

(٧٦٧) وفيها قراءات أخرى كثيرة راجعها في زاد المسير (٥/٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(*) بعد قوله أهلكناها عبارة مضطربة ومطموسة في الأصل وما بين المربعين أخذناه من القرطبي

(٧٦٨) في هذا الموضع حدث طمس في أصل المخطوطة وأظن أن قوله هنا روى أبو هريرة عن زينب خطأ بل أكاد أجزم بذلك .
وأن الصواب روى أبو هريرة وزينب بنت جحش . .
فإن هذا الحديث ورد من حديث ابي هريرة مرفوعاً وكذا من حديث زينب مرفوعاً وهاك بيانها
حديث أبي هريرة رواه الحاكم (١/١٠٨) من ثلاثة طرق عن أبي هريرة الأول قال فيه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فتعقبه الذهبي بقوله فيه انقطاع .

الله ﷺ نائماً في بيتي، فاستيقظ محمرة عيناه، فقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ ثَلَاثاً، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هٰذَا» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عِقْدِ التِّسْعِينَ.

ويأجوج ومأجوج قيل أنهما أخوان، وهما ولدا يافث بن نوح، وفي اشتقاق اسميهما قولان:

أحدهما: أنه مشتق من أجّت النار.

والثاني: من الماء الأُجاج. وقيل إنهم يزيدون على الإنس الضعف.

﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ وفي حدب الأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه فجاجها وأطرافها، قاله ابن عباس.

والثاني: حولها.

الثالث: تلاعها وآكامها، مأخوذ من حدبة الظهر، قال عنترة:

فما رعشت يداي ولا ازْدَهاني ... تواترهم إليَّ من الحِداب

وفي قوله: ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ وجهان:

أحدها: معناه يخرجون، ومنه قول امرىء القيس[٧٦٩]:

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلِ

والثاني: معناه يسرعون، ومنه قول الشاعر[٧٧٠]:

عسلان الذئب أمسى قارباً ... برد الليل عليه فنسل

= الثاني: قد صححه على شرط مسلم ولم وفيه زيادة.

والطريق الثالث: قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفيه زيادة أيضاً وقد روى الحديث البزار. كما نقله ابن كثير من (١٠٥/١) وهي طرق رائجة عن أبي هريرة.

وقد روى البخاري (٣٨٢/٦) ومسلم (٢٨٨١) من حديثه مرفوعاً ولفظه فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده التسعين ورواه أحمد (٤٤١/٢) وأبو داود (٤٢٤٩).

وأما حديث زينب رضي الله عنها.

فرواه البخاري (٣٨١/٦) ومسلم (٢٢٠٨/٤) والترمذي (٤٨٠/٤) والبغوي في مصابيح السنة (٤١١٢). وفيه فائدة إسنادية ذكرها ابن كثير (١٠٥/١).

(٧٦٩) وصدر البيت وإن تك قد ساءتك مني خليقة.

(٧٧٠) هو لبيد أو النابغة الجعدي والبيت في اللسان «عسل، نسل» والطبري (٩١/١٧).

وفي الذين هم من كل حدب ينسلون قولان :

أحدهما : هم يأجوج ومأجوج[٧٧١] ، وهذا قول ابن مسعود.

الثاني : أنهم الناس يحشرون إلى الموقف .

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : وقود جهنم ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : معناه حطب جهنم ، وقرأ علي بن أبي طالب وعائشة : حطب جهنم[٧٧٢] .

الثالث : أنهم يُرمَون فيها كما يُرْمَىٰ بالحصباء ، حتى كأن جهنم تحصب بهم ، وهذا قول الضحاك ، ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربنا   بحاصب كنديف القطن منثور

يعني الثلج ، وقرأ ابن عباس : حضب جهنم ، بالضاد معجمة . قال الكسائي : حضبت النار بالضاد المعجمة إذا أججتها فألقيت فيها ما يشعلها من الحطب .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فيها ثلاثة تأويلات :

(٧٧١) وهو أرجح لدلالة السياق عليه وموافقة الخبر الوارد له .

(٧٧٢) وفيها قراءات أخرى راجعها في زاد المسير (٥/٣٩٠) .

أحدها : أنها الطاعة لله تعالى ، حكاه ابن عيسى .

والثاني : السعادة من الله ، وهذا قول ابن زيد .

والثالث : الجنة ، وهو قول السدي .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنها التوبة .

﴿أُوْلَـٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني عن جهنم . وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنهم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبِدوا من دون الله وهم كارهون وهذا قول مجاهد .

الثاني : أنهم عثمان وطلحة والزبير ، رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب .

الثالث : أنها عامة في كل من سبقت له من الله الحسنى .

وسبب نزول هذه الآية(٧٧٣) ما حكي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال المشركون : فالمسيح والعزير والملائكة قد عُبِدُوا، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني عن جهنم ، ويكون قوله : ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ محمولاً على من عذبه ربه .

قوله عز وجل : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الفزع الأكبر النفخة الأخيرة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : أنه ذَبْحُ الموتِ ، حكاه ابن عباس .

والثالث : حين تطبق جهنم على أهلها ، وهذا قول ابن جريج .

ويحتمل تأويلاً رابعاً : أنه العرض في المحشر .

يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

---

(٧٧٣) رواه ابن جرير (١٧/ ٩٧) وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٦٧٩) نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم .

قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

الثاني : أنه الملك .

الثالث : أنه كاتب يكتب(٧٧٤) بين يدي رسول الله ﷺ ، وهذا قول ابن عباس .

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

---

(٧٧٤) وقد ورد الحديث بذلك عن ابن عباس شاهد من حديث ابن عمر .أما حديث ابن عباس :فرواه أبو داود (٢٩٣٥) والنسائي (في الكبرى كما في التحفة للمزي) (٣٦٦/٤) وابن جرير (١٠٠/١٧) وزاد السيوطي في الدر (٦٨٤/٥) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في المعرفة والبيهقي في سننه وصححه كلهم من طريق عمرو بن مالك عن ابن الجوزاء عن ابن عباس بلفظ السجل كاتب النبي ﷺ .

أخرجه ابن المنذر وابن عدي وابن عساكر من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن ابن الجوزاء به. الشاهد: رواه ابن مردويه وابن منده في الصحابة وابو نعيم كلهم من طريق ابن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال كان للنبي كاتب يقال له سجل .

قال الحافظ ابن كثير (٢٠٠/٣) وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية ابن داود وغيره لا يصح أيضاً وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي فسح الله في عمره ونسأ في أجله وختم له بصالح عمله وقد أفردت لهذا الحديث جزءا على حدته ولله الحمد وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي ﷺ معروفون ليس منهم أحد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث وأما من ذكره في اسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم. والصحيح عن ابن عباس أن السجل الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأنه المعروف في اللغة ا هـ.

أحدها : أن الزبور الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ، والذكر أُمّ الكتاب الذي عنده في السماء ، وهذا قول مجاهد .

والثاني : أن الزبور من الكتب التي أنزلها الله تعالى على مَنْ بعد موسى من أنبيائه ، وهذا قول الشعبي(٧٧٥) .

﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها أرض الجنة يرثها أهل الطاعة ، وهذا قول سعيد بن جبير ، وابن زيد .

والثاني : أنها الأرض المقدسة يرثها بنو إسرائيل ، وهذا قول الكلبي .

والثالث : أنها أرض الدنيا ، والذي يرثها أمة محمد ﷺ ، وهذا قول ابن عباس .

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي هَـٰذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ ، أما قوله ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا ﴾ ففيه قولان :

أحدهما : يعني في القرآن .

والثاني : في هذه السورة .

وفي قوله : ﴿ لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أنه بلاغ إليهم يَكُفُّهُم عن المعصية ويبعثهم على الطاعة .

الثاني : أنه بلاغ لهم يبلغهم إلى رضوان الله وجزيل ثوابه .

وفي قوله : ﴿ عَابِدِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : مطيعين .

والثاني : عالمين .

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فيما أريد بهذه الرحمة وجهان :

أحدهما : الهداية إلى طاعة الله واستحقاق ثوابه .

---

(٧٧٥) لم يذكر المؤلف هنا الوجه الثالث فتنبه .

الثاني : أنه ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

وفي قوله : ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وجهان :

أحدهما : من آمن منهم ، فيكون على الخصوص في المؤمنين إذا قيل إن الرحمة الهداية .

الثاني : الجميع ، فيكون على العموم في المؤمنين والكافرين إذا قيل إن الرحمة ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال .

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله عز وجل : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ يعني أعرضوا ، وفيه وجهان :

أحدهما : عنك .

والثاني : عن القرآن .

﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ فيه سبعة تأويلات :

أحدها : على أمر بيِّنٍ سَوِي ، وهذا قول السدي .

والثاني : على مَهْلٍ ، وهذا قول قتادة .

والثالث : على عدل ، وهذا قول الفراء .

والرابع : على بيان علانية غير سر ، وهذا قول الكلبي .

والخامس : على سَوَآءٍ في الإعلام يظهر لبعضهم ميلاً به عن بعض ، وهذا قول علي بن عيسىٰ .

والسادس : استواء في الإيمان به .

والسابع : معناه أن من كفر بـه فهم سواء في قتـالهم وجهادهم ، وهـذا قول لحسن .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما : لعل تأخير العذاب فتنة لكم .

والثاني : لعل رفع عذاب الاستئصال فتنة لكم .

وفي هذه الفتنة ثلاثة أوجه :

أحدها : هلاك لكم .

والثاني : محنة لكم .

والثالث : إحسان لكم .

﴿ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : إلى يوم القيامة ، وهذا قول الحسن .

والثاني : إلى الموت ، وهذا قول قتادة .

والثالث : إلى أن يأتي قضاء الله تعالى فيهم .

قوله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾(٧٧٦) فيه وجهان :

أحدهما : عجّل الحكم بالحق .

الثاني : معناه افصل بيننا وبين المشركين بما يظهر بـه الحق للجميع ، وهـذا معنى قول قتادة .

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما: على ما تكذبون ، قاله قتادة .

والثاني : على ما تكتمون ، قاله الكلبي .

وقيل(٧٧٧) إن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً قرأ هذه الآية . والله أعلم .

---

(٧٧٦) قال العلامة ابن هبيرة . . المراد منه كن أنت أيها القائل على الحق ليمكنك أن تقول احكم بالحق لأن المبطل لا يمكن أن يقول احكم بالحق
راجع ذيل الطبقات لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٦٦) .

(٧٧٧) من حديث مرسل من مرسلات قتادة رواه عنه مطولاً ابن أبي حاتم كما نسبه السيوطي إليـه في الدر (٥/ ١٨٩) ورواه مختصراً عنـه ابن جريـر (١٧/ ١٠٧) وزاد السيـوطي نسبة المختصـر في الدر (٥/ ٦٨٩) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .